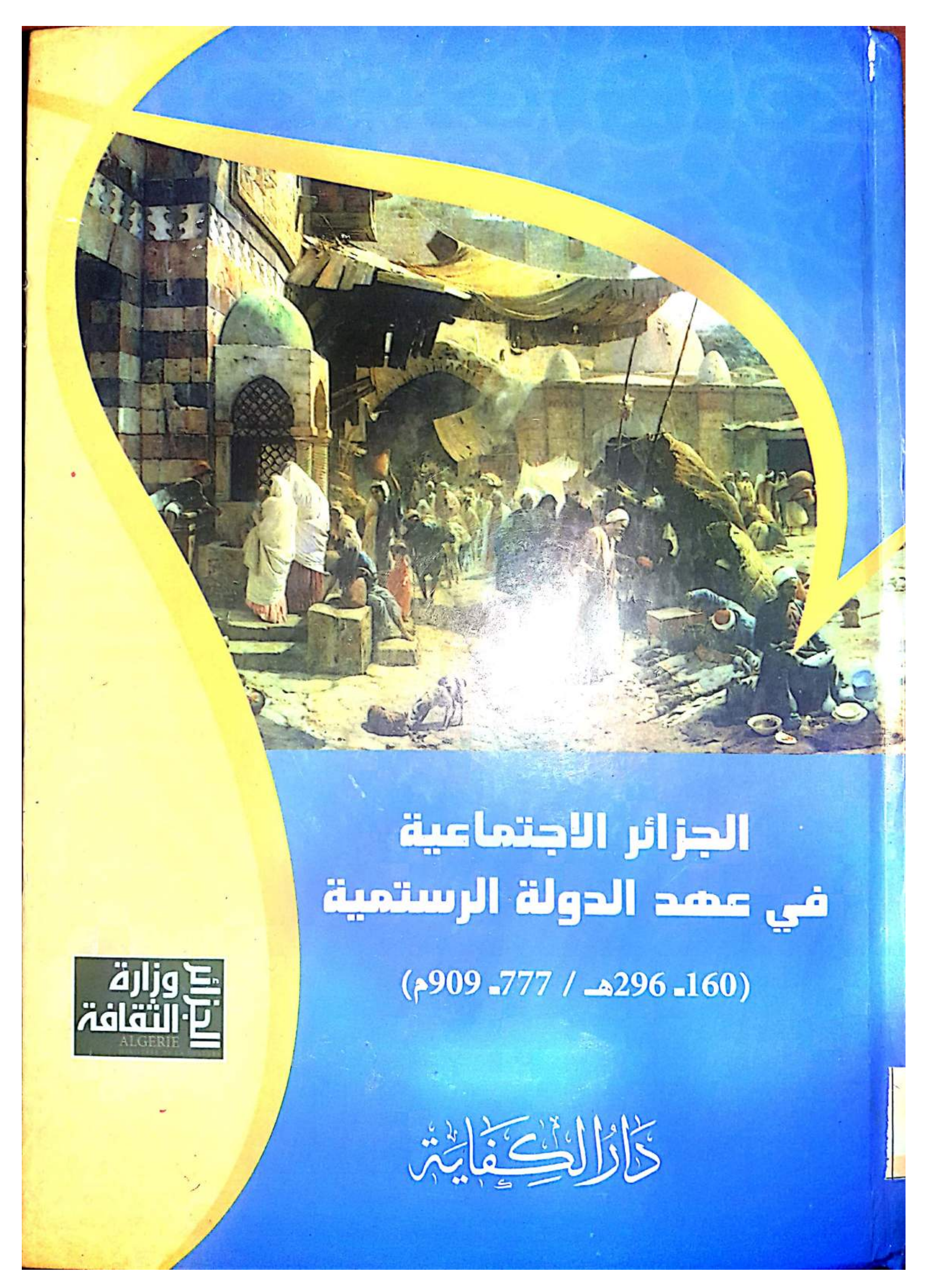
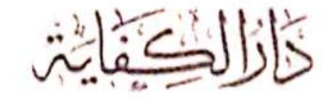

الجزائر الاجتماعية
في عهد الدولة الرستمية
(160ـ 296هـ / 777ـ 909م)
وزارة الثقافة
ALGERIE
دار الكفاية

الجزائر الاجتماعية
في عهد الدولة الرستمية

(160- 296هـ / 777- 909م)

د/محمد بوركبة



قبس

الحاضر غرس الماضي، والمستقبل جني الحاضر. التاريخ سجل الزمن لحياة الشعوب، والأشخاص والأمم. التاريخ هو الحضارة وتطورها، وهو الإنسانية وتقدمها، هو العلاقات البشرية ومسيرتها

قال مفدي زكرياء

وقف بتيهرت واستعرض سيادتنا * فيها يخبرك عن تيهرت سلمان

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمّد الأمين خير خلق الله أجمعين، وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وعلى آله وصحابته، وعلى من حمل دعوة الحق المبين بعدهم إلى يوم الدين.

وبعد:

إن تاريخ المغرب الإسلامي حافل بالأحداث، والمواضيع الهامة والجديرة بالدراسة، ولعل الحضارة الرستمية هي من بين تلك المواضيع الأساسية التي لا يزال البحث فيها يحتاج إلى تعمق وتنوع، ليشمل جميع جوانب الحياة في هذه الدولة التي عمرت أكثر من قرن وربع.





وقد تناول العديد من الباحثين الجوانب المرتبطة بالجانب السياسي والاقتصادي والفكري، والعلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ولكن الدراسة بقيت فقيرة حينما يتعلق الأمر بالحياة الاجتماعيّة والعمرانيّة لهذه الدولة، التي تميزت بالارتكاز على المذهب الإباضي، والذي لم يكن له حق واسع في الانتشار في المنطقة آنذاك. هذا ما جعلني ـ كباحث في الاختصاص ـ أتناول هذا الموضوع المتعلق بـ (الحياة الاجتماعية على عهد الدولة الرستمية (160ـ 296هـ / 777ـ 909م).

ومن بين الباحثين الذين تناولوا هذه المواضيع، يمكن الإشارة إلى الدكتور بحاز إبراهيم بكير في كتابه: « الدولة الرستمية (160ـ 296هـ/ 777ـ 909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية»، ركز الكاتب في كتابه على الجانب الاقتصادي، كما أسهب في تحليل الحياة الفكريـة والثقافيـة لهذه الدولة المستقلة. وأما الدكتور محمد عيسى الحريري فقد تناول في كتابه: (الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160ـ

296هـ) تأسيس النظام الرستمي وحياة الأئمة الرستميين بكل تفصيل، ثم العلاقات الخارجية لهذه الدولة في محيطها الخارجي الجهوي، ووجدت إلى جانب هؤلاء المؤلفين الدكتور عبد المقصود عبد الحميد باشا، يدرس في كتابه: (الرستميون صفحة رائعة من التاريخ الجزائري) أيضا الحياة السياسية، وكذلك تطرق الدكتور جودت عبد الكريم يوسف في كتابه: (العلاقات الخارجية للدولة الرستمية) إلى الحالة السياسية، وحياة الأئمة وأعمالهم في الحكم ثم تكلم عن العلاقات الدبلوماسية مع الدول المستقلة الأخرى المجاورة.

ولصعوبة المهمة وكونها تحتاج إلى دراسة تاريخية معمقة، ونتيجة العراقيل في إعداد الكتاب، وخاصة لقلة المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ الدولة الرستمية عموما، والجانب الاجتماعي خصوصا، وكذلك تناقض المعلومات المتوفرة وتداخلها، فإن إنجاز هذا البحث يؤمل منه أن يحقق نتيجة، ولو كانت قليلة تساهم في بناء صرح المعرفة التاريخية.

ولتحقيق هذه الدراسة اتبعت المنهجية التاريخية التحليلية،





لكون هذه الأخيرة أقدر على تناول هذا الموضوع، وقسمته إلى مدخل وأربعة فصول وخاتمة، ومجموعة من الملاحق الأساسية.

تناولت في البداية الأوضاع السياسية قبيل تأسيس الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي، وكيف كانت هجرة الخوارج الإباضية والصفرية من المشرق الإسلامي إلى المغرب؟ والعوامل التي ساعدت على انتشار المذهب الإباضي بين قبائل البربر على عهد ولاة بني أمية، حتى استطاع أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الإباضي أن يؤسس الدولة الإباصية في ظل فترة الخلافة العباسية (141هـ/ 759م)، ولكنها لم تعمر طويلا حتى قضى عليها محمد بن الأشعث الخزاعي في معركة تاروغا سنة (144هـ/ 761م). وهروب عبد الرحمان بن رستم الفارسي من مدينة القيروان بإفريقية إلى المغرب الأوسط، ونزوله على قبيلة لماية البربرية.

وركزت على ظروف نشأة الدولة الرستمية منذ وصول عبد الرحمان المغرب الأوسط ونزوله بين القبائل البربرية واختياره أميرا وحاكما عليهم سنة (144هـ/ 762م)، وبعد هذا تم بناء مدينة تيهرت لتكون



فيما بعد عاصمة الدولة الرستمية. كما تطرقت لأوصاف المؤرخين والجغرافيين لمدينة تيهرت، وأهم ما يميزها عن غيرها من المدن.

وتناولت كذلك قيام الدولة الرستمية سنة (160هـ/ 777م)، بقيادة عبد الرحمان بن رستم الفارسي وتحديد معالمها. ثم أشرت إلى حياة الأئمة الرستميين وأعمالهم السياسية وإنجازاتهم الاقتصادية وعلاقاتهم الاجتماعية، والفتن الداخلية التي ظهرت في عهودهم.

وأخيرا بينت كيف كانت نهاية الدولة على يد أبي عبد الله الشيعي الإسماعيلي سنة (296 هـ/ 909م). وأهمية هذا الفصل تكمن في إبراز الإطار التاريخي والسياسي من حياة الدولة، التي تتناول بداية الحياة الاجتماعية فيها.

وتطرقت إلى عناصر السكان في المجتمع الرستمي، وقسمته إلى ثلاثة عناصر. درست في العنصر الأول الأفارقة الذين هم من بقايا الأمم السالفة (الرومان والبزنطيين والقرطاجيين) الذين كان أغلبهم من النصارى. وتحدثت عن القبائل البربرية أي السكان الأصليين





للمغرب الإسلامي، والذين ساهموا إلى حد كبير في تأسيس الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط من كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية، مثل قبيلة لماية التي أُسست الدولة على أرضها، وقبيلة نفوسة البربرية القوية عسكريا التي اعتبرت الدرع الواقي، وحامي الدولة، وإلى جانبهما قبيلة مزاتة التي ساهمت بأموالها في سبيل استمرار النظام الإباضي، وغيرها من القبائل البربرية. كما تم تناول العنصر العربي المهاجر إلى تيهرت الذي استقر وعاش في أمان وسلام، وقدم أغلبهم من البصرة والكوفة والقيروان، وكان هؤلاء على مذاهب مختلفة، فمنهم الإباضي والمالكي والحنفي والمعتزلي.

وقد ساهمت العناصر العربية في الحركة التجارية والاقتصادية، وتطوير المجتمع الرستمي حضاريا.

وتحدثت عن العناصر الفارسية (العجم)، الذين بلغوا شأنا عظيما في المجتمع الرستمي، وتقلدوا المناصب العليا في السلطة، وكان منهم الأئمة الرستميين، وساهم هذا العنصر الأعجمي في إدارة وتسير شؤون الحكم وطور هؤلاء نظام الحياة الاجتماعية، في ميادين التعمير



والعمران والبناء، وأنشأوا القصور وشيدوا القلاع والحصون وبنوا الضياع والمنازل في مختلف المدن وخاصة تيهرت وجبل نفوسة. وإلى جانب هذه العناصر نجد وجود الصقالبة في المجتمع الإباضي الذين جُلبوا من الأندلس وكان دورهم محدودا، حيث اكتفوا أساسا بالاشتغال في خدمة قصور الأئمة وكبار الشخصيات، وفي حراسة الأسواق والمرافق العامة، كما عملوا في الأراضي الزراعية والحرف الصناعية.

واعتبر العنصر الأندلسي من عناصر الدولة، فكان لهؤلاء الأندلسيين على خلاف الصقالبة منزلة سامية بين الرعية، واستقروا بتيهرت ومدينتي تنس ووهران، وساهموا بقدر كبير في تنشيط التجارة البحرية، كما أنهم تقلدوا مناصب كبيرة في إدارة شؤون الحكم واختيار الأئمة.

وتطرق العنصر الأخير لأهل الذمة من اليهود والمسيحيين، اللذين اعتبروا من رعايا الدولة لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات كغيرهم من أفراد المجتمع الرستمي، ولقد ساهم أهل الذمة بقدر كبير في الحياة الاجتماعية وتطوير التجارة، استقروا أساسا بالعاصمة تيهرت، ومدينة جادو بإقليم جبل نفوسة.





وتناولت فئات المجتمع الرستمي التي تعددت وتنوعت، حيث تطرقت إلى فئات الخاصة، من أئمة الدولة ووزرائهم وشيوخهم من القبائل البربرية، وولاة مدنهم. وتتكون فئة الشراة من أهل الحل والعقد، الذين اقتصر عملهم على مراقبة الإمام وتولية القضاة والعمال، وكان لهم الأمر والنهي، أما فئة الجيش فكانوا المحافظين على ممتلكات الدولة في الداخل والخارج، وكان معظمهم من قبيلة نفوسة البربرية ورجالها المتطوعين. وفئة القضاة التي تفصل بين أفراد المجتمع في قضاياهم بالعدل والإنصاف، وهو أحد دعائم قيام المجتمع واستقراره.

وأما فئات الأثرياء وكبار التجار، التي كانت مساهمتهم الفعالة والدائمة في ازدهار الحركة الاجتماعية والتجارية، وتطوير العمران. وأما فئة العلماء الذين زخرت بهم الدولة، فقد قادوها إلى حياة أفضل ملؤها العلم والفقه والثقافة، حتى أصبحت تيهرت تسمى (عراق المغرب) ومنبع العلم والعلماء، ومركز من المراكز العلمية في المغرب الإسلامي.

وكانت فئات العامة، من أهل الحرف والفلاحين وصغار التجار والفقراء الذين شكلوا غالبية السكان، وتميزوا بمعيشتهم الاجتماعية





البسيطة. والفئة الأخيرة هي فئة الرقيق أو العبيد، ودورهم معروف في المجتمع القيام بالخدمة في القصور والمنازل والضياع، وكان أغلبهم من العنصر الصقلبي ومن بلاد السودان.

وتطرقتُ في الأخير من هذا الكتاب للأسرة الرستمية ومستوى المعيشة، ومع قلة المصادر والمراجع التاريخية حول هذا المحور، فإن المعلومات المتوفرة أهملت جوانب من هذا الجانب، فتناولت موضوع المرأة ودورها الاجتماعي والتربوي، وكذلك مساهمتها الفعالة في رقي المجتمع في كل مجالات الحياة، وخاصة التربية والثقافة وعنايتها بالأسرة والأبناء، كما أشرت إلى محور الزواج وحقوق الطرفين وواجباتهما نحو الأسرة. وتحدثت عن الزواج السياسي في المجتمع الرستمي، الذي كان له صبغة مصلحيـة أكثر منها اجتماعية وتربوية، وفي نفس المجال تطرقت للطلاق معتمدا على القضايـا الفقهية التي أثارها بعض أئمة الدولة باعتبارها انعكاسا لصورة الواقع في المجتمع آنذاك.

ثم درست الآفات الاجتماعية والأخلاقية، التي ظهرت في المجتمع





الرستمي آنذاك، والتي كانت نتيجة عوامل كثيرة مثل سوء التربية والفاقة (الفقر)، والفتن الداخلية والحروب الخارجية، والصراع من أجل مقاليد الحكم. ومن بين تلك الآفات التي ظهرت في المجتمع، نجد اللصوصية والسرقة والحرابة، التي انتشرت بكثرة في العهود الأخيرة للدولة الرستمية.

أما عن مستوى المعيشة تطرقت خاصة ما تعلق باختلاف الطعام من منطقة إلى أخرى من مناطق الدولة، وتنوع اللباس المنتشر بين أفراد المجتمع. وأما السكن الذي بدوره تنوع واختلف من سكنى الخيام إلى مساكن القرى والمدن.

ومن المصادر التاريخية المستعملة في هذا الكتاب ابن الصغير المالكـي في مؤلفه (أخبار الأئمة الرستميين)، الذي حققه الدكتور محمد ناصر والدكتور إبراهيم بحاز بكير، فلقد اعتمد على هذا المصدر كثيرا في هذا التأليف، باعتباره المصدر الأساسي، الذي كتب عن الدولة الرستمية وأئمتهم، فمؤلفه كان معاصرا لهم. فنجده قد بدأ بإمامة عبد الرحمان بن رستم الفارسي، فأوضح كيفية توليه مقاليد





السلطة ثم تحدث عن عدله بين الرعية، وعن المساعدات والأموال الأولى والثانية الآتية من المشرق الإسلامي، وكذلك عن الازدهار الاقتصادي التجاري والعمراني في تيهرت، وتطور النظام الإداري، حتى وافته المنية.

وتولى ابنه عبد الوهاب الحكم من بعده، كما تطرق إلى افتراق الإباضية في البداية إلى النكارية بقيادة يزيد بن فندين، وبعدها الخلفية بزعامة خلف بن السمح وتم القضاء عليهما. وكانت أيام عبد الوهاب مزدهرة ومتطورة في كل مجالات الحياة، وتولى ابنه أفلح الإمامة بعد وفاته، ولعبت فئة الشراة في عهده دورا هاما في اختيار القضاة، وفي أيامه ازدهرت الدولة من كل جوانب الحياة.

وتحدث ابن الصغير عن عمل نفوسة البربرية الاجتماعي في تيهرت من تقديم واختيار القضاة ، وإنكار المنكر ومعاقبة الفساق والمفسدين، وكذلك تكلم عن سفر أبي اليقظان إلى المشرق وأسره من طرف العباسيين وحزن الإمام أفلح عليه حتى هلك.





وجاء من بعده الإمام أبو بكر الذي اتسم بضعف الشخصية والاستهانة بأمور الحكم، وترك مقاليد السلطة لصهره العربي محمد بن عرفة ثم تناول حادثة مصرعه وما نجم عنها من فتن داخلية بين العرب والعجم، واستبداد محمود بن الوليد الهواري بالسلطة وما انجر بسببه من قتال وسفك للدماء.

وطُرد أبو بكر بن أفلح من تيهرت، تولى أبو اليقظان الإمامة وضبط أمور الدولة وازدهرت الحياة الثقافية في عهده. وذكر إمامة أبي حاتم وما واجهته من معارضة حتى قامت فتنة بينه وبين عمه يعقوب بن أفلح، وتم الصلح بينهما بعد حروب ضارية انتهت بخروج كلاهما من تيهرت. وسرد ابن الصغير في كتابه عودة أبي حاتم إليها وإلى الحكم والقيام بإصلاحات في كل ميادين الحياة، لكنه لم يتكلم عن إمامة أبي اليقظان بن أبي اليقظان آخر الأئمة الرستميين، الذي انقرضت به الدولة على يد الشيعة.

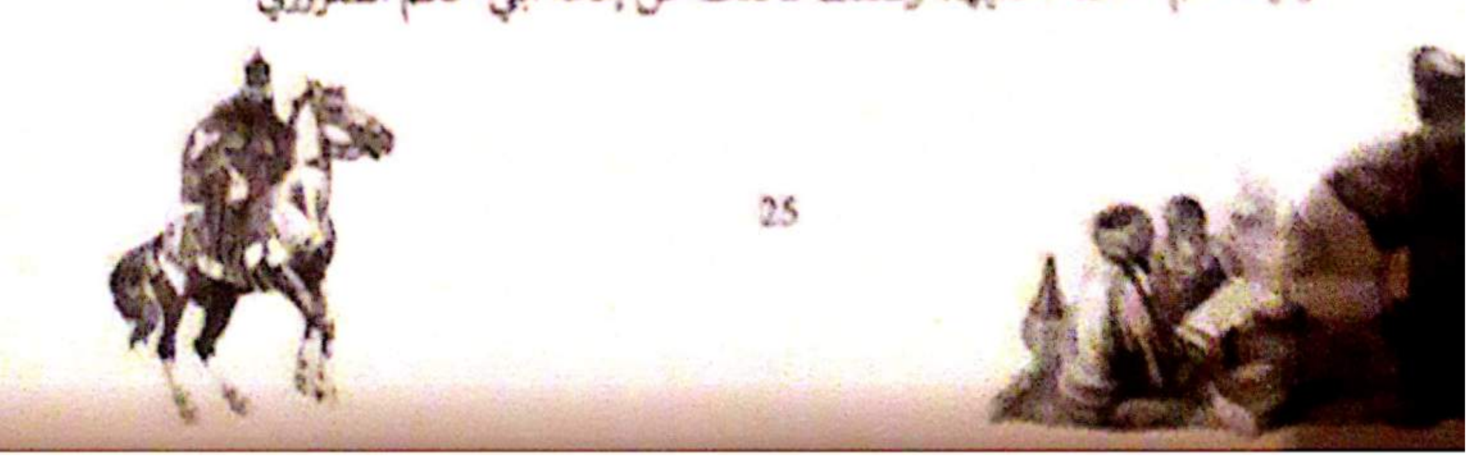
ومن خلال قراءتي لابن الصغير نلاحظ أنه لم يعتمد على نظام الحوليات (السنوات التاريخية). واستعمل في أسلوبه التاريخي على



ألفاظ غريبة قريبة إلى العامية منها إلى اللغة العربية، وأنه اعتمد على الروايات الشفوية فنجده يقول على سبيل المثال: « أخبرني واحد من الإباضية »، وكذلك قوله:« أخبرني جماعة من الإباضية وغيرهم»، وقوله أيضا: « حدثني بعض من أثق به »، وأيضا:«وحدثني غير واحد » و« وقد حكى لي جماعة من الناس » وغيرها من العبارات التاريخية الشفوية، إلا أنه لم يتحدث عن الحياة الاجتماعية الرستمية بشكل واضح إلا نادرا.

والمصدر الثاني الذي اعتمدت عليه هو (كتاب سير الأئمة وأخبارهم)، لأبي زكرياء يحي الوارجلاني، الذي حققه الدكتور إسماعيل العربي، ويعتبر هذا المصدر أساسي لتاريخ الدولة الرستمية وأئمتها، حيث ذكر كل الأحداث التاريخية التي وقعت في عهودهم وتطرق أبو زكرياء إلى انتشار الإباضية في المغرب الإسلامي، وذكر ثورات الإباضية ضد ولاة الخلافة العباسية.

وتطرق إلى إمامة أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري في القيروان، وكيف تم القضاء عليها، وكذلك تحدث عن إمامة أبي حاتم الملزوزي



Scanned by CamScanner

وانهزامه على يد العباسيين.

وبعد ذلك ذكرت تاريخ الدولة الرستمية (١٦٠هـ ـ 777م) منذ تأسيسها من طرف الإمام عبد الرحمان بن رستم، ثم عن اختيار الإمام الثاني عبد الوهاب على أساس مبدأ الشورى، وعن افتراق الإباضية إلى النكارية ثم الخلفية.

ومما يؤخذ على أبي زكرياء إهماله عمدا إمامة أبي بكر بن أفلح، وما تحمله من سلبيات وفتن داخلية وغدره لصهره محمد بن عرفة. وذكر إمامة أبي اليقظان بن أفلح وتوليته من طرف عامة الإباضيين. وتحدث على منزلته الدينية وعن كتاباته في الرد على مخالفيه. ولم يوجز أبو زكرياء كثيرا في إمامة أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح. كما وصف موقعة (مانو) المشهورة، التي انهزم فيها جيش الرستميين أمام الأغالبة. وتحدث عن انقراض الإمامة الرستمية على يد الفاطميين، ثم واصل حديثه عن الأحداث التاريخية بعد سقوط الدولة الرستمية .

كما لاحظت من خلال دراستي لمصدر سير الأئمة أن مؤلفه




اعتمد على شيوخ الإباضية، الذين التقى بهم وسمع منهم، واستعمل الرواية الشفوية في تقصي الأحداث. والمعروف عن أبي زكرياء أنه إباضي المذهب وظهرت عاطفته المذهبية جليا في كتاباته، من مدح وافتخار، وأنه أهمل جانبا مهما في تاريخ الدولة الرستمية ألا وهو حادثة طُبنة، وانهزام عبد الرحمان بن رستم في موقعة تهودة. ولم يتطرق على الإطلاق لإمامة أبي بكر ابن أفلح.

والمصدر الآخـر الذي اعتمدت عليه في هذه الدراسة هو (طبقات المشائخ بالمغرب) لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، حيث يعد هذا المصدر التاريخـي أساسيا ومهما في تاريخ الإباضية بالمغرب الإسلامي. إذ تناول الكتاب في البداية انتشار الإباضية ودعاتها الذين جاءوا من المشرق الإسلامي، لنشر أفكارهم ومبادئهم. وتطرق كذلك لإمامة أبي الخطاب المعافري وأهم الأحداث التي قامت في عهده، وكيفية انهزامه أمام الجيوش العباسية سنة 144هـ.

وتكلم الدرجيني عن فرار عبد الرحمان بن رستم إلى المغرب الأوسـط. وتناول في نفس الوقت إمامة أبي حاتم الملزوزي. واتبع نهج



سلفه أبي زكرياء في دراسة التاريخ، وكأن المصدرين واحد. تحدث عن حياة الأئمة وسيرتهم السياسية، لكنه في تناوله سيرة أبي بكر ابن أفلح لم يعطها الأهمية الكبيرة. وذكر موقعة (مانــو) التي كانت سببا كبيرا في انقراض النظام الإباضي في المغرب الإسلامي. وواصل المؤرخ الدرجيني نفس الخطة التي سار عليها أبو زكرياء ، في سرد الأحداث المتعاقبة بعد الرستميين.

واعتمدت كذلك على كتاب: (السيــر) لأبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي، ويعتبر هذا المصدر جامعا وشاملا للمصادر التاريخية السالفة الذكر.

ومن خلال كتابات الشماخي يلاحظ، أنه ذو نزعة مذهبية ومحب لمذهبه الإباضي مما دفعه أحيانا لتبرير موقف الأئمة الرستميين، وإبراز دورهم الديني من التقوى والورع وتعظيم أعمالهم.

وكذلك اعتمدت على مصادر أخرى، من بينها كتاب المؤرخ الاجتماعــي عبد الرحمان بن خلدون: (العبر وديوان المبتدأ والخبر في





أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، وخاصة الجزء السادس منه، الذي تناول قبائل البربر وتقسيماتهم الاجتماعية، وأماكن تواجدهم ولباسهم وطعامهم.

والملاحظ على ابن خلدون اختلافه مع غيره من المؤرخين في ذكر السنوات التاريخية، وأنه لم يذكر تاريخ الرستميين في كتابه مثل الدول المستقلة المجاورة لها، والمتزامنة معها. ويعد كتابه مصدرا هاما يعتمد عليه في تاريخ الأمة العربية الإسلامية.

وإلى جانب هاته المصادر التاريخية وجود مصادر أخرى كابن عذاري المراكشي (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب)، ولسان الدين بن الخطيب: (أعمال الأعلام: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط) القسم الثالث.

ولا يخلو الكتاب من المصادر الجغرافية وكتب الرحالة، في وصف العاصمة تيهرت ومدن رستمية أخرى، من طبيعة أراضيهم ومناطقهم المختلفة والمتنوعة، ومعيشة أفرادهم. ومن بين المصادر الجغرافية:



(صفة المغرب، مأخوذ من كتاب البلدان) لابن واضح اليعقوبي الذي عاصر تلك الفترة، وزار مناطق المغرب الإسلامي ووصفها أحسن وصف مع رسم حدود كل دولة فيها مثل الدولة الرستمية ، رغم أن الحدود لم تكن موجودة في ذلك الزمن.

أما أبو عبيد الله البكري في كتابه: (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) وهو جزء من (كتاب المسالك والممالك) وصف فيه مدينة تيهرت وجامعها الذي كان موجودا في زمانه، ومدن أخرى تابعة للدولة الرستمية مثل: جبل نفوسة وجادو وشروس.

واعتمدت على ابن حوقل النصيبي في كتابه: (صورة الأرض)، وياقوت الحموي:(معجم البلدان)، والمقدسي: (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم).

ورغم تعدد المصادر حول تاريخ الدولة الرستمية، إلا أن تناولها للجانب الاجتماعي لم يكن معمقا، بل أُهمل من قبل العديد من المؤلفين نتيجة تركيزهم على الجوانب الأخرى السياسية والاقتصادية والثقافية.






وظهرت إلى جانب تلك المصادر التاريخية، مراجع حديثة ومتنوعة، وكلها تناولت تاريخ الدولة الرستمية، وأغلبيتها تطرقت إلى الجانب السياسي وأخرى منها تكلمت عن الجانبين الاقتصادي والثقافي، ولكن لم تعالج النظام الاجتماعي لقلة المعلومات التاريخية الكافية في هذا الشأن.

ومن بين المراجع الكثيرة، كتاب: (الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية) لعبد الله الباروني النفوسي، حيث خصص الجزء الثاني لتاريخ الدولة الرستمية وأئمتها ومدنها وعلمائها. حيث ألم الباروني بكل الجوانب السياسية وبعض المجالات الاقتصادية، والمعالم الفكرية إلى حد ما، ولم نجد المادة العلمية الكافية للحياة الاجتماعية إلا قليلا.

ذكر الدكتور بحاز بأن كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، يمكن إدراجه ضمن المصادر الأساسية في تاريخ الدولة الإباضية من حيث الطرح والمضمون والكتابة والأسلوب.





والمرجع الثاني الذي استعنت به، هو كتاب (الدولة الرستمية (160- 296هـ/ 777- 909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية) لصاحبه الدكتور بحاز إبراهيم بكير، الذي احتوى كل الجوانب والأحداث التاريخية مركزا على الجانب الاقتصادي والحياة الثقافية والحضارية للدولة الرستمية.

وأما كتاب (الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9- 10م) للدكتور جودت عبد الكريم يوسف، تحصلت على دراسة مقبولة للحياة الاجتماعية في المجتمع الرستمي، واعتمد المؤلف على مصادر تاريخية كابن الصغير والشماخي والدرجيني وغيرهم. ويعد هذا المرجع أقرب شيء إلى مضمون الكتاب.

وجدت أن هناك تشابها كبيرا في تناول المراجع التاريخية حديثة الكتابة حول تاريخ الدولة الرستمية، من بين هذه الكتب التي اعتمد عليها في هذا البحث مؤلف عبد المقصود عبد الحميد باشا: (الرستميون صفحة رائعة من التاريخ الجزائري). والدكتور محمد عيسى



الحريري: (الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160ـ 297هـ).

والدكتور السيد عبد العزيز سالم (تاريخ المغرب الكبير في العصر الإسلامي) والدكتور محمود إسماعيل عبد الرزاق (الخوارج في المغرب الإسلامي، ليبيا، تونس، الجزائر، والمغرب وموريتانيا)، الحبيب الجنحاني (المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3 ـ 4هـ/ 9ـ 10م).

ورغم تعدد المصادر والمراجع حول الدولة الرستمية إلا أن تناولهم للحياة الاجتماعية كان قليلا مقارنة بتركيزها على الجوانب السياسية والثقافية وحتى الاقتصادية، ومع ذلك يبقى الأمل في أن هذه الكتاب يمكنه أن يساهم في إبراز جانب من حياة الدولة الرستمية، ولا يزال البحث والتنقيب قائما ومستمرا.





الأوضاع السياسية في المغرب الإسلامي قبيل نشأة الدولة الرستمية

لقد التجأ الخوارج[1] لمواصلة نشاطهم السياسي بالمغرب

(1) الخوارج : ظهر الخوارج بعد موقعة صفين ـ هو موضع بقرب الرقة، على شاطئ الفرات من الجهة الغربية بين الرقة وبالس ـ التي دارت رحاها على شاطئ الفرات سنة 37هـ ـ 657 م، بين الإمام علي كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ. ذلك أن معاوية لجأ إلى حيلة بارعة عندما أوشك جيشه أن ينهزم، شتت بها جيش علـي بن أبي طالب وأوقفت القتال. بناء على طلبه لإيجاد حل سلمي للحرب عن طريق التحكيم إلى كتاب الله. ولما تبين للإمام وأصحابه، أن معاوية خدعهم. حاولوا استئناف القتال من جديد، غير أن جماعة منهم اعتبرت أن قبول التحكيم كبيرة. وطلبت من الإمام علـي أن يتوب عما ارتكب من كفر عندما =وافق على التحكيم كما كفرت



الإسلامي في أوائل القرن الثاني للهجرة، حيث وجدوه مهيأ لتقبل آرائهم وأفكارهم ومبادئهم. إذ أن بعض ولاة بني أمية على المغرب

=هي. وأن يواصلوا بعد ذلك المعركة والقتال ضد معاوية ولكن الإمام علي رفض. وعندئذ رفعت شعار (لا حكم إلا لله). وخرجت عليه وأطلق على أفرادها اسم الخوارج وكان عددهم أربعة آلاف. وصاروا منذ ذلك الزمن يقاتلون عليا ومعاوية وكل من خالفهم الرأي، وفي الحكم على خلافتي عثمان وعلي رضي الله عنهما من المسلمين. وقاتلهم الإمام علي في معركة النهراون سنة 37هـ-658م، وقتل زعيمهم عبد الله بن وهب الراسبي. وسموا الخوارج بأسماء مختلفة منها: المحكمة والحرورية والشراة. وفرق الخوارج كثيرة منها: الأزارقة والنجدات والصفرية والإباضية. أنظر: أبو عمار الكافي الإباضي: الموجز (آراء الخوارج الكلامية)، تحقيق وتقديم عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1398هـ - 1978م، ج1، من ص79 إلى95. محمد أحمد أبو زهرة: المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية دار الفكر العربي القاهرة مصر، بلا تاريخ، ص97 - 98. أحمد أمين: فجر الإسلام، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 1994م، من ص 415 إلى ص 428.

الإسلامي، كانوا يسوسونه بالقهر والظلم إلى حد العنف والقسوة[1]. وما زال البربر صابرين محتسبين على هذا العمل الشنيع، حتى جاءتهم الوفود الأولى من الخوارج الفارين من بطش الأمويين في المشرق وخاصة العراق[2].

وما كان على بعض البربر إلا اعتناق أفكارهم التي تنادي بالثورة

(1) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت لبنان، 1968م، ج6، ص 239ـ 240. محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في المغرب الإسلامي، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، مكتبة مدبولي القاهرة مصر، 1976م، ص32ـ 33 . بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية (160ـ 296هـ/ 777ـ 909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، جمعية التراث القرارة غرداية الجزائر، 1414هـ ـ 1993، ص61.

(2) ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن الكرم الجزري: الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر بيروت لبنان، 1385 هـ ـ 1965م، ج3، ص92. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص220. بحاز: المرجع السابق، ص61.



ضد الظلم. وتدعو إلى المساواة بين الناس، وهي مبادئ تتناسب مع صفات البربر وطباعهم وعقليتهم المعروفة في العالم الإسلامي آنذاك[1]

إن فرق الخوارج كثيرة لكن التي انتقلت إلى المغرب الإسلامي فرقتان فقط، هما الصفرية[2] والإباضية[3].

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص207. محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص35.

(2) الصفرية: هم أتباع عبد الله بن الصفار، وإليه تنسب. وقيل سموا بذلك لصفرة وجوههم من كثرة العبادة. أنظر: الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، صححه وعلق عليه أحمد فهمي، ط1، دار السرور بيروت لبنان، 1368هـ ـ 1948م، ج1، ص137. محمد أبو زهرة: المذاهب الإسلامية، ص124. يحي هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية في الشمال الإفريقي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر، 1968م، ج1، ص32.

(3) الإِبَاضيّة: تنسب إلى عبد الله بن إِبَاض (ت86 هـ)، بكسر الالف في أكثر الروايات وبالضم والفتح في بعضها. وهو عبد الله إِباض المقعاسي




=المري التميمي من بني مرة. كان عبد الله معاصرا لمعاوية بن أبي سفيان، وعاش أواخر أيام عبد الملك ابن مروان الخليفة الأموي (26ـ 86هـ)، الذي كان على علاقة ودية وحميمة معه. أنظر: البغدادي عبد القاهر بن طاهر: الفرق بين الفرق، دار صادر بيروت لبنان، بلا تا، ص61ـ 62. علي مصطفى الغرابى: تاريخ الفرق الإسلامية عند كتاب نشأة علم الكلام عند المسلمين، مكتبة ومطبعة الأزهر القاهرة مصر، بلا تا، ص271. علي يحي معمر: الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث، المطبعة العربية غرداية الجزائر، 1987م، ص41. أحمد أمين: ضحى الإسلام، ط5، مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر، 1956م، ج3، ص337ـ 338. فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر، 1956 ص260ـ 261. موسى لقبال: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، سياسة ونظم، ط3 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م، ص ص164ـ 165. بكير بن سعيد أعوشت: وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، دينيا وتاريخيا واجتماعيا، المطبعة العربية غرداية الجزائر، 1991م، ص ص52ـ 53.

عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، =تقديم علي الثعالبي، الدار التونسية للنشر، 1395هـ ـ 1975م، ص104.





وأول من دعا لفرقة الصفرية عكرمة عبد الله بن عباس[1]، وأول

يوسف ابن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق =في التباين، دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية، المطبعة العربية غرداية الجزائر، 1992 ص25. الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص ص 212ـ 213. أبو عمار الكافي: الموجز (آراء الخوارج الكلامية)، ج1، ص ص193ـ 194.

(1) عكرمة: هو مولى عبد الله بن عباس (25ـ 105هـ) تابعي، كان أعلم الناس بالتفسير والمغازي. وقد روى عنه ما يقارب 300 رجل، وكثير منهم من التابعين. وقد خرج إلى المغرب، فأخذ عنه الصفرية من الخوارج وعاد إلى المدينة فطلبه أميرها، فاختفى عنه حتى مات. أنظر: ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، 1971 م، ج3، ص 265ـ 266.

الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد: كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر، بلا تا، ج1، ص ص11ـ 12. أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق وتعليق إسماعيل العرابي، المكتبة الوطنية الجزائر،



من دعا للإباضية سلمة بن سعيد[1] الذي جاء من البصرة .

إن الإباضيّة والصفرية بعدما جاء داعيتهما إلى المغرب الإسلامي، استطاعا أن يحققا نجاحا كبيرا في نشر دعوتهما حيث اعتنق أغلبية البربر المذهبين ـ الإباضي والصفري ـ ووجدوا في أفكارهما وآرائهما ما يناسب ميولهم. زد على ذلك أنهما جاءا في وقت حساس، عندما ضاق الأمر بهم من ولاة بني أمية وظلمهم لهم.

=1395هـ ـ 1979م، ص26 ـ 27.

(1) سلمة بن سعيد: من دعاة الإباضية الذي جاء من البصرة ووصل إلى المغرب يدعو الناس إلى المذهب الإباضي، وهو يتمنى ظهوره يوما واحدا، ثم يموت بعده. وذكر أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي في كتاب السير، أنه هو الذي دل حملة العلم، على موضع أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي عالم البصرة. أنظر: الشماخي: السير، طبعة حجرية، قسنطينة الجزائر 1301هـ. ص98. الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص11. يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، نشأة المذهب الإباضي، ج1، مطابع دار الكتاب العربي، مكتبة وهبة القاهرة مصر، 1384هـ ـ 1964م، ص 25ـ 26. أبو زكرياء : المصدر السابق، ص27.





وكما تحدث الدكتور بحاز إبراهيم عن استغلال البربر والخوارج، للخصومات والنزاعات بين قيسية ويمنية العربيتين، اللتين كانتا فيما بعد سببا في سقوط الدولة الأموية في المشرق سنة 132هـ[1].

هكذا تكون الأسباب والعوامل قد تكاثفت لقيام ثورات بربرية خارجيـة في المغرب ابتداء من سنة 122هـ. وكان من بين الثورات البربرية ثورة مسيرة المطغري الصفري[2]، الذي قاد جموعا كثيرة

---

(1) حسين مؤنس: فجر الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية711ـ 756م، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة مصر، 1959م، ص144. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص62ـ 63.

(2) مسيرة المطغري الصفرى الزناتي: يلقب بالحقير أو الحقور. وإن كان ابن خلدون يؤكد أنه، كان زعيما لقبيلة مطغرة. وهذا يؤيد قول ابن الخطيب من أنه كان أميرا للغرب. ولقد اعتنق مبادئ الخارجية الصفرية بالقيروان، ثم نشرها بين قومه في إقليم طنجة. وأنه كان حاقدا على سياسة عمال الأمويين في المغرب، وأعلن الثورة ضدهم، وانضمت إليه قبيلة برغواطة بقيادة زعيمها الخارجي صالح بن طريف. واستطاع مسيرة أن يهزم جيوش بني أمية، في معركة حاسمة بأحواز طنجة سنة 122هـ ـ 740م. وأن يبسط نفوذه



من بربر مطغرة، والقبائل المجاورة لها في المغرب الأقصى وخاصة طنجة ومنطقة السوس، حيث قصدهما وحارب واليهما عبيد الله ابن الحبحاب وكان الانتصار حليف المطغري وبويع بالولاية. وهذا ما جعل والي القيروان[1] عبيد الله بن الحبحاب يهيئ جيشين، أحدهما بقيادة حبيب بن أبي عبيدة وثانيهما بقيادة خالد بن أبي حبيب

=على المغرب الأقصى. أنظر: لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي، إبراهيم محمد الكتاني، نشر وتوزيع دار الكتاب الدار البيضاء المغرب الأقصى، 1966م، ص181.

(1) القيروان: (CARAVANE)، مدينة بتونس اختطها عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ ـ 650م، وبنى في وسطها الجامع المنسوب إليه حتى الآن. ولفظ القيروان فارسي الأصل ومعناه الجيش ومناخ القوافل. وقد ظلت القيروان عاصمة لإفريقية، بل لجميع المغرب الإسلامي مدة طويلة. أنظر: حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، مختصر يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمن الحاضر، ط4، الدار التونسية للنشر والتوزيع تونس، 1968م، ص56. أنظر: ابن الخطيب: المصدر السابق، ص9.



الفهري. فالتقى ميسرة بالجيشين، فانهزم وفر إلى طنجة ولكنه قتل على يد أتباعه لتخاذله. ونصب مكانه خالد بن حميد الزناتي، الذي قاد جيشا لمواجهة جيوش ابن الحبحاب مرة أخرى، وانهزم العرب فيها وسميت غزوة الأشراف[1]، هكذا كان انتشار المذهب الصفري في المغرب الأقصى. والذي ساعد على انتشار المذهب الاياضي في بلاد المغرب الإسلامي فهو وجود مجموعة نشطة، كانت قدوة حسنة للمجتمع البربري الذي عاشوا فيه، وهم حملة العلم الخمسة على المذهب الاياضي:

أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[2] وعبد الرحمان

(1) ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمان: فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق أنيس الظباع، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، 1964م، ص64. الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، مطبعة الوسط تونس، 1387هـ ـ 1969م، من ص109 إلى ص111. ابن عذاري أبو عبد الله محمد المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س.كولان إيفي بروفنصال، ط3، دار الثقافة بيروت لبنان، 1983 م، ج1، من ص52 إلى ص54 ص101.

(2) عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني: زعيم ديني إباضي وقائد عسكري



بن رستم الفارسي[1].

=ومن أهل الرأي، ومن ولاة حملة العلم بناء على أمر أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري فقيه ومن كبار علماء الإباضية، وذلك للقيام بالدعوة سرا، ثم الظهور عند اشتداد الشوكة. وقد استولى على طرابلس سنة 141هـ، ثم دانت له القيـروان بعد هزيمة قبيلة ورفجومـة. وقتل أبو الخطـاب في معركة، فاجأه فيها جيش العباسيين في سرت سنة 144هـ. أنظر: الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2 ، ص112. ابن عذاري: المصدر السابق، ج1 ، ص112. يحي معمر : الإباضية في موكب التاريخ، ح1، ص ص49 50. أبوزكرياء: سيـر الأئمة، ص ص35 36.

(1) عبد الرحمان بن رستم بن بهرام: أول من ملك من الرستميين فارسي الأصل، ومؤسس مدينة تيهرت بالمغرب الأوسط. أنظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص50. خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط3، بيروت لبنان، 1969م، ج2، ص78. بكير بن سعيد أعوشت: رجال خالدون في ذاكرة الإسلام، المطبعة العربية غرداية الجزائر، 1996م، ص58. موريس لومبارد: الإسلام في مجده الأول، القـرن (8ـ 11م) (2ـ 5هـ) ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

.....

الجزائر، 1978م، =ص91. ابن حزم أبو محمد علي ابن سعيد الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي بروفنصال، دار المعارف مصر، 1948م، ص511. حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، ط2، مكتبة النهضة المصرية مصر، 1958م، ص55. عبد المقصود عبد الحميد باشا: الرستميون صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط1، مطبعة الجبلاوي مصر، 1409هـ ـ 1989م ص18. أما المستشرق زامبارو يرى أن هذا النسب رستم بن بهرام بن ساور نسب خرافي. أنظر: كتابه معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ، ترجمة محمد زكي حسن، حسن أحمد محمود، إسماعيل كاشف، حافظ أحمد حمدي، أحمد ممدوح، دار الرائد العربي بيروت لبنان، 1400هـ- 1980م، ص ص100 ـ 101. ويرى ابن خلدون، أن عبد الرحمان من سلالة قائد الفرس بالقادسية. وهذا القول مستبعد جدا لأن رستم قتل بالقادسية سنة 14هـ أو 15هـ. وكما هو معلوم أن عبد الرحمان بن رستم توفي سنة 171هـ. وبذلك يكون عمره أكثر من قرن ونصف، وهذا مستحيل. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص225. بحاز =إبراهيم: الدولة الرستمية، ص39.

وعاصم السدراتي[1] وأبو داود القبلي النفزاوي[2] وإسماعيل بن درار الغدامسي[3].

وكانت الثورة الثانية في المغرب الإسلامي بقيادة أبي الخطاب عبد الأعلى ابن السمح المعافري الإباضي الذي بويع بالإمامة سنة 140هـ من طرف الإباضيين. وفي نفس السنة توجه بجيش إلى مدينة طرابلس[4]،

---

(1) عاصم السدراتي: ينتمي إلى قبيلة سدراتة وموطنها غربي الأوراس، وقتل مسموما أثناء حصار أبي الخطاب المعافري للقيروان. أنظر: عبد المقصود باشا: الرستميون صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ص18.

(2) أبو داود القبلي: ينتمي إلى قبيلة نفزاوة البربرية، وموطنها جنوب تونس. أنظر: عبد المقصود: المرجع نفسه، ص18

(3) إسماعيل بن درار الغدامسي: ينتمي إلى منطقة غدامس جنوب طرابلس. أنظر: عبد المقصود: المرجع نفسه، ص18.

(4) طرابلس: (TRIPOLI). تكتب أيضا اطرابلس، وهذا الاسم كان يعني في الأصل مجموعة من المدن الثلاث: هي صبرة (SABAREHA)، وأباس (OEA)، وليدة (PTISMAGNA LE)، والأخيرة هي أهمها. وقد فتح طرابلس والي مصر عمرو ابن العاص وهي أقصى فتوحاته غربا. أنظر:



فدخلها وطرد منها واليها الذي فرّ إلى المشرق الإسلامي[1].

قامت قبيلة ورفجومة الصفرية بمهاجمة القيروان بقيادة عاصم بن جميل الورفجومي الصفري، فاحتلها وطرد منها واليها حبيب بن عبد الرحمان بن حبيب الذي تحصن بجبل الأوراس، فلحقه عاصم بن جميل فدارت بينهما معركة وانتصر فيها حبيب وقتل عاصم. هذا ما شجع حبيب على استرداد القيـروان من خليفة عـاصم عبد الملك ابن أبي الجعد اليفرني ـ الملقب في قومه بالكاهن ـ ولكن حبيب

=لسان الدين بن الخطيب: المغرب العربي، ص11.

(1) سليمان داود بن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، مطبعة أبو داود الجزئر، 1993م، ص ص52ـ 53. سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ط2 ، طبعة تونس، 1357هـ ـ 1938م، ص ص52 ـ 53. محمد بن عميرة : دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزئر، 1984م، ص96. عبد الله بن يحي الباروني النفوسي: رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، طبع بمطبعة النجاح مصر، 1324هـ ص9 . أبو زكرياء: سير الأئمة من ص38 إلى ص40.



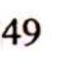
فشل ولقي مصرعه سنة 140هـ.

وفي الوقت ذاته ارتكبت قبيلة ورفجومة أعمال شنيعة في القيروان من نهب وسلب وانتهاك للحرمات والأعراض، حتى وصلت إلى حد يتنافى مع الإنسانية، مما دفع بامرأة قيروانية إلى كتابة رسالة إلى أبي الخطاب المعافري، تشكو إليه ظلم قبيلة ورفجومة وخوفها على عرضها، وابنتها التي أخفتها في حفرة تحت سريرها.

ولما وصلت الرسالة إليه أعلن النفير وهيـأ جيشه وأمره بالاستعداد، والزحف إلى القيروان لإنقاذها من هذا الظلم

والبطش، فحاصرها مدة من الزمن. وبعد ذلك قتل زعيم الصفريـة عبد الملك بن أبي الجعـد اليفرني واستطاع أن يحررها من الطغيان سنة 141هـ[1].واستخلف أبو الخطاب المعافري على القيروان عبد

(1) حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار تونس، 1979م، ص 425ـ 426. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص ص64ـ 65. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص29. الباروني: رسالة سلم، ص9. سليمان الباروني: مختصر تاريخ



الرحمان بن رستم، وانصرف إلى طرابلس.

لما بلغت الخليفة أبو جعفر المنصـور[1] أخبار هزيـمة قبيلة

الإباضية، ص33. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، =ط2، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، 1384هـ ـ 1965م، ج1، ص219. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص71. ابن خلدون: العبر، ج4، ص410. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5 ، ص ص 316ـ317. محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس160هـ ـ 297هـ، ط3، دار القلم الكويت، 1408هـ ـ 1987م، ص68. جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م، ص26 ـ 27. سليمان داود: مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية وتركيزها، الأصالة ع: 49ـ 50، 1397هـ ـ 1977م، الجزائر، ص87 ـ 88. بحاز : الدولة الرستمية، ص66.

(1) أبو جعفر المنصور (90 ـ 158هـ / 775 ـ 814 م): هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، ثاني خلفاء بني العباس. أول من عني بالعلوم من ملوك العرب، وكان عارفا باللغة والفقه والأدب. ولد في الحميمة من أرض الشراة قرب معان، وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة 136هـ.



ورفجومة، وانتصار الجيش الإباضي عليها. أرسل جيشا كبيرا قوامه خمسين ألف مقاتل إلى المغرب الإسلامي بقيادة واليه على مصر محمد بن الأشعث الخزاعي[1].

وهو باني مدينة بغداد، حيث أمر بتخطيطها سنة 145هـ وجعلها دار ملكه =بدلا من الهاشمية التي بناها السفاح. ومن آثاره مدن المصيصة والرفقة بالرقة، وزيادة في المسجد الحرام. وهو والد الخلفاء العباسيين جميعا وكان حازما وأنه قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه. توفي ببئر ميمون من أرض مكة محرما بالحج، ودفن في الجحون بمكة. ومدة خلافته 22 عاما، ويؤخذ عليه قتله لأبي مسلم الخراساني سنة 137هـ. أنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط2، مطبعة كوستاسوماس وشركاه، 1383هـ ـ 1954م، ج2، ص259.

(1) محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي: كان واليا على مصر وهو أحد كبار القادة في خلافة أبي جعفر المنصور، هذا الأخير كلفه بمهمة القضاء على فتنة الخوارج بإفريقية. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج4، ص 196. ابن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بلا تا، ج1، ص 340. أبو عمر محمد بن

هذا الأخير بعث عمرو بن الأحوص العجلي على رأس جيش، لملاقاة أبي الخطاب وجنده في منطقة مغمداس في غرب سرت بإقليم طرابلس سنة 142 هـ ـ 759م.

ودارت بينهما معركة انتهت بهزيمة أبي الأحوص العجلي، وانسحابه إلى مصر. ولما وصلت أنباء هذه الهزيـمة إلى الخلافة العباسية، أرسل أبو جعفر المنصور إلى ابن الأشعث الخزاعـي يأمره بالمسير بنفسه إلى المغرب الإسـلامي بجيش كبير قدره أربعون ألفـا من المقاتلين[1]، منهم ثلاثون ألفا من جند خراسان وعشر ألاف من

=يوسف المصري الكندي: كتاب الولاة والقضاة، تقديم بقلم حسن أحمد محمود الدار المصرية للتأليف والترجمة مصر، ص113.

(1) الكندي : الولاة والقضاة، ص113. عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق أحمد ميلاد، محمد إدريس، تقديم مراجعة حمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1401هـ ـ 1990م، ص169. محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م، ص20. حسن عبد الوهاب:




جند الشام، وحين علم أبو الخطاب بالأمر حشد حوالي مائتي ألف[1]. وقيل أنه بلغ سبعين ألف جندي[2]، وبعث لابن رستم الفارسي ليلتحق به.

عسكر أبو الخطاب مع جيشه في أرض سرت بإقليم طرابلس، وأرسل ابن الأشعث الخزاعي عيونه ليأتوه بأخبارهم، وفي المقابل فعل أبو الخطاب نفس الخطة. وأمام كثرة جموع هذا الأخير.

=ورقات عن الحضارة العربية، ص ص225 ـ 226. موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ص169. محمد بن عميرة: دور زناتة، ص100.

(1) عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص70. أبو جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة القاهرة مصر، 1358هـ ـ 1939م، ج2 ، ص 304. جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، ص28. بوخالفة نور الهدي: أنساب القبائل العربية المهاجرة بمواليها إلى بلاد المغرب خلال القرون الأربعة للهجرة، أطروحة دكتوراه دولة، معهد التاريخ جامعة وهران، 1994ـ 1995م، ص295.

(2) عبد المقصود باشا : الرستميون، ص23. الحريري: المرجع السابق، ص71.





وتظاهر ابن الأشعث بالانسحاب والرجوع إلى مصر والعدول عن محاربة ابن الخطاب، واستعمل الحيلة والمكيدة في الرحيل وتثاقل في سيره. فاطمأن أبو الخطاب بأن الجيوش المهاجمة قد ولت الأدبار، وتفرق جيش أبي الخطاب عنه إلى مزارعهم فأغلبهم كانوا فلاحين. ونقص عدده وعدته وتشتت جموعهم مما سهل مهمة ابن الأشعث في المباغتة والقضاء على من بقي مع أبي الخطاب في معركة تاروغا[1] سنة 144هـ ـ 761م[2].

وكانت الهزيمة منكرة للقائـد أبي الخطـاب الذي لقي مصرعه

(1) تاروغا: تاروغة المنطقة التي وقعت فيها المعركة المذكورة، وتبعد مسيرة أربعة أيام من مدينة طرابلس شرقا. أنظر: أبو زكرياء: سير الأئمة، ص45. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص67.

(2) إسماعيل محمود: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص66. الشماخي: السير، ص131ـ 132. الحريري: المرجع السابق، ص71. محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص103. حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، ص425. ابن خلدون: العبر، ج6، ص647. جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، ص28. بحاز: المرجع السابق، ص67.



فيها مع أربعة عشر ألف من جنده[1]، وقيل قتل اثني عشر ألفا[2]، والتجأ الباقون إلى الجبال يتحصنون بها. لم يكتف ابن الأشعث بالنصـــر وما آلت إليه الإباضية من وهن وضعف، ولكنه تمادى في ملاحقتهم في كل مكان، وقتل منهم الكثير[3].

بعد هزيمة أبي الخطاب المعافري وهروب عبد الرحمان بن رستم الفارسي، تداعت القبائل البربرية الإباضية إلى الكتمان والتنظيم السري من جديد مدة من الزمن في منطقة طرابلس، حيث قبيلة نفوسة البربرية الإباضية القوية عسكريا في المغرب الإسلامي. اجتمعت هذه الأخيرة مع القبائل البربرية الأخرى، على اختيار إمام وحاكم يقودهم، فوقعت

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص83. أبو زكرياء: المصدر السابق، ص46. ابن خلـدون: المصدر السابق، ج4 ، ص 411. عبد المقصود: المرجع السابق، ص24.

(2) عبد المقصود: المرجع نفسه، ص24.

(3) ابن عذاري: البيان، ج1، ص73. الشماخي: السير، ص132ـ 133. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص68.



البيعة على أبي حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي الهواري الإباضي[1] 145هـ ـ 762م.

إذ استطاع هذا الإمام بجيشه أن ينتصر على ولاة الخلافة العباسية في عدة معارك ويدخل طرابلس منتصرا، ويشدد الخناق على القيروان حتى ضاق أهلها مرارة الحصار، فلم يستطيعوا المقاومة والصمود أمام قوة جيشه فلجأوا إليه[2]. وتوجه عبد الرحمان بعد

---

(1) أبو حاتم: هو يعقوب بن لبيب الملزوزي بن حبيب الكندي بالولاء، ثار على رأس جمع كثير من البربر في 151هـ وهزم جيوش عمر بن حفص أمير إفريقية عند طرابلس، وحاصر القيروان فقاتل عمر حتى قتل، وظل يغزو ويقتل في البلاد متخذ جبل نفوسة قاعدة له. سير إليه الخليفة العباسي، يزيد بن حاتم على رأس جيش يبلغ عدد رجاله ستين ألف مقاتل، مات أبو حاتم الملزوزي في سنة 155هـ أنظر: أبو زكرياء: سير الأئمة، ص49.

(2) سليمان داود: حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، ص56ـ 57. مجهودات الدولة الرستمية، الأصالة ع: 49ـ 50 ص90ـ 91. ناصر المرشد البريك: الإباضية في الفكر السياسي الإسلامي وأثرها في قيام =الدول، الإجتهاد ع:13، بيروت لبنان، 1412هـ 1991م، ص120. بحاز: المرجع



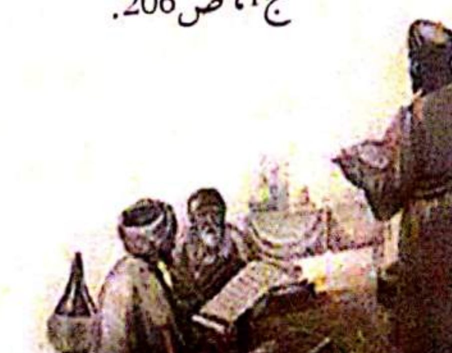
ذلك إلى منطقة طُبنَة[1]، ومعه جمع كثير منهم: أبوقرة اليفرني أو المغيلي الصفري[2] في أربعين ألفا من الصفرية، وعبد الرحمان بن رستم في خمسة عشر ألفا وعاصم السدراتي الإباضي في ستة آلاف، والمسور بن هانئ الزناتي في عشرة آلاف من الإباضية، وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي في ألفين من صنهاجة الصفرية، وجرير بن مسعود المديوني في من تبعه من قبيلة مديونـة وقبائل هوارة وزناتة،

=السابق، ص68ـ 69.

(1) طُبْنَـة: (TABNA)، بضم الطاء وسكون الباء وفتح النون. كانت عاصمة الزاب ومقر الولاة، وتقع في وسط الزاب الممتد جنوب ولاية قسنطينة وكانت عاصمة الجزائر. وقد اشتهرت طُبنَـة بعلمائها ورجالها في العصور الوسطى، وتوجد آثارها الآن في شرق الحضنة على بعد (4كلم) شمال مدينة بريكة من باتنة، ومن المحتمل أن تكون طُبنة هي مدينة (THABUNAE) القديمة. أنظر: لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في المغرب الوسيط، ص48.

(2) سليمان: حلقات، ص57. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ص206.





وأبو حاتم في جيش كبير قوي[1].

تقدم أبو قرة على رأس هذه الجيوش باتجاه إفريقية، لما علم بخروج والي القيروان عمر بن حفص المهلبي التميمي - المعروف بهزارمرد والمشهور بأبي الدوانق - إلى مدينة طُبنة لتحصينها، فعرج أبو قـرة ومن معه إليها وحاصرها، وحين رأى ابن حفص عجزه أمام هذه الجيوش الحاشدة. لجأ إلى حيلة ودهاء لإنقاذ الموقف بتقديم الأموال - سبعين ألف درهم - والحلل الفاخرة والهدايا الثمينة إلى كل من أبي قرة الصفري وأخيه، فعملا على سحب جنودهما. وانسحبت باقي الجيوش بعد أبي قـرة، ونجا عمر ابن حفص من هذا الحصار والهزيمـة المؤكدة[2].

ومما يلفت النظر في هذا الحصار أن عبد الرحمان بن رستم لم

(1) الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ص206. سليمان: مجهودات الدولة الرستمية، الأصالة ع: 49ـ 50، ص92. جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، ص82ـ 83.

(2) جودت عبد الكريم: المرجع نفسه، ص83.



يشارك مشاركة فعالة، وإنما عسكر بجيوشه في منطقة تهودة[1] في الزاب بعيدة عن طُبنة. واستمر هناك حتى وصلته أخبار انسحاب الجيوش، فعزم على الرحيل لكن عمر بن حفص باغته بجيش كبير بقيادة معمر بن عيسى العبدي فهزمه، وولى عبد الرحمان بن رستم إلى تيهرت[2] رجع عمر بن حفص إلى القيروان، فحاصره أبوحاتم الملزوزي، فخرج لمحاربته ودارت بينهما معركة وقتل عامل العباسيين سنة 154هـ ـ 771م. سمع الخليفة العباسي بهزيمة جيوشه، فأرسل يزيد

---

(1) تهودة: مدينة كبيرة قديمة أزلية عليها سور عظيم مبني بالحجر الجليل، تقع بالقرب من بسكرة، ولها رياض كبيرة وجنات كثيرة ويحيط بجميعها خندق، ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل الأوراس، حتى إذا كان بينهم وبين أعدائهم حرب، وخشوا نزولهم إليهم أجروا ماء النهر في الخندق المحيط بهم، فامتنعوا منهم. أنظر: مؤلف مجهول: كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار ووصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري (12م)، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية مصر، 1958م، ص ص174ـ 175.

(2) محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور، ص ص21–22.





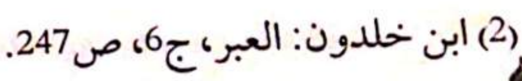
بن حاتم المهلبي الأزدي لمواجهة أبي حاتم الملـزوزي في جيش كبير، استطاع يزيد أن يهزم الإباعيين ويقضي على إمامهم سنة 155هـ-772م[1].

بعد كل هذه الأحداث المتعاقبة في هزيمة جيش الإمام الأول أبي الخطاب المعافري وقتله، وحصار طُبنة وهزيمة عبد الرحمان بن رستم في موقعة تهودة، ثم انهزام إمام الإباضيين الثاني أبي حاتم.

وتسلل عبد الرحمان بن رستم من القيروان هاربا مع أهله وولده وثلة من أعوانه مختفيا، حتى وصل إلى المغرب الأوسط ونزل على قبيلة لماية البربرية لقديم حلف بينه وبينهم[2].

(1) ناصر البريك: الإباضية، الإجتهاد ع:13، ص120. سليمان داود: مجهودات، الأصالة ع: 49- 50، ص92. الرقيق القيروني: تاريخ المغرب وإفريقية، ص143- 144/ 159- 160. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص79. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ص206. الطمار: المرجع السابق، ص 22- 23. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص 69.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص247.





ويعتبر فرار عبد الرحمان بن رستم الفارسي نقطة تحول في تاريخ المغرب الأوسط خاصة والإباضية في المغرب الإسلامي عامة[1].

---

(1) عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج1، ص 219. سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص36. عبد الله شريط ومحمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، طبع ونشر مكتبة البعث قسنطينة الجزائر، 1965م، ص60. وكتاب مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1983م، ص80. عبد العزيز المجدوب: الصراع بإفريقية، ص109. ناصر البريك: الإباضية، الإجتهاد، ع: 13، ص119.





نحو نشأة الدولة الرستمية:

1ـ الوطن الجديد (المغرب الأوسط):

تداعت القبائل البربرية التي اعتنقت المذهب الإباضي بعد هزيمة أبي الخطاب المعافري، وهروب والي القيروان عبد الرحمان بن رستم إلى المغرب الأوسط[1] إلى الهدوء والكتمان مدة من الزمن[2]. ولم يستطع

---

(1) المغرب الأوسط: يشتمل على معظم البلاد الجزائرية الحالية باستثناء ما ذكر، ويضاف إلى ذلك الناحية الشرقية من البلاد المراكشية، أي مقاطعة وجدة الحالية وقاعدته تيهرت. ومن أشهر مدنه تلمسان ووهران وتنس وفيروة وسلمة وسليمة، وهذه المدن الثلاثة الأخيرة عفا رسمها، ولم يبق إلا اسمها ولا يعرف الآن موقعها. أنظر: محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد من شعر بكر ابن حماد التاهرتي، ط1، طبع بالمطبعة العلوية مستغانم الجزائر، 1385هـ ـ 1966م، ص 109.

(2) بحاز إبراهيم بكير: عبد الرحمان بن رستم (160ـ 171هـ/ 777ـ 788م)،





الإباضيون من تأسيس دولة إباضية أخرى في القيروان، التي أصبحت في قبضة ولاة العباسيين. ففكر دعاة الإباضية الالتحاق بعبد الرحمان في المغرب الأوسط، ونشر دعوتهم فيه.

كانت رحلة عبد الرحمان بن رستم[1] من مدينة القيروان باتجاه المغرب الأوسط، شاقة ومليئة بالمخاطر والمآسي، ولقد وصفها المؤرخ الدرجيني بقوله: (خرج عبد الرحمان هو وابنه عبد الوهاب وعبد لهما، خائفين مستخفين متوجهين إلى أرض المغرب ـ الأوسط ـ وليس معه حمولة ولا مركوب غير فرس واحد، فمات في بعض الطريق، فدفنوه

=المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1990م. ص28

(1) سلك عبد الرحمان بن رستم طريقا جنوبيا وعرا يعترضه الصعاب، سائرا بين القبائل البربرية من منطقة قسطيلية إلى جنوب البلاد التونسية، فصحراء المغرب الأوسط من شرقها إلى غربها حتى وصل إلى جبل سوفجج. أنظر: محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ط1، طبع بدار إحياء الكتب العربية، 1383هـ ـ 1963م، ج3، ص256. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية، دار النهضة العربية بيروت لبنان، 1981م، ص540.



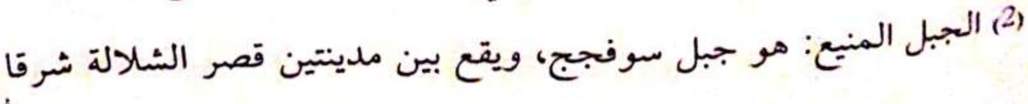
مخافة أن تقص أثرهم، فيطمع فيهم وذلك خارج قسطيلية[1]، فسمي ذلك الموضع (موضع الفرس).

فلما عدموا الفرس وقد ضعفت قوى عبد الرحمان. تعاون عليه ابنه يحمله تارة، والعبد تارة أخرى. فلما وصلوا إلى واد أجج وهو جبل منيع قصده عبد الرحـمان وتحصن به... لحقه هنالك ستون شيخا من شيوخ الإباضية من طرابلس.

سمع ابن الأشعـث الخزاعي، فأقبل مجدا في طلبه. فأخبر بأنه في جبل منيع[2] حتى وصله، فحاصر عبد الرحمان بن رستم،

---

(1) قسطيلية: قسطيلية من بلاد الجريد، وهو قطر كبير فيه مدن كثيرة قاعدتها توزركلاها الله (وهي المدينة السعيدة، التي هلك عليها عدو الله شقيميورقة). وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور مبني بالحجارة والطوب، وحولها أرباض واسعة. ولها أربعة أبواب وعليها غابة كبيرة، وهي أكثر بلاد الجريد تمرا. تمتاز جميع بلاد إفريقية وبلاد الصحراء تمرا لكثرته بها ورخصة. أنظر: صاحب الإستبصار في عجائب الأمصار، ص155.



(2) الجبل المنيع: هو جبل سوفجج، ويقع بين مدينتين قصر الشلالة شرقا



فاطال عليه المكث. فرجع إلى القيروان وقد يئس من عبد الرحمان وأصحابه)[1].

وكان هذا الجبل (سوفجج) عامرا بالإباضية، فأدركوا عبد الرحمان وأنزلوه بينهم، فسمع به وجوه الإباضية وعلماؤها فقصدوه من كل النواحي والبقاع، حتى اجتمع لديه من طرابلس وجبل نفوسة[2].

اجتمعت جموع الإباضية التي تقاطرت من كل حدب وصوب،

=والسوقر غربا وجنوبي مدينة تيهرت. ومعروف حاليا بجبل بوشقيف. أنظر:محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص256. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ص540ـ 541.

(1) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص ص34-35.

(2) سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني النفوسي: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مطبعة الأزهار البارونية مصر، بد ط، بلا تا، ج2، ص04. سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص37. بحاز إبراهيم: عبد الرحمان بن رستم، ص30. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج1 ص219. محمد بلغراد: الحركة الإباضية في تاهرت وسدراتة، الأصالة ع:41، محرم 1397هـ/ جانفي 1977م، ص45.



على عبد الرحمان الفارسي. والتفت حوله ورأت أنه القائد المناسب، الذي سيحقق طموحاتهم في المغرب الأوسط ويؤسس قاعدة أساسية لدولة فتية، يلتفون حولها ويحتمون بها[1].

كثر الإباضيون في هذا الوقت بالذات من المغربين الأدنى والأوسط ومن المشرق الإسلامي، وتمركزوا في منطقة واحدة والتفوا حول عبد الرحمان بن رستم الفارسي، ورأوا ضرورة اتخاذ مكان منيع وآمن ومركز لنشر دعوتهم وبث أفكارهم، والشروع في بناء مدينة يأوون إليها ويتحصنون بها من الأخطار الخارجية[2].

أجمع الإباضيون الموجودون في المغرب الأوسط على مبايعة عبد الرحمان ابن رستم ليكون أميرا عليهم. والتطلع بعد ذلك لإنشاء مدينة، تكون عاصمة لدولتهم فيما بعد، فكان اختيارهم على مدينة

---

(1) بحاز: عبد الرحمان بن رستم، ص30.

(2) المرجع نفسه، ص30. وكتاب الدولة الرستمية، من ص81 إلى ص85. الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص220.



تدعى تيهرت[1].

(1) إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط1، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة المدرسة الدار الإفريقية العربية 1989م، ص164. محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي، المغرب العربي، ط1، دار الفكر العربي، 1386هـ/ 1966م، ص218. عمر فروخ: العرب والإسلام في الحوض العربي البحر الأبيض المتوسط من فتح المغرب وفتح الأندلس إلى أخر الولاة 138هـ / 756م، ط1، منشورات المكتب التجاري بيروت لبنان، 1378هـ/ 1959م، ص178. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص110. ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عن الفرنسية د. عبد الرحمان بدوي، دار العرب الإسلامي بيروت لبنان، 1987م، ص149. عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع الدار البيضاء المغرب، بد ط، بلا تا، ص135. حسن عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ص426. ناصر البريك: الإباضية في الفكر السياسي الإسلامي وأثرها في قيام الدول، الإجتهاد ع: 13، ص119. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص540.

HENRI DE LABASTIDE: Maghreb، Tunisie، Maroc، préface de louis faugere



2ـ تيهرت:

قرر عبد الرحمان بن رستم وجماعته بناء هذه المدينة (تيهرت)[1]، فخرجت طائفة منهم ترتاد مكانا صالحا لهذا لمشروع الجديد. فوقع اختيارهم على موضع يسمى تيهرت، دون غيره من المناطق. إذ يمتاز بجودة الهواء النقي وكثرة المياه وخصب الأراضي. وقابل للعمارة والتعمير، مأمونا وآمنا للإباضيين من العدو وحصنا منيعا لهم[2].

---

conseiller d'état, Horizons, Paris, France, 1973, p34.

(1) تيهرت: تيهرت أو تاهرت كما يسميها المؤرخون، ولقد اختلف في بنائها حيث يرى الرقيق القيرواني أنها بنيت سنة 144هـ. أنظر: تاريخ إفريقية والمغرب، ص143. أما عبد الرحمان بن خلدون أنها بنيت سنة144هـ. أنظر: العبر، ج6، ص225 ومعظم المصادر والمراجع التاريخية تشير إلى أن بناءها كان بعد سنة 155هـ وبداية 156هـ . أنظر: بحاز إبراهيم: عبد الرحمان ابن رستم، ص30. وكتاب الدولة، ص ص84 ـ 85.

(2) الشماخي: السير، ص139. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص ص5ـ6.



تيهرت بعيدة عن القيروان، تفصل بينهما منطقة الزاب[1] وجبال الأوراس، وهي بمأمن من ضربات الأسطول البيزنطي لبعدها عن الساحل، وموقع متوسط بين التل والصحراء. وبذلك فهي حلقة وصل بين تجارة الصحراء وما وراء البحر على الطريق بين المشرق والمغرب الأقصى والأندلس الإسلامية[2].

(1) الزاب: تعريف قديم للقسم الجنوبي من عمالة قسنطينة، وقاعدته الآن مدينة بسكرة. أنظر: حسن عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص57.

(2) الأندلس: هي جزيرة كبيرة تغلب عليها المياه الجارية، والشجر والتمر والرخص والسعة في الأحوال. وهي جزيرة ذات ثلاثة أركان. أما الأندلس في ذاتها فهي تشكل مثلث يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث. البحر الشماسي من الجنوب والبحر المظلم من الغرب والبحر الإنقليشين (الإنقليز) من الشمال. وهي مقسومة من وسطها بجبال الشارات، وتسمى إشبانيا (إسبانيا). أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر بيروت لبنان، 1375هـ / 1956م، ج1، ص ص262 ـ 263. محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسن الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر

يتحدث الجغرافي البكري عن كيفية بناء هذه المدينة الجديدة فيقول: (أنهم لما أرادوا بناء تاهـرت، كانوا يبنون النهار فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم فبنوا حينئذ تاهرت السفلى وهي الحديثة، وهي على خمسة أميال من القديمة)[1].

ويضيف البكري: (بأن موضع تاهرت كان عيصة أشبة، ونزل عبد الرحمان منه موضع مربع لا شعراء فيه... وأدركتهم صلاة الجمعة فصلى بهم هنالك وابتدأوا من تلك الساعة، فبنوا في ذلك الموضع مسجدا جامعا... وكان موضع تاهرت، ملكها لقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة، فأرادهم عبد الرحمان على البيع فأبوا. فوافقهم

1983م، ص ص255ـ 256.

(1) البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء مأخوذ من كتاب المسالك الممالك مكتبة المثنى ببغداد العراق، 1857م . ص67.

GAUTIER. E.F: LE Passe de L'Afrique du Nord، Paris، 1952 imprime en France، p 3 et 6.





على أن يؤدوا إليهم الخراج من الأسواق، ويبيحوا لهم بنيان المساكن فاختطوا وبنوا، وسمي الموضع معسكر عبد الرحمان بن رستم إلى اليوم)[1].

وصف الجغرافيون وأشهر الرحالة مدينة تيهرت بأوصاف مختلفة ومتعددة منها قول البكري : (مدينة تيهرت مسورة لها أربعة أبواب: باب الصفا وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن. وهي سفح جبل يقال له جزول. ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة، وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة وهو في قبلتها. ونهر آخر يجري من عيون تجتمع، تسمى تاتش (بالضم)، ومنه شرب أهلها وبساتينها، وهو في شرقيها. وفيها جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشما. وسفرجلها يسمى بالفارس. وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج.)[2]. ويصفها الإدريسي بقوله: (بين مدينة تاهرت والبحر مراحل، ومدينة تاهرت كانت فيما سلف من

(1) البكري: المصدر السابق، ص ص66 – 67.

(2) البكري: المغرب، ص67.



الزمن مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة. والقديمة من هاتين المدينتين ذات أسوار، وهي على قمة جبل قليل العلو. وبها ناس وجمل من البربر ولهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة، وبأرضها مزارع وضياع جمة. وبها من نتاج البراذين والخيل كل حسن. وأما البقر والغنم فكثيرة بها جدا، وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتها كثيرة مباركة.

وبمدينة تاهرت مياه متدفقة وعيون جارية، تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون بها، ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروبا من الفاكهة الحسنة وبالجملة أنها بقعة حسنة)[1].

وقال فيها الحموي مايلي: (تاهرت اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة، بينهما وبين المسيلة ست مراحل. وهي بين تلمسان، وقلعة

---

(1) الإدريسي: القارة الإفريقية، ص157. وكتاب آخر: وصف إفريقية الصحراوية مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، قد اعتنى بتصحيحه ونشره هنري بيريس الجزائر، 1376هـ / 1953م، ص60 .



بني حماد. وهي كثيرة الأنداء والضباب والأمطار، حتى أن الشمس بها قل أن ترى)[1].

وأبدع المقدسي في وصفها حيث قال: (تاهرت اسم القصبة أيضا هي بلخ المغرب. قد أحدق بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين، ونبعت حولها الأعين، وجل بها الإقليم.

وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب يفضلونها على دمشق وما أخطأوا، وعلى قرطبــة وما أظنهم أصابوا. وهو بلد كثير الخير رحب، رفق طيب، رشيق الأسواق، غزير الماء، جيد الأهل، قديم الوضع محكم الرصف، عجيب الوصف)[2].

وذكرها ابن حوقــل بقوله :(تاهرت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص8.

(2) المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريد المسيحية، 1906م، ص 228. إسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م، ص143.



سور لكل إمام خطيب، والتجار والتجارة بالمحدثة أكثر، ولهم مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم، وأشجار وبساتين وحمامات وخانات. وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية، ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات)[1].

ووصفها الإصطخري في كتابه فقال: (ومدينة كورة تاهرت اسمها تاهرت، وهي كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه. وبها الإباضية وهم الغالبون بها)[2].

وعبّر عنها القلقشندي: (تاهرت القديمة تسمى عبد الخالق، وهي مدينة جليلة، كانت قديما تسمى بغداد المغرب... وبها البساتين الكثيرة

---

(1) ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، بد ط، بلاتا، ص86.

(2) الإصطخري الكرخي: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسين ومراجعة شفيق غربال، دار القلم القاهرة مصر، 1381هـ - 1961م، ص34.





المونقة، والفواكه الحسنة، والسفرجل الذي ليس له نظير طعما وشما)[1].

زارها ابن واضح اليعقوبي، وعلم معالمها وناسها، فتحدث عنها فقال: (تاهرت جليلة المقدار عظيمة الأمر، تسمى عراق المغرب، بها أخلاط من الناس، تغلب عليها قوم من الفرس، يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم)[2].

وصورها صاحب الإستبصار بقوله: (مدينة تاهـرت، وهي مدينة مشهورة قديمة كبيرة، عليها سور من صخر - حجر - ولها قصبة منيعة تسمى المعصومـة وهي في سفح جبل يسمى قرقل (جزول)، وهي على نهر يأتيها من ناحية المغرب، يسمى مينة، ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تانس منه تشرب أرضها وبساتينها. وكان لها

(1) أبو العباس القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الأنا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بد ط، بلا تا، ج5، ص111-112.

(2) ابن واضح اليعقوبي: صفة المغرب مأخوذ من كتاب البلدان، مطبع بريل مدينة ليدن، 1860م، ص21.



بساتين كثيرة، فيها جميع الثمار، وفيها سفرجل يفوق سفرجل جميع البلاد حسنا وطعما ورائحة. وبلد تاهرت شديدة البرد، كثيرة الغيوم والثلج)[1].

إن هذه الأوصاف، التي استصفت بها مدينة تيهرت ميزتها بعدة مزايا لتجعل منها عاصمة لدولة مستقلة ذات نظام إباضي فيما بعد:

أولا:

تقع تيهرت في منطقة محاطة بقبائل بربرية متعددة، معتنقة المذهب الإباضي كما جاء في سياق حديث البكري :(... ويقبليها لواتة وهوارة وفي قرارات ويغربيها زواغة ويجوفيها مطماطة وزناتة ومكناسة، وقد ذكرنا أن بشرقيها حصن لبرقجانة وهو تاهرت القديمة)[2].

وتعتبر نقطة اتصال بالإباضيين الموجودين في مناطق طرابلس

(1) مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار، ص 178.

(2) البكري: المغرب، ص 67.





ونفزاوة وبلاد الجريد، وكل الأقاليم الشرقية المغربية[1].

ثانيا:

تقع تيهرت في موقع جغرافي إستراتيجي هام وفي منطقة غنية اقتصاديا، فهي تشتهر بمراعيها الواسعة والشاسعة، وثرواتها الزراعية المختلفة والمتنوعة. ويرجع ذلك أولا وأخيرا لكثرة مصادر المياه فيها. وأنها منطقة تجارية هامة ومهمة بين مدن المغرب الإسلامي، لأنها تقع في مكان يتوسط مناطق التل ومناطق الصحراء، وقد حقق لها ذلك السيطرة على المنطقة السهوبية الواسعة، ومابها من طرق تجارية غربا إلى المغرب الأقصى وجنوبا إلى قلب إفريقية الصحراء الكبرى، كما أنها تشرف على الطريق المار من منطقة التلول إلى أسفل وادي شلف المؤدي إلى البحر[2].

---

(1) عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ص 97.

(2) المرجع نفسه، ص97. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ليبيا، تونس، الجزائر، والمغرب، دار المعارف مصر، 1384ه / 1964م، ص ص375_ 376. محمد دبوز: تاريخ المغرب، ج3، ص225. إبراهيم



هكذا أصبحت تاهرت نموذجا للحياة التجارية الواسعة في بلاد المغرب الإسلامي.

كل هذه العوامل السياسية والاقتصادية والتجارية والاجتماعية، مجتمعة جعلت عبد الرحمان بن رستم الفارسي وجماعته من البربر الإباضيين، باختيار منطقة تيهرت عاصمة مناسبة لدولة منتظرة.

أحمد العدوي: بلاد الجزائر تكوينها العربي والإسلامي، مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة، 1970م، ص ص192ـ 193. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، =ج1، ص220. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص89 ـ 90.



قيام الدولة الرستمية:

تمثل الدولة الرستمية أبرز حركة استقلالية مبكرة بالمغرب الأوسط، التي أسسها عبد الرحمان بن رستم سنة 160هـ/ 777م، وعاصمتها مدينة تاهرت[1] ومما يسجله التاريخ لدولة الجزائر – المغرب الأوسط ـ أنها كانت أول دولة حققت استقلالها في العهد الإسلامي بالمغرب الأوسط، وسجلت قيام حكم إباضي منفصل نهائيا

---

(1) ابن تاويت محمد الطنجي ومحمد الصادق عفيفي: الأدب المغربي، ط2، دار الكتاب اللبناني بيروت، سنة 1969م، ص ص30ـ 31. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط7، مكتبة النهضة المصرية القاهرة سنة 1984م، ص207. أعوشت بكير: رجال خالدون في ذاكرة الإسلام، ص ص57ـ 58





في المجال السياسي والإداري عن الحكم المركزي الإسلامي[1].

ث- حدود الدولة الرستمية:

لم تعرف الدولة الرستمية حدودا ثابتة ومستقرة ومعينة، ظاهرة المعالم خلال تاريخها العريق والطويل، لأن في حقيقة الأمر لم تكن تلك الحدود معروفة في ذلك الزمن، وإنما تكون من باب التقريب حتى تتضح الرقعة الجغرافية التي جرت فيها الأحداث التاريخية والسياسية[2].

قد حكمت الدولة الرستمية من تلول منداس شمالا إلى قرب غليزان، ومن غليزان إلى فرندة، ثم ينعطف خطها شرقي جبل عمور إلى

(1) سليمان داود: حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، ص58. عبد الله شريط: مختصر تاريخ الجزائر، ص ص80 – 81. يحي هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام، ج1، ص ص37 – 38. أعوشت بكير: قطب الأئمة العلامة محمّد بن يوسف أطفيش (1236-1332هـ / 1820-1914م)، حياته وآثاره الفكرية وجهاده، المطبعة العربية غرداية الجزائر، 1989م، ص22

(2) بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص98.



ميزاب وورجلة ـ ورقلة ـ فجنوبا إلى الأغواط (باب الصحراء الجزائرية)، أي أن هذه الدولة قد استولت على جميع الزاب الجزائري الحاضر ماعدا الزاب شرقا ـ قسنطينة ـ وتلمسان غربا. وأما القطاع الشمالي الشرقي ممثلا في مدينة وهران ونهر الشلف، والقطاع الجنوبي ممثلا في ناحية معسكر إلى جبال مديونة أي من أرض الريف غربـا، حتى أرض الحضنة من قسنطينة، فقد كان نصيب الدولـة الثانيـة التي ظهرت على يد إدريس بن عبد الله ابن الحسن العلوي، مؤسس الدولة الإدريسية (172ـ 331هـ / 788ـ 923م) التي مقرها فاس.

وأما القطاع الممتد من سكيكدة شرقا إلى وطن زواوة غربا، ومن ميلة وسطيف شمالا إلى شط الجري كما كان جبل نفوسة خاضعا لها عدة سنوات

2ـ أئمة الدولة الرستمية:

كان حكام هذه الدولة يسمون بالأئمة (جمع إمـام)، وهذا اللقب يسير على الإمام كان حاكما مدنيا أو إماما دينيا، على مقتضى الخلافة





الإسلامية في العالم الإسلامي والمذهب الإباضي لا يحصر الإمامة في أسرة واحدة، ولكن أعيان تيهرت رأوا أن يحصروها في البيت الرستمي أي في أسرة عبد الرحمان بن رستم الفارسي، حتى لا يصل تنافس القبائل البربرية.

كان الرستميون لا يعترفون بتبعية سياسة غيرهم، ودستورهم هو العمل بأحكام القرآن الكريم والسنة المطهرة، وحسب ما تؤديه قواعد اجتهاد أئمة المذهب الإباضــي

أ- إمامة عبد الرحمان بن رستم:

لما وجد الإباضيون في أنفسهم قوة كامنة، أرادوا تولية حاكم عليهم، فاجتمع أهل الرأي والنظر منهم. ووجدوا في كل قبيلة من القبائل حاكما أو حاكمين، وكل واحد منهم يصلح أن يكون أميرا عليهم، ثم قال بعضهم لبعض أن عبد الرحمان[1]، ممن لا تجهلون

---

(1) مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983، ص136.

فضله وتقواه وصلاحه، وهو أحد الخمسة حملة العلم، وعامل الإمام أبي الخطاب المعافري، فاتفقوا على توليته، وخاصة أنه ليس له قبيلة أو أسرة كبيرة تمنعه إذا تغير أو تبدل. وآثروا توليته

=حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا، وبلاد العرب، ص655. حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية، الدينية، الاجتماعية، العمرانيـة والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر (14ق.م ـ20م)، بد ط، بلا تا، ص201. أحمد توفيق المدني: مدخل لدراسة الدولة الرستمية وإسهامها في التطور الفكري والحضاري، مج4 ، محاضرات ومناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي ورجلان 1397هـ ـ 1977م، ص178. وكتاب: الجزائر، ص21. شاوش رمضان: الدر الوقاد، ص ص 27ـ 28. عبد الله شريط 22 الجزائر في مرآة التاريخ، ص60. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج1، ص ص220ـ 221. أعوشت بكير: قطب الأئمة، ص22. رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981م ص36. عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر، ص180.





حتى لا تتميز قبيلة عن أخرى، فقاموا إليه بأجمعهم وقالوا[1]: (يا عبد الرحمان رضيك الإمام - أبو الخطاب - في ابتدائنا، ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على أنفسنا، فقد علمت أنه يصلح أمرنا إلا إماما، نلجأ إليه في أمورنا ونحكم عنده فيما ينوب من أسبابنا. فقال لهم: إن أعطيتموني عهد الله وميثاقه لتستطيبوا إلي ولتطيعوني فيما وافق الحـق وطابقه. قبلت ذلك منكم فأعطوه عهد الله وميثاقـه على ذلك. واشرطـوا عليه مثلما شرط عليهم، وقدموه على أنفسهـم وألقوا إليه بأيديهم)[2].

(1) أبو زكرياء: سير الأئمة، ص53. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص42. عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص8. محمود إسماعيل: الخوارج، ص112. بحاز إبراهيم: عبد الرحمان بن رستم، ص ص7-8. حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الملاديين، ط1، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع بيروت لبنان، 1412هـ-1992م، مج1، ج1، من ص325 إلى ص328.

(2) ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر

بويع عبد الرحمان بن رستم بالإمامة، فأحسن السيرة في حكمه ولم ينقم عليه أحد من رعيته أو من القبائل البربرية، كما أنه بويع بالإمارة من قبل أي في سنة 144هـ ـ 761م[1]، ثم تلتها المبايعة بالإمامة سنة 160هـ ـ 777م[2]. وأصبح أول أئمة الدولة الرستمية، التي اشتق

=وبحاز إبراهيم، دار العربي الإسلامي، 1406هـ ـ 1986م، ص ص29ـ 30. عبد المقصود باشا: الرستميون، ص26.

(1) عبد المقصود: المرجع نفسه، ص26. رابح بونار: المغرب العربي، ص53. مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1359هـ ج2، ص71. عبد الله شريط: الجزائر في مرآة التاريخ، ص60. شيت خطاب: قادة الفتح، ص218.

(2) كل المصادر والمراجع التاريخية تتفق على زمن تولية عبد الرحمان بن رستم الإمامة. إلا بعض المؤرخين منهم ابن عذاري المراكشي، الذي يرى أنها سنة 161هـ ـ 777م. أنظر: البيان المغرب، ج1، ص197. ويرى أحمد بن خالد الناصري السلاوي صاحب الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى في الجزء الأول أن عبد الرحمان بويع بالإمامة سنة 144هـ. أنظر: الصفحة: 115.




اسمها من اسمه (رستم).

شرع الإمام عبد الرحمان بن رستم بعد مبايعته في العمل على توطيد حكمه وإرساء دعائمة دولته الناشئة، ومواجهة العراقيل والصعاب المصاحبة، لقيام أية دولة مستقلة سواء فيما يتعلق بسياستها الداخلية أو الخارجية. والجدير بالذكر أنه كرس جهوده لمواجهة الأعباء الداخلية، ملتزما سياسة المصالحة مع دول مستقلة مجاورة له. حرصا على بقاء عداوته لعمال بني العباس في إفريقية، كما أظهر اليسع بن أبي القاسم إمام الصفريين في أقصى جنوب المغرب، رغبة في مسالمة بني مدرار[1].

لما اطمأن على سلامة دولته من الأخطار الخارجية، شرع في إرساء دعائمها الداخلية، فاهتم بتنظيم شوؤن بلاده، واتسع سلطانه بين القبائل البربرية الكثيرة، التي دخلت تحت طاعته وحمايته وعلى رأسها قبيلة نفوسة البربرية، وساد الأمن والسلام ربوع دولته.سلك الإمام

---

(1) محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص112.



في الناس سبيل العدل والإنصاف[1]. وهذا ما أكده ابن الصغير بقوله: (لما ولي عبد الرحمان بن رستم ما ولي من أمور الناس شمر مئزره، وأحسن سيرته وجلس في مسجده للأرملة والضعيف. ولا يخاف في الله لومة لائم، فطار ذلك في أطراف الأرض مشارقها مغاربها)[2].

كان عبد الرحمان لا يستبد برأي وإنما كان يشاور أهل الرأي والنظر في مجلس الشـورى، فانتشرت سيرته الحسنة في المشرق الإسلامي، فكثر أنصاره ومؤيدوه في المغرب والعراق ومصر. واعتزت

---

(1) عبد الله البـاروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص85. بحاز إبراهيم: عبد الرحـمان، ص38. رابح بونار: المغرب العربي، ص36 سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص37. شيت خطاب: قادة الفتح، ص218. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر ،ج2 . ص71.

_BEKRI.CHIKH: LE Kharidjisme Berbère، quelques aspects du royaume Rustumide، annales de l'institut d'études orientales، (a. i e.o) Université D'Alger، Tome X V Alger 1957، p 66 et 74.

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص32.





إباضية البصرة بهذه الدولة المستقلة في المغرب الأوسط حيث تحققت بها أمنيتهم في قيام إمامة على المذهب الإباضي لها نفوذها وقوتها. فبعثوا إليه بثلاثة أحمال من الأموال[1].

لما وصلت رسل البصرة إلى تيهرت، جعلوا يسألون عن دار الإمام وقد تركوا الأحمال بخارج المدينة. فلما وصلوا الدار وجدوا الإمام عبد الرحمان بن رستم في أعلى بيت يعمل بيده في السقف وعبد يناوله الطين، فسألوا العبد أن يأذن لهم الإمام، وقد علم العبد أن سيده يسمع كلامه. فقال: لهم اصبروا قليلا، فنزل عبد الرحمان وغسل يديه من الطين. وأذن لهم فدخلوا فسلموا عليه، وأمر بخبز وسمن فقدم بين أيديهم فلما أكلوا استأذنوا لتنجي عنه، فأذن لهم فتناجوا واتفقوا أن يدفعوا له المال، وأنهم راضون ما عاينوه من أحواله. ولما وصلت الأموال، ووضعت للإمام فشاور أصحابه فيها، فأشاروا عليه بأن يأخذها

---

(1) عوض خليفات: التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية، ص10. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص45. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ص548. أعوشت بكير: رجال خالدون، ص61.



ويبني بها صرح الدولة، وما تبقى منها يوزعها على فقراء المجتمع.

وفي عهده تحسنت أحوال الرعية وشيدت دعائم الدولة وتقوت، وعم الرخاء أرجاءها وتوسع العمران، وغرست البساتين، وأجريت الأنهار، واتخذت الرحى، وزرعت الغلة وغير ذلك، واتسعت البلاد وأتتها الوفود من كل الأقطار[1].

لم تكتفِ إباضية البصرة بما قدم من مساعدات وأموال للدولة الرستمية، فلم تمض ثلاث سنوات حتى وصلت إلى العاصمة تيهرت قافلة ثانية، تتكون من عشرة أحمال من الأموال[2]، وعندما دخلوها لاحظوا أمورا تغيرت، إذ: (رأوا إلى القصور قد بنيت، وإلى البساتين قد غرست، إلى أرحاء قد نصبت، وإلى خيول قد ركبت، والعبيد والخدم

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص35ـ 36. الدرجيني: طبقات، ج1، ص45. عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص ص102ـ 103. حسين مؤنس: تاريخ المغرب، ص327.

(2) الشماخي: السير، ص140. مؤنس: المرجع السابق، ص327. بحاز إبراهيم: عبد الرحمان بن رستم، ص ص42ـ 43.





قد كثرت)[1]. وقابلوا الإمام عبد الرحمان، فجمع مجلس الشورى كالمرة السابقة للاستشارة، فتركوا له أمر التصرف في هذه الأموال. وأمر بإرجاعها إلى أصحابها ليستعينوا بها في أمورهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فهم أحوج إليها من الرستميين بعدما أصبحت الدولة الرستمية قوية في كل المجالات، فقال لهم: (ارجعوا بما لكم فإن أربابه أحوج إليه منا، لأن في أرض قد استولى عليها العدل، ولهم بلد غلب عليه الجور يدارون به على أنفسهم ومالهم ودينهم)[2]

عكف الإمام عبد الرحمان بن رستم على تنظيم شؤون دولته، وتوطيد سلطانها. ولاشك أنه استفاد من عبقرية الفرس في الحكم والإدارة وفق المذهب الإباضي.

ولقد تطور العمران ونمت التجارة، واتسعت الموارد الاقتصادية. وشهد المغـرب الأوسـط في عهده سنين من الأمن والسلم لم يعرفها من قبل، بفضل قدرته على إيلاف العناصر والعصبيات المختلفة

(1) بحاز: المرجع نفسه، ص ص42ـ 43.

(2)الشماخي: المصدر السابق، ص141.



داخل المجتمع الرستمي.

ولم ينقم على عبد الرحمان أحد من رعيته في خصومة أو حكم ولم يكن على يديه افتراق ولا انشقاق[1]. وعبر الأستاذ عثمان الكعاك عنه بقوله: (فاستمر في عمله فرتب البلاد واستمر فيها العدل والإنصاف منبعا أحكام الدين، ومنبعا لأوامره وافقا عن نواهيه فدانت له الرقاب خاضعة لعدله. ووفدت الأقوام إلى مملكته راحلة تحت رايته لما لها من كفالة في حكمه، في الارتزاق تحت ظل الأمن والرعاية)[2].

أحس عبد الرحمان بن رستم بدنو أجله، فجعل الإمامة شورى في سبعة نفر[3]، إقتداءً بسيرة الخليفة الثاني الفاروق عمر بن الخطاب

---

(1) محمود إسماعيل: الخوارج، ص114. سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص ص37ـ38. عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص 106ـ107.

(2) عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر، ص186.

(3) زاد الشماخي عدد الرجال إلى ثمانية، حيث جعل يزيد بن فندين رجل واحد، وبن قدامة اليفرني شخص آخر. وجعلهما غيره من المؤرخين اسما



ﷺ. وهم من خيرة رجال الدولة ممن كان يتوسم فيهم، الصلاح والعلم والنزاهة، وهم :(مسعود الأندلسي وكان رجلا فاضلا فقيهـا ورعا من شيوخ المسلميــن الإباضيين. وأبو قدامــة يزيد ابن فندين اليفرني ورجل يقال له عمران[1] بن مروان الأندلسي، وعبد الوهاب[2] بن عبد الرحمــان بن رستم ومصعب بن سدمان)[3]، وأوصاهم بالاجتماع والتشاور فيما بينهم لاختيار إمام منهم. توفي عبد الرحمان سنة 171هـ[4] وقيل سنة

=واحدا لشخص واحد. أنظر: السير، ص 145.

(1) اختلاف في التسمية، فالشماخي يسميه، عثمان بن مروان. أنظر: السير، ص145. وسليمان الباروني: مختصر، ص38. أما الدرجيني ذكره باسم مروان الأندلسي. أنظر: طبقات المشائخ، ج1، ص46.

(2) عبد الوهاب بن عبد الرحمان يلقبه ابن عذاري المراكشي بعبد الوارث. أنظر: البيان، ج1، ص197. هوبنكز: النظم الإسلامية ص247.

(3) الدرجيني: المصدر نفسه، ج1، ص46. أبو زكرياء: سير، ص54ـ 55. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص550.

(4) سليمان الباروني: مختصر، ص38. عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص101.



168هـ[1]، وترك دولة قائمة بذاتها على نهج الكتاب والسنة المطهرة حسب قواعد المذهب الإباضي، والمساواة بين العامة[2].

ب- إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان:

اجتمع أهل الشورى بعد وفاة الإمام عبد الرحمان على من يولونه أمر المسلمين فتدافع بعضهم إلى بعض، إلا أن عامة المسلمين مالت إلى اثنين منهم، أحدهما مسعود الأندلسي والآخر عبد الوهاب بن عبد الرحمان*، فالبعض أراد تولية مسعود والبعض الآخر أراد تولية عبد الوهاب، فمكثوا حوالي شهرين يرون الرأي المصيب. ووقع اختيار العامة على مسعود الأندلسي، فبادروه ليبايعوه بالإمامة لكنه رفض هذا الأمر، وفر هاربا من تيهرت واستخفى مدة من الزمن. وابتدروا على مبايعة عبد الوهاب بن رستم. خرج مسعود الأندلسي من مخبئه

---

(1) ابن عذاري: البيان، ج1، ص277. زامبارو: معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ، ج1، ص100.

(2) أعوشت بكير: رجال خالدون، ص61.





ليكون أول من يبايع عبد الوهاب. لكن عارضه يزيد بن فندين وجماعة من مؤيديه، فقالوا: نبايعه على شرط أن لا يقضي أمرا دون جماعة معلومة، فقال لهم مسعود الأندلسي: لا نعلم في الإمامة والحكم شرطا، غير أن يحكم فينا بكتاب الله ﷻ وسنة نبيه الكريم ﷺ، فترك ابن فندين وجماعته الشرط، وأجمع هو ومن معه من الإباضيين على البيعة وتم ذلك[1].

لم يسكت ابن فندين على هذا الموقف وقام بإثارة الفتنة، وطعن في إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان، لأنه كان يطمع في الإمامة والظفر بمقاليد الحكم، لكنه لم ينجح في مبتغاه. اتبع ابن فندين أساليب الانتقام من عبد الوهاب والخروج على طاعته فطلب منه إقامة جماعة معلومة لا يقطع أمرا إلا بإذنها واستشارتها[2]. ومع مرور

---

(1) أبو زكرياء: سير الأئمة، ص56. الدرجيني: طبقات، ج1، ص47. الشماخي: السير، ص145. عبد المقصود باشا: الرستميون، ص36. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ص551.محمد بن عميرة: دور زناتة، ص119.

(2) سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص39. عيسى الحريري:

الأحداث استغل ابن فندين الفرصة لإنكار إمامة عبد الوهاب والتشكيك في صحتها. وأعلن العصيان، فانقسمت الإباضية إلى فرقتين: (الفرقة النكارية)[1] بقيادة يزيد بن فندين وأنصاره وفرقة الوهابية (الوهبية)[2]:

=الدولة الرستمية، ص117.

(1) الفرقة النكارية: هي التي أنكرت إمامة عبد الوهاب. أنظر: صالح باجية: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، ط1 دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع تونس، 1396هـ/ 1976م، ص36.

(2)الوهبية: نسبة إلى الإمام الثاني عبد الوهاب. أنظر: الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص 173. أما إبراهيم البرادي يرى غير ذلك، أن الوهبية تطلق على أتباع عبد الله بن الراسبي. ويقول:(وهو كذلك عندنا فلو نسبت إلى عبد الوهاب، لكانت (الوهابية). فإن قيل الألف في عبد الوهاب زائدة، والحروف الزوائد تسقط عند النسب من الاسم. قلنا: ولو كان كذلك فأين التضعيف، الذي في الهاء. فإذا الاسم من الوهبية بالتشديد، وهذا إفساد وإنما هو الوهبية قال الشاعر في الشطر الأول من هذا البيت: مالي أرى مذهب الوهبي منقرضا. أنظر: أبو القاسم محمد بن إبراهيم البرادي: الجواهر المنتقاة، في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات، طبعة حجرية قسنطينة، 1302هـ، ص 174.



بقيادة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان، وأتباعه من الرستميين[1].

أدى هذا الانشقاق والانفصال إلى استفتاء ومشاورة أهل العلم والفقه من الإباضية في المشرق الإسلامي، حول الشروط التي وضعها يزيد بن فندين في الإمامة والخروج على الإمام.

وجاءت الفتوى الصحيحة تفند شروط يزيد بن فندين، وتحق إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان[2].

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص43. الدرجيني: سير الأئمة، ج1، ص ص47ـ 48. الشماخي: السير، ص144ـ 145. يحي هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ص45.موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1979م، من ص333 إلى ص335. الرقيق: المصدر السابق، ص173. باجية: المرجع السابق، ص36. محمد الطالبي: الدولة الأغلبية (184ـ 296هـ/ 800ـ 909م)، ط2، دار الغرب الإسلامي لبنان، 1985م، ص389.

(2) عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ص117ـ 118 .



لم يرض يزيد بن فنديـن بهذا الأمر، فدبر مؤامرة خطيرة لاغتيال عبد الوهاب في داره أثناء نومه، ولكنها فشلت في بدايتها. وزادت نقمة وحقد المتآمرين على الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان، حيث دارت بين الطرفين حروب ضارية في مدينة تيهرت راح ضحيتها ميمون بن عبد الوهاب. وانتهت بهزيمة فرقـة النكاريـة وقتل منهم حوالي (12000) بما فيهم رئيسهم يزيد بن فندين[1].

بعد هذه الحروب لم تنتهِ فرقة النكارية عند هذا الحد، بل زادت قوتها عندما انظمت إليها فرقة الواصلية المعتزلة[2] ومعظمهم من قبيلة

---

(1) المرجع نفسه، ص118. سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص39. عبد الله الباروني: الأزهـار الرياضية، ج2، ص111. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص552.

(2) الواصلية المعتزلة: تنتسب إلى واصل بن عطاء الغزال (80ـ 131هـ)، ولقد سميت هذه الفرقة بالمعتزلة لإعتزالها حلقة حسن البصري في حكم على مرتكب الكبيرة. ونشرت أفكارها في أنحاء العالـم الإسلامـي، حيث بعث واصل بن عطاء رجاله إلى اليمن ومصر والمغرب... لنشر هذا المذهب. ولها أفكار معروفة في الإيمان والعدل، والأمر بالمعروف والنهي عن

زناتة البربرية التي رفضت مبايعة إمام عبد الوهاب. وأعلنت عصيانها وخروجها عن طاعته سنة 173هـ/ 789م، ومدت يدها إلى دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ومقاطعة تلمســان بقيادة أميرها محمد ابن خرز الزناتي، الذي أخذ يحرض قومه من الزناتيين في شمال تيهرت على العصيان والثورة والإنفصال، والخروج عن الدولة الإباضية الرستمية[1].

=المنكر، والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين. أنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج6، 298. أحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، بلا تا، ج3، ص ص92ـ 93. أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان، 1406هـ ـ 1988م، ج2، ص 298. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، 7ـ 8. يوسف بن بكير: تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق، ص19. صالح باجية: الإباضية بالجريد، ص38.

(1) عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 552. موسى لقبال : دور كتامة، ص335. البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص76. ابن خلدون: العبر، ج4، ص07.

تتألف الفرقة الواصلية من حزب كبير وقوي في شمال تيهرت، فقد ذكرها المؤرخون أنها مجمع كبير بلغ عددها (30 ألفا)، ويعيش أفرادها في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها. وكانوا ينتشرون في شمال تيهرت من مستغانم إلى مقاطعة وهـران، وفي جنوبها في تيلغمت وفي الصحراء، وفي وادي ميزاب.

وانتشر مذهبهم في شمال غربي المغرب الأقصى في إقليم ليلي ونواحيها. وكان هؤلاء الواصلية[1] يدعون إلى الخلافة والإمامة الإسلامية باللسان فقط، ولم يختلفوا مع الإباضية في الدولة الرستمية وتعايشوا معهم في كنف هذه الدولة، إلا أن تحريض الأعداء ضدها وضد عبد الوهاب بن عبد الرحمان، مما اضطره إلى محاربتهم والإنتصار عليهم والقضاء على تمردهم وانفصالهم[2].

---

(1) ابن خلكان: المصدر السابق، ج6، ص11. الحموي: المصدر السابق، ج2، ص07. أحمد أميـن: المرجع السابق، ج3، ص92. البكري: المصدر السابق، ص67.

(2)ـ محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج،3 ص481. بحاز إبراهيم: الدولة





حاولت قبيلة هوارة البربرية بعد هذه الفتنة والقضاء عليها نهائيا، الخروج على طاعة الإمام عبد الوهاب والانفصال عنه. وشرعت أولا في محالفة قبيلة لواتة البربرية عن طريق المصاهرة والنسب.

ولكن الإمام تفطن لهذا الأمر وكان سباقا لهذا الشأن، وأصهر قبيلة لواتة البربرية، وتزوج بنت شيخ القبيلة، التي أراد زعيم قبيلة هوارة خطبتها. وهكذا أفشل الإمام الحلف، وانحازت إليه قبيلة لواتة[1].

عزم عبد الوهاب بن عبد الرحمان الرحيل إلى البقاع المقدسة لتأدية فريضة الحج، فاستخلف ابنه أفلح ومضى في سفره حتى وصل إلى جبل نفوسة[2]، الذي تقطنه قبيلة نفوسة البربرية فنزل في مدينة

=الرستمية، ص118. عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص123. عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص116ـ 117.

(1) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص133.

(2) جبل نفوسة: جبل نفوسة في المغرب الإسلامي بعيد عن إفريقية نحو ثلاثة أميال أو أقل من ذلك. وفيها منبران في مدينتين، إحداهما شروس في وسط الجبل وبها من كل طعام، والأخرى يقال لها جادو من ناحية



شروس[1] عاصمة هذا الجبل. وأقبل عليه أهلها وقبائلها المتفرقة ومنعوه من مواصلة السير إلى الحـج، خوفا عليه من بطش العباسيين، فكان لهم ما أرادوا. وبقي معهم مدة طويلة في الجبل تقدر بسبع سنوات يلقي فيها دروسا ومواعظا في أحكام الشريعة والفقه الإباضي،

=نفزاوة. وجميع أهل الجبل شراة وهبية وإباضية، متمردون على طاعة السلاطين. وطول هذا الجبل مسيرة ستة أيام من الشرق إلى الغرب، وبين جبل نفوسة وطرابلس ثلاثة أيام وبينه وبين القيروان ستة أيام. وبها قبيلة يقال لها بنوزمور لهم، ولهم حصن يقال له تيرفت في غاية المنعة فيه نحو ثلاثمائة قرية وعدة مدن ليس فيها منبر، لأنهم لم يتفقوا على رجل يأتمون به. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ،ج5، ص296 ـ 297.

(1) مدينة شروس: وهي مدينة كبيرة جليلة قديمة، فيها آثار. وأهلها إباضية وليس فيها جامع. وحولها من القرى وفي نظرها أزيد من (300) قرية. ولا يرون في مذهبهم الجمعة وفي هذا الجبل أمم كثيرة على مذاهب شتى وأكثرهم إباضية. وليس لهم أمير يرجعون إليه، وإنما لهم شيوخ وفقهاء في مذاهبهم يرجعون إلى أمرهم. ولهم رخص كثيرة في مذاهبهم. أنظر: صاحب الإستبصار، ص ص144ـ 145.





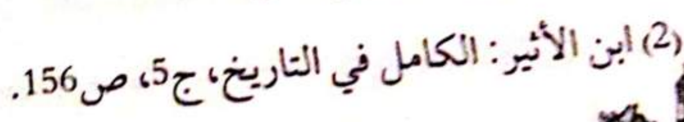
كما تولى فيها شؤون الدولة والحكم[1].

أعلنت قبيلة هوارة البربرية استقلالها عن العباسيين بطرابلس سنة196هـ فاستنجد عاملها بإبراهيم بن الأغلب فاستجاب له، وسير ابنه أبا العباس عبد الله على رأس جيش قوامه (13 ألف) مقاتل، فانهزمت قبيلة هوارة وتمكن ابن الأغلب

من احتلالها ودخول سور طرابلس الذي تهدم بفعل الحرب[2]، الذي تم بناؤه من طرف المحتل وفي هذه الأثناء لم تجد قبيلة هوارة إلا الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان للاستنجاد به، فأجابها وزحف بجيش كبير وأقام عليها حصارا طويلا، لأن عبد الله بن إبراهيم ابن

---

(1) عبد الله الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص138. الشماخي: السير، ص159. يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ ج 2 ، القسم الأول، ص87. ابن يحي الباروني: رسالة سلم العامة، ص12. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص118. عبد المقصود باشا: الرستميون صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ص46


(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص156.



الأغلب تحصن بأسوار المدينـة وأغلق كل الأبواب إلا باب هـوارة يقاتل منه.

وفي هذه الأثناء (196هـ) توفي والد عبد الله العباس إبراهيم بن الأغلب بالقيروان، وعهد إليه بالولاية فلم يجد وسيلة إلا الصلح مع عبد الوهاب. وتم ذلك لكي يعود إلى القيروان ويظفر بإمارة الأغلبية، بشرط أن تكون أعمال طرابلس كلها للدولة الرستمية وبينما يحتفظ الأغالبة بمدينة طرابلس والساحل، وبهذا فك عنهم الحصار[1].

عزم عبد الوهاب بن عبد الرحمان العودة إلى عاصمته تيهرت، بعد أن ولى السمح بن أبي الخطاب على جبل نفوسة حتى مناطق طرابلس وناحية قابس[2]، فأحسن السيرة والعدل في الأحكام بين

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص281. الشماخي: السير، ص162. عوض خليفات: التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية، ص10. ابن يحي الباروني: رسالة سلم العامة، ص ص12ـ 13. عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقية، ص209.

(2)ـ مدينة قابس: مدينة بتونس على بعد (120كلم) جنوبي صفاقس،



الرعية وهكذا استطاع هذا الوالي، الاحتفاظ بولاء أهالي جبل نفوسة، السياسي والديني والمذهبي للأئمة في تيهرت[1].

أسرع الكثير من العامة بعد وفاة والي جبل نفوسة السمح بن أبي الخطاب، على تنصيب ابنه خلف واليا عليهم. ورأوا بعد ذلك وجوب الانفصال والاستقلال عن الدولة الرستمية. وعلم الإمام عبد الوهاب بالأمر فعزله وولى أيوب بن العباس على جبل نفوسة. وبعد وفاة هذا الأخير، خلفه عبيد بن عبد الحميد الجناوي.

و(400كلم) من مدينة تونس. وقد أتاح لها موقعها الجغرافي أن تتمتع بمميزات المدينة البحرية والصحراوية في آن واحد، وفي موضعها كانت توجد في القديم مدينة (TACAP)، التي أسسها الفينيقيون. ولقد ازدهرت قابس في أيام الفاطميين والزيريين، وذكرها الرحالة المسلمون. أنظر: لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي، ص19.

(1) يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ح1، ص77. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص79. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص556. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ص225.



وقد قامت بينه وبين خلف بن السمح وأتباعه، الذين عرفوا بـ(فرقة الخلفية)[1] معارك كان آخرها سنة221هـ، أي في عهد إمامة أفلـح بن عبد الوهاب. ولكن لم يتم القضـاء على خلف بن السمح وأنصاره إلا على يد العبـاس بن أيوب، الذي خلف عبد الحميد الجناوي، حيث شتت العباس شمل خلف وفرقتـه وقتلتهم. وفر ولـد خلف إلى جزيرة جربة[2] بإفريقية.

نجح الإمام عبد الوهاب في توطيد أركان دولته والوصول بها إلى أوج اتساعها وترك لخلفائه من بعده دولة قوية الدعائم، قائمة بذاتها

(1) سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص40. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص152. يحي هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام، ص46ـ 47. عبد المقصود باشا: الرستميون، ص46.

(2) جزيرة جربة: جزيرة بالساحل التونسي على مقربة من قابس، وقد وصفها البكري بقوله: (وفيها بساتين كثيرة وزيتون كثير، وأهلها مقيمون في البر والبحر وهم خوارج). وظلت هذه الجزيرة ولاسيما في القرن الخامس عشر الميلادي مركزا للقرصنة البربرية. أنظر: لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي، 78





كما أكده ابن الصغير في قولـه: (كان عبد الوهاب هذا قد اجتمع له من أمر الإباضية وغيرهم مالم يجتمع للإباضية قبله، ودان له مالم يدن لغيره. واجتمع له من الجيوش والحفدة مالا يجتمع لأحد قبله. ولقد حكى لي جماعة من الناس أنه قد بلغت سمعته إلى أن حاصر مدينة طرابلس، وملأ المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان[1])[2].

واشتهر بالشكيمة والدهاء السياسي والحزم. وكان فقيها وعالما بالعلوم الشرعية. توفي عبد الوهاب بن عبد الرحمان سنة 171هـ[3]

---

(1) مدينة تلمسان: مدينة مشهورة بالمغرب الأوسط (الجزائر) تابعة لعمالة وهران. وتنطق بكسرتين وسكون الميم. وبعضهم يقول تلمسين أو تلمسان بكسر التاء وسكون اللام وفتح الميم. وهي في الحالات صيغة الجمع للكلمة بربرية تلماس بمعنى الغدير أو النبع. أنظر: ابن الخطيب: المصدر السابق، ص61.

(2)ـ ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص18.

(3)ـ عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج2، ص240.

وقيل سنة 211هـ[1]، وقيل كذلك سنة 208هـ[2].

جـ- إمامة أفلح بن عبد الوهاب:

بويع بالإمامة بعد وفاة والده عبد الوهاب، واتبع نهجه في تسيير شؤون البلاد وعدل بين الرعية بالحق. وكان تقيا وورعا، مما دفع الإباضيين في المجتمع الرستمي إلى التمسك به إماما وحاكما عليهم. عنى الإمام أفلح بن عبد الوهاب بنشر الأمن والسلم في ربوع الدولة، فتطورت الحضارة الإباضية الرستمية في عهده ووصلت إلى ذروتها من العز والتقدم، حيث بنى الأغنياء القصور الفخمة واتخذت الضياع الواسعة وكثر العبيد والحشم، واتسع نطاق التجارة اتساعا واسعا من المشرق الإسلامي إلى السودان[3].

---

(1) محمد دبوز: تاريخ المغرب، ج3، ص624. لزامباور: معجم الأنساب، ص110. أما ابن عذاري المراكشي يرى غير ذلك أن عبد الوهاب توفي سنة 188هـ. أنظر: البيان المغرب، ج1، ص197.

(2) MARÇAIS.G: LA Berberie au IXeme siècle، d'après EL Yaquobi، p42.

(3) السودان: تنتهي بلاد السودان شرقا عند قناة مزميك، وجنوبا على رأس



ويعتبر الإمام أفلح حاكما عادلا وفقيها وشاعرا، وعالما بأحكام الشريعة وقواعد المذهب الإباضي[1]، وقال عنه ابن الصغير مايلي

=كوريانت الذي يتصل بالبحر المحيط من الجنوب، وبقناة مزميك من الشرق والشمال. أنظر: أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982م، ص65.

(1) أبو الربيع الوسياني: سير مشائخ المغرب، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م، ص57. العربي دحو: الشعر المغربي من الفتح الإسلامي، إلى نهاية الإمارات الأغلبية والرستمية والإدريسية (30ـ 230هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1994م، ص207. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص52. يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج4، ص70. عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر، ص124. عبد المقصود باشا: الرستميون، ص45ـ 46. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ص558ـ 559. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص72 عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ص225. ابن يحي الباروني: رسالة سلم، ص13. سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص ص 41ـ 42. لواب بن

:(إن البلاد قد عرفت في عهده ازدهارا في البنيان حتى ابتنوا القصور والضياع في خارج المدينة، وأنه قد عمر مدة لم يعمرها أحد ممن كان قبله. أقام خمسين عاما أميرا حتى نشأ له البنون وبنو البنين)[1]. تم القضاء على ثورة خلف بن عبد السمح نهائيا في عهد أفلح بن عبد الوهاب على يد والي جبل نفوسة العباس بن أيوب النفوسي، وفرار ولد خلف إلى مدينة جربة[2].

واجهت الدولة الرستمية في عهد الإمام أفلح فتن داخلية تمثلت في خروج فرج النفوسي الملقب (بنفاث بن نصر) عن طاعة الإمامة، بسبب تنصيب أفلـح سعد ابن أبي يونس واليا على مقاطعة قنطارة[3]

=سلام الإباضي: الإسـلام وتاريخه من وجهة نظر الإبـاضية، تحقيق ر. ق. شقارتز، سالم بن يعقوب، دار اقرأ بيروت لبنان، 1985م، ص116.

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص61.

(2) سليمان الباروني: مختصر، ص40. عبد المقصود: المرجع السابق، ص47.

(3) قنطارة: تقع على مسافة نحو (15ميل) إلى الشمال من (كباو)، وتحت سفح جبل وهي تسمى الآن تيجي. وقد كانت قنطارة في الماضي مدينة





التابعة لجبل نفوسة، وكان فرج النفوسي يطمع في ولاية هذه الأخيرة وأصبح فرج يثير الفتن وبعض المسائل المذهبية من أجل التشكيك في إمامة أفلح بن عبد الوهاب، وأنكر خطبة الجمعة وأنها بدعة محدثة، وأنكر السعاة لجباية الحقوق الشرعية، وقوله في الله سبحانه وتعالى أنه الدهر الدائم. ورؤيته في إرث ابن الأخ الشقيق بأنه أحق بالميراث من الأخ للأب، وغيرها من المسائل الدينية(1).

وقد تولى أفلح بن عبد الوهاب نصيحته وتوعيته في عدة رسائل وخطب أرسلها له، وحذره فيها من سوء العاقبة والعقاب. ولكن لم يفلح معه أسلوب الرد واللين، فأرسل له رسالة تهديد ووعيد، فخاف

=متوسطة الرقعة تحيط بها جنات وحدائق وبساتين، وترويها مياه غزيرة. وكانت تنتج الفواكه والتمور. وقد حاربها ابن الأغلب في موقعة مانو (بين الإباضيين والجيش العباسي) التي قتل فيها خلق كثير. أنظر: الوسياني: سير مشائخ المغرب، ص37. يحي معمر: الإباضية، ح2، ص179ـ 180.

(1)ـ الدرجيني: طبقات، ج1، ص ص78ـ 79. يحي هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام، ج1، ص48.

فرج على نفسه وأهله وأمواله، فرحل إلى المشرق الإسلامي وأقام في بغداد[1]. وبقي وأتباعه في جبل نفوسة على نهجه، حيث عرفوا باسم فرقة النفاثية[2].

نجح الإمام أفلح بن عبد الوهاب في كسب مودة المعتزلة الواصلية إلى جانبه بعد أن كانوا أعداءا لوالده. وأصبح أفلح بن عبد الوهاب رئيسهم، ورئيس الإباضية والصفرية في المجتمع الرستمي، وعبر عنه البكري بقوله: (كان ميمون ـ أفلح بن عبد الوهاب ـ رأس الإباضية وإمامهم وإمام الصفرية والواصلية، وكان يسلم عليه بالخلافة أو الإمامة)[3].

أما علاقات الدولة الرستمية في عهد الإمام أفلح بالدول المجاورة، فكانت مع خلفاء بني أمية في الأندلس على صفاء واتصال وودٍّ دائم،

(1) عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص558.

(2) هويدي: المرجع السابق، ج1، ص47. عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص147ـ 148.

(3) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص67ـ 68.





وتربطها مع بلاد السودان علاقات اقتصادية تجارية. ومع مرور الزمن أصبحت تيهرت مركزا هاما في كل المجالات المختلفة؛ السياسية والاقتصادية والحضارية والعمرانية... وملتقى لكل الناس في العالم الإسلامي.

وكل هذه الأشياء دفعت أبا العباس بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم ابن الأغلب ببناء مدينة العباسية سنة 239هـ[1] وقيل سنة 229هـ[2]، قرب تيهرت لتقف في وجه الرستميِّين. وتجذب إليها الأنظار والتجار، وتحل محل تيهرت. لكن الإمام أفلح اتخذ موقفا فهاجمها وخربها عن آخرها وقام بإحراق أسواقها ومتاجرها، بعد جلاء أهلها عنها فلم يبق منها إلا الرماد. وكتب أفلح بن عبد الوهاب إلى صاحب

---

(1) أبو الحسن البلاذري: فتوح البلدان، عني بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان، دار الكتب العربية بيروت لبنان، 1398هـ ـ 1978م، ص336. محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص386. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص120.

(2) ابن خلدون: العبر، ج4، ص200.



الأندلس يعلمه الخبر، فبعث إليه مائة ألف درهم[1].

الخلفاء العباسيون علموا بالأمر، فانتقموا بأسر أبي اليقظان بن الإمام أفلح، حين قدم إلى البقاع المقدسة لأداء مناسك الحج. ولما وصل نبأ سجن أبي اليقظان في بغداد إلى الإمام حزن عليه حزنا شديدا، حتى وافته المنية[2] سنة 240هـ[3].

د ـ إمامة أبي بكر بن أفلح:

اجتمع أهل الحل والعقد من قبيلة نفوسة وغيرهم بعد وفاة الإمام أفلح ابن عبد الوهاب سنة 240هـ على تنصيب أبي بكر بن أفلح إماما وحاكما لهم لأنهم لم يجدوا غيره، وأخوه أبو اليقظان

(1) المصدر نفسه، ج4، ص200. البلاذري: المصدر السابق، ص336. ابن =الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص519. الطالبي: المرجع السابق، ص386. رابح بونار: المغرب العربي، ص37

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص 69. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص221. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج1، ص226.

(3) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص52.





المسجون في بغداد ويعقوب بن أفلح حدث السن لا يصلح للإمامة[1].

كان أبو بكر بن أفلح شابا أرعنا لا يحسن إدارة شؤون الدولة، وأنه لم يكن عادلا يقظا كآبائه عبد الرحمان بن رستم وعبد الوهاب وأفلح من قبل. وإنما كان يميل إلى الراحة والترف واللهو وحياة الكسل والخمول، فانغمس في الملذات والملاهي. وكان ضعيفا ليس فيه من الشدة في دينه ومذهبه، وترك أمور الدولة ومقاليد الحكم لصهره العربي محمد بن عرفة التيهرتي[2]. وأصبح هذا الأخير صاحب نفوذ واسع هو الآمر والناهي في الدولة واستبد في الحكم، حيث عبر ابن

---

(1) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص222. عبد المقصود باشا: الرستميون، ص50. رابح بونار: المغرب العربي، ص37. شيت خطاب: قادة الفتح، ص218. سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص44.

(2) سليمان الباروني: المرجع نفسه، ص44. جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص66. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص560. عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص156.



الصغير شأنه هذا بقوله: (كانت الإمارة بالاسم لأبي بكـر، وبالحقيقة لمحمَّد بن عرفة)[1]. ولما عاد أبو اليقظان ابن أفلح من المشرق بعد أن أطلق سراحه في خلافة المتوكل العباسي، ووجد أخاه إماما على الرستميين، فكلفه بإدارة بعض شؤون الدولـة، وقام بها على أحسن ما يرام ولم (يدع إمـارة إلا نـازع فيها أخاه)[2].

فلما أسرف ابن عرفة في استبداده، خاف أهل الشورى من علماء تيهرت وآل بني رستم على إمامهم وحكمهم أن يضيع، فأطلعوا أبا بكر بافتتان الناس به وميلهم إلى محمد بن عرفة، وحثوه على اتخاذ الأمر والتصرف بسرعة قبل أن يضيع ملكه وحكمه وسلطته منه، وهو يرى بأم عينه[3].

أقدم أبو بكر على قتل محمد بن عرفة في سرية تامة، وعندئذ اشتعلت نار الفتن والفوضى في تيهرت. وانقسم سكانها إلى فريقيـن

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص72.

(2) المصدر نفسه، ص73.

(3) عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص561.





متناحرين: فريق مع أبي بكـر بن أفلـح يضم أنصاره من الرستميِّين والمسيحيِّين، وقبيلة نفوسة والعجـم. والفريق الآخـر الثائر على مقتل محمد بن عرفة، بقيادة محمود بن الوليد، ويتألف من العرب وقبيلة هوارة البربرية والمعارضيين لإمامة أبي بكـر بن أفلح.

ودارت رحـى الحرب بينهم وانتهت بخروج الإمـام وأخيه أبي اليقظـان وأنصارهم من العاصمة تيهرت واستيلاء محمد بن مسالة الهواري عليها[1].

(1) ابن الصغير: أخبار، ص85. عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، من ص231 إلى ص236. سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص44. عبد المقصود عبد الحميد: الرستميون، ص51. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص54. جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، ص67. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج1، ص226. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، ج2، ص85ـ 86. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2، ص73.



هـ ـ إمامة أبي اليقظان محمد بن أفلح:

وجد الموالون للرستميين بعد استلاء محمد بن مسالة الهواري على تيهرت، أن أقدر أفراد البيت الرستمي على تحمل أعباء الإمامة محمد بن أفلح، فبويع بها بعد وفاة أخيه أبي بكر، وقيل بتسليم مقاليد الحكم من قبل أبي بكر قبل وافته لأخيه سنة 241هـ ـ 855م[1].

كانت أحوال البلاد والعباد متدهورة جدا تعمها الفتن والفوضى والاضطرابات. جهز أبو اليقظان الجيوش الإباضية الرستمية واستنجد بقبيلة نفوسة، فأمدوه بجيش كبير للقضاء على أنصار ابن مسالة في مدينة تيهرت. وبعد قتال عنيف بينهم وحصار طويل دام سبع سنوات. دخل أبو اليقظان تيهرت منتصرا، ومع ذلك عفى عن الثوار والخارجين عنه[2]. وبما فيهم ابن مسالة نفسه، الذي أقر فيما بعد

---

(1) الشماخي: السير، ص221. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص83. سليمان الباروني: مختصر ، ص45.

(2) سليمان الباروني: المرجع نفسه، ص45. رابح بونار: المغرب العربي، ص37. محمود شاكر: المرجع السابق، ج2، ص86 الميلي: المرجع

بإمامة أبي اليقظان ودخل في طاعته والتزم الأمن والسلم.

بدأ أبو اليقظان بن أفلح بعد كل هذه الأحداث بتنظيم شؤون دولته، وإحياء رموزها من جديد بإصلاح ما أفسدته الفتنة والحروب الضارية، فبسط الأمن والسلام والعدل وعم الهدوء في أرجاء بلاده، وانصرف الناس إلى حياتهم ومعاشهم. وبدأ يحضهم على عمل الخير والبناء والتشييد.

وأرسل أبو اليقظان إلى عماله في أنحاء الدولة يذكرهم بواجباتهم نحو رعاياهم وأمتهم[1]. وقال عنه ابن الصغير مايلي: (كان زاهدا ورعا ناسكا، افتتنت به نفوسة الجبل حتى أنها أقامته في دينها وتحريمها مثلما أقامت النصارى عيسى بن مريم)[2]، وقال عنه الدرجيني: (إنه بلغ في العدل والفضل غاية عظيمة. وكانت نفوسة لا تعدل بولايته إلا ولاية جده عبد الرحمان بن رستم حتى أنهم جعلوا داره كالمسجد

السابق، ج2، ص73. محمد بن عميرة: دور زناتة، ص134.

(1) إبراهيم البرادي: الجوهرة المنتقاة، ص182.

(2) ابن الصغير: أخبار، ص 92.



يسهرون حوله، طائفة يصلون وطائفة يقرءون القـرآن الكـريم وطائفة يتحدثون في فنونه، وأنه ألـف كتبا بليـغة شافية)[1]. وهذا ما أكده الشمّاخي أن الإمام أبا اليقظان وضع في فقه الاستطاعة وحدها أربعين كتابا[2].

قام العباس بن أحمد بن طولون صاحب مصر بغزو الأغالبة في إفريقية في عهد الإمام أبي اليقظان، وانتصر عليهم في موقعة لبدة. وبعد هذا زحف بجيشه إلى مدينة طرابلس وحاصرها مدة ثلاثة وأربعين يوما، غير أن جنوده تعدوا حدود الدولة الرستمية وانتهكوا حرمات البوادي، فاستغاث أهلها بأبي إلياس النفوسي والي جبل نفوسة، فأجابهم على الفور بجيش قدره (12000) ألف جندي أغلبهم من قبيلة نفوسة البربرية. فدارت الحرب بين الطرفين، فانهزم فيها الجيش الطولوني وولى مدبرا إلى مصر[3].

(1) الدرجيني: طبقات، ج1، ص82

(2) الشماخي: السير، ص222.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7 ، ص224. ابن خلدون: العبر، ج4،





توفي الإمام أبو اليقظان بن أفلح سنة 281هـ ـ 894م عن عمر يناهز المائة عام قضى منها أربعين سنة في السلطة[1].

و ـ إمامة أبي حاتم يوسف بن محمد أفلح :

بويع أبوحاتم يوسف بالإمامة سنة 281هـ ـ 894م يوم وفاة أبيه بإجماع كل القبائل البربرية الإباضية ومجلس الشورى. يمتاز أبو حاتم بحسن السيرة والأخلاق، والعدل كأسلافه.

وبدأ إمامته بتنظيم وإدارة شؤون دولته[2]، وبعد عام من حكمه خرج عليه عمه يعقوب بن أفلح المقيم في قبيلة زواغة البربرية، وبتحريض من بعض أهالي مدينة تيهرت الناقمين على إمامة أبي حاتم. وأعلنوا

ص646. ابن عذاري: البيان، ج1، ص199.

(1) ابن عذاري: المصدر نفسه، ج1، ص197. ابن الصغير: المصدر السابق، ص102. البرادي: المصدر السابق، ص93.

(2)ـ سليمان الباروني: مختصر، ص47. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2، ص73. ابن يحي الباروني: رسالة سلم العامة، ص15



الخروج على طاعة الإمــام وعصــيانه، واستقدموا يعقوب بن أفلح من زواغــة وبايعوه على الإمامة[1].

قد عم الخلاف والاختلاف وكثرت الفوضى وساد الاضطراب، وزادت حــدة الفتنة. وطرد الإمــام أبو حاتــم من العاصمة تيهرت مع أسرته وأتباعه من قبيلة نفوسة، حيث نزل على قبيلتي صنهاجة ولواتة[2].

ز- إمامة يعقوب بن أفلح:

بويع بالإمامة[3] بأرض زواغة غربي طرابلس. وأسرع من حينه إلى

(1) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص281. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص127. عيسى الحريري: الدولة الرستمية ص ص 176ـ 177.

(2) محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص133. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج2، ص101ـ 102.

(3) المذهب الإباضي يبيح وجود إمامين في وقت واحد، إذا كانت الجماعة منقسمة جغرافيا إلى قسمين: أحدهما بعيد عن الآخر ويحول بينهما عدو يخاف شره. أنظر: حسين مؤنس: المغرب وحضارته، ص 329. لكن أبو





مدينة تيهرت سنة 282هـ ـ 894م، فحارب ابن أخيه مدة أربع سنوات[1]، حتى (قطعت السبل وفرغ من أيدي الناس الحرث والنسل)[2]. مما دفع أهل الفضل والنصح لإيقاف هذه الحرب الضارية، فعقدوا مجلسا حضره مبعوثان من كلا الطرفين المتنازعين، فحكموا برفع أيديهما وحكمهما عن مقاليد السلطة لمدة قدرها أربعة أشهر، ويعمل كل واحد منهما على استمالة وتأييد الرعية له. وأثناء هذه الهدنة ساد الأمـن والسلام في ربوع الدولة الرستمية. وبذل أبو حـاتم الأموال في مودة زعماء المدينة والقبائـل فمالت إليه الناس وانحازوا إلى جانبه، وانقلبوا على عمه يعقوب فخلعوه من الإمامة فغادر تيهرت نحو

=عمار الكافي الإباضي يرى أن فرقتين من الإباضية، الكرامية والخلفية ترا جواز وجود إمامين في إقليمين. أنظر: الموجز (آراء الخوارج الكلامية)، ج1، ص122.

(1) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص198. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج1، ص228. محمد بن عميرة: دور زناتة، ص134.

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص113.



زواغة ثانية[1]، وعاش فيها حتى سقطت الدولة الرستمية، واستولى الفاطميون عليها بقيادة أبي عبد الله الشيعي فارتحل يعقوب إلى وارجلان[2] ـ ورقلة الحالية ـ وهناك عرض عليه تأسيس دولة فرفض هذا الطلب وقال: (لا يستتتر الجمل بالغنم) ومات هناك[3].

(1) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص274. سليمان الباروني: مختصر، ص47. ابن عذاري: البيان، ج1، ص198. ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص115. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2، ص74. محمود إسماعيل: الخوارج، ص134. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج1، ص228. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج2، ص102.

(2) وارجلان: بلد عبيد ورقيق، ومنها تدخل إلى المغرب الأوسط. وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين... وهي بلاد كثيرة الزرع والضرع، كثيرة المياه. وقد علم سكانها من الإباضية قساوة الطبيعة الصحراوية، فحولوا تلك البقعة إلى جنات وغابات متواصلة من النخيل. وبنوا العديد من القرى محصنة، وقريبة من بعضها البعض. أنظر: صاحب الإستبصار في عجائب الأمصار، ص224.

(3) الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص229. الميلي: المرجع السابق، ج2، ص74.



عودة أبي حاتم إلى الإمامة:

عاد الإمام يوسف إلى تيهرت بعد الانتصار على عمه وبويع بالإمامة ثانية. وفي هذه الأثناء خرج عليه الطيب بن خلف بن السمح في منطقة طرابلس وجبل نفوسة، فعهد الإمام يوسف إلى واليه أبا منصور إلياس بمحاربته والقبض عليه، فخرج إليه فلما سمع به الطيب فر إلى زواغة معقل أنصار أبيه من قبل. فتبعه أبو منصور إليـاس وطلب من أهالي زواغة تسليمه دون حرب فرفضوا هذا الطلب، فحاربهم وهزمهم. ولكن الطيب لجأ إلى جزيرة جربة فطارده إلياس هناك، وحاصره فيها حتى دخلها وقبض عليه وسجنه مدة من الزمن في جبل نفوسة، ثم أطلق سراحه بعدما تأكد من طاعته للإمام والامتثال لأحكام الدولة الرستمية[1].

توفي أبو منصور إلياس والي جبل نفوسة وخلفه أفلح بن العباس،

(1) سليمان الباروني: مختصر، ص48. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص277. الدرجيني: طبقات، ج1، ص85ـ 86 محمود إسماعيل: الخوارج، ص135. عبد المقصود باشا: الرستميون، ص56ـ 57.

Scanned by CamScanner

الذي لم تكن له خبرة الحرب وتوجيه الأمور مثل الوالي السابق، حتى أنه هزم هزيمة منكرة على أيدي الأغالبة.

عزم إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب[1] (237ـ 289هـ) على غزو الطولونيين في مصر، فخرج سنة283هـ / 896م على رأس جيش قوي، فأعترضته نفوسة بين منطقة قابس وطرابلس بموضع يقال له (مانو)[2] ومنعته من السير، وكانت في عشرين ألف مقاتل. واشتد القتال بينهم، وانتهى بهزيمة نكراء لأهل جبل نفوسة قتل فيها من علمائها أربعمائة ومن الرعية اثني عشر ألفا[3]، ولم يكتف إبراهيم

---

(1) إبراهيم بن أحمد الأغلبي: فقد تولى مقاليد الحكم في القيروان سنة 261هـ، ومكث فيها (28) سنة. أنظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص116.

(2) مانو: هو قصر الأولين على ساحل البحر بين قابس وأقليم طرابلس. أنظر: ابن يحي الباروني: رسالة سلم العامة، ص19.

(3) سليمان الباروني: مختصر الإباضية، ص ص48 ـ 49. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص280. الدرجيني: طبقات، ج1، ص89. أبو زكرياء: سير الأئمة، ص110.



بن أحمد ابن محمد الأغلب بذلك، بل تمادى إلى أبعد الحدود حيث زحف بجيشه إلى منطقة قنطـرارة وقتل منها عددا كثيرا، وأسر ثمانين عالـما من علماء جبل نفوسة الإباضية، حتى أن قبيلة نفزاوة لم تسلم هي الأخرى من ضرباته[1].

وفي السنة الموالية (284هـ/ 897م) سار جيشه القوي بقيادة ابنه العباس إلى جبل نفوسة، فقتل منهم عددا كبيرا وأسر منهم ثلاثمائة أخذهم معه إلى القيروان، حيث أمر إبراهيم الأغلبي بذبحهم والتمثيل بجثثهم، وأخرجت قلوبهم ونصبت على باب تونس[2].

أمام هذه الهزائم المتلاحقة وانهيار جدار الدولة، ألا وهو قبيلة نفوسة القوية التي كانت الدرع الواقي والسند القوي لها في كل المجالات السياسية والعسكرية والفكرية والاقتصادية[3].

(1) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص282.

(2) ابن عذاري: البيان، ج1، ص130. عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص564.

(3) عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص181. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية،

وبدلا من توحيد الصفوف ولم الشمل أمام الأخطار الخارجية والفتن الداخلية كالخطر الأغلبي، والدعوة الشيعية التي بدأت بذورها تظهر في المغرب الإسلامي بدلا من ذلك كله، تآمر على الإمام أبي حاتم منافسوه من البيت الرستمي - بنو عمه وإخوانه - فقتلوه في سنة 294هـ/ 907م، ونقلوا الإمامة إلى اليقظان[1].

ط- إمامة اليقظان بن أبي اليقظان ونهاية الدولة الرستمية:

بويع اليقظان بن أبي اليقظان بالإمامة بعد اغتيال أخيه، وقامت إمامته بالانقسام والإنفصال وكثرت الفتن والفوضى والإضطرابات، وظهر الإنحلال الخلقي والفساد الاجتماعي، والتعصب المذهبي

=ص129.

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص197. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج1، ص229. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص73 محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص135. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج2، ص103. عبد المقصود باشا: الرستميون، ص60. جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص69.



والديني في صفوف الرعية، وضعف الحكم وانكسرت السلطة بسبب تناحر أفراد البيت الرستمي عليها[1]. واعتبر الإمام اليقظان مغتصبا للسلطة وقاتلا لأخيه أبي حاتم، وهذا ما أثار غضب أبناء أخيه ودفعهم إلى سلوك وطرق ملتوية لتحقيق الثأر والانتقام منه[2]، جعل دوسرا بنت أبي حاتم المغتال عينا مع إخوانها للداعي الشيعي[3] أبي عبيد

---

(1) سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص49. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج2، ص103. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب ، ص565.

(2) الدرجيني: طبقات، ج1، ص94. موسى لقبال: دور كتامة، ص340. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج1، ص229. عبد المقصود باشا: الرستميون، ص60.

(3) الداعي الشيعي: هو عبد الله حسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء، أصله من الكوفة، ويعرف بـ (المعلم) لأنه كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية، ذهب إلى اليمن. وكانت مركزا هاما للدعوة الشيعية لقربها من الحجاز، مجمع الحجاج. وهناك اتصل بداعي الشيعة فيها واسمه ابن حوشب النجار في أواخر القرن الثالث الهجري، فأخذ يحضر مجالسه ويستفيد من عمله، ويمتثل لأمره. واشتهر أبو عبد الله الشيعي بأبي عبد

الله الفاطمي[1] ولقبيلة كتامة البربرية[2] المناصرة له. واتصلت دوسرا به بعدما تم القضاء على الدولة الأغلبية، وهروب حاكمها زيادة الله بن الأغلب 296هـ[3].

=الله الداعي وبعبد الله الصنعاني، وبعبد الله المشرقي وكما يسميه علماء المغرب بهذا الاسم. أنظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص127. الحبيب الجنحاني: القيروان عبر ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب، ط1، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص84.

(1) أبو زكرياء: سير الأئمة، ص112. لقبال: المرجع السابق، ص340. محمود شاكر: المرجع السابق، ج2، ص103. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص135. عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص184.

(2) قبيلة كتامة: هاته القبيلة من قبائل البربر بالمغرب وأشدهم بأسا وقوة، وأطولهم باعا في الملك. وعند نسابة البربر من ولد كتام بن برنس. وكانت في ابكحان وسطيف وباغاية ونقاوس ويلزمة، ويتكست وميلة وقسنطينة وبسكرة والقل وجيجل، ومن حدود جبال أوراس إلى سيق البحر ومابين بجاية وبونة. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص301.

(3) ابن عذاري: البيان، ج1، ص147ـ148. الحريري: المرجع السابق، ص182.

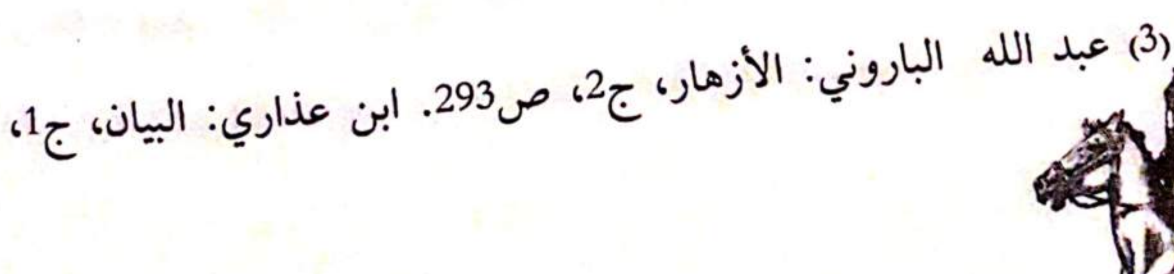
لقد وصفت دوسرا للداعي، أن وضع الإمام اليقظان في تيهرت ضعيف وأنه متهاون منطو على نفسه مبغض من طرف العامة[1].

خرج أبو عبد الله الشيعي الصنعاني من مركزه بمنطقة رقادة[2] بالقيروان بجيوشه على مقربة من تيهرت، وأقام معسكره ونظم صفوفه فدخلها بالأمان بمساعدة سكانها، ولكنه قتل الإمام وجماعة من أهل بيته سنة 296هـ/ 909م[3]، وكل من ظفر به من بني رستم.

(1) موسى لقبال: دور كتامة، ص340. أبو زكرياء: سير الأئمة، ص ص112ـ 113.

(2) منطقة رَقَّادة: رَقَّادة (بفتح الراء وتشديد القاف). وهي في جنوب القيروان تبعد عنها بثمانية أميال وأطلال انقاضها ظاهرة منها القصر العظيم المعـروف (البحر)، لمجاورته بركة وهي من الإتساع والعظمة بمكان ومنها آخر قصـر ضخم يعرف بقصر (الصحن) وغير ذلك من المعالم البديعة. وبنى مدينة رقادة إبراهيم بن محمد بن الأغلب. أنظر: لسان الدين بن الخطيب: المغرب العربي، ص27. حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص87.

(3) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص293. ابن عذاري: البيان، ج1،





وأرسل رؤوسهم إلى أخيه ابن العباس راعي حليفته برقادة، فطوفت بالقيروان ونصبت على باب رقـادة. ولـم يكتفِ بذلك بل استباح أموال الرستميـيّـن، ثم توجه إلى مكتبة المعصومة وأخذ كل ما فيها من الكتب العلمية كالرياضيات والصنائع والفنون وأحرق ماعدا ذلك[1]،

=ص198. سليمان الباروني: مختصر، ص49. عبد الله شريط: مختصر تاريخ الجزائر، ص81. وكتاب: الجزائر في مرآة التاريخ، ص60. أعوشت بكير: رجال خالدون، ص62 يحي هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام، ج1، ص40. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2، ص75. رابح بونار: المغرب العربي، ص38. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص108. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج2، ص103. ألفرد بـل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص150. مرمول الصالح : السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ص53. عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية، ص109. سليمان داود بن يوسف: ثـورة أبي يزيد، جهاد لإعلاء كلمة الله، ط1 دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة الجزائر، 1402هـ ـ 1981م، ص29ـ 30. عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر ص205

(1) الكعاك: المرجع نفسه، ص205. سليمان داود: المرجع السابق، ص29. سليمان الباروني: مختصر، ص 49. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب،

هكذا انهارت هذه الدولة سنة 296هـ ـ 909م، وانقرعت بعدما عمرت أكثر من مائة وخمسين سنة[1]. ورحل الكثير من الإباضيين إلى مدينة وارجلان في الصحراء وأسسوا بها مدنا جديدة كسدراتة[2].

=ص576. محمد الطمار: الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1969م، ص29.

سليمان داود: مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية وتركيزها، الأصالة ع: 49ـ50، ص82.

(1) ألفرد بل: المرجع السابق، ص149.

(2) أعوشت بكير: رجال خالدون، ص62. عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 566. يوسف بن بكير: تاريخ بني ميزاب، ص05. عوض خليفات: التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان، ص12.

جدول أئمة الدولة الرستمية (160ـ 296هـ /777ـ 909م)[1]

عبد الرحمان بن رستم الفارسي160هـ ـ 777م.
عبد الوهاب بن عبد الرحمان المعروف بعبد الوارث 171هـ ـ 787م.
أفلح بن عبد الوهاب 190هـ ـ 805م
أبو بكر بن أفلح بن عبد الوهاب 240هـ ـ 854م.
محمَّد أبو اليقظان 241هـ ـ 855م.

(1) عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجـزائر العام، ج1، ص 240. زامبارو: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ، ص ص100ـ 101. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، ج2، ص102. ج. ف. ب . هوبنكز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ص247.

(*) ملاحظة: اختلاف بين المؤرخين، في سنوات تقليد الأئمة الرستميين.





يوسف أبو حاتم 281هـ_ 894م.
يعقوب بن أفلح 282هـ_ 895م.
يوسف للمرة الثانية 286هـ_ 899م.
اليقظان بن أبي اليقظان 294هـ_ 906م.
سقوط الدولة الرستمية وخراب مدينة تيهرت على يد أبي عبد الشيعي296هـ_ 909م.



السكان في الدولة الرستمية

يتألف المجتمع التاهرتي منذ تأسيس الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط، من عناصر وأجناس سكانية مختلفة ومتابينة يجمعها الدين الإسلامي الحنيف والمذهب الإباضي، الذي هو أساس حكم الدولـة. ولقد انصهرت في هذا المجتمع تشكيلات اجتماعيـة مختلفـة من الأفارقة والبربر والعرب من الشاميين والعراقيين والسودانيين، والأندلسيين والصقالبة، وإلى جانب ذلك أهل الذمة من اليهود والنصارى، إذ كانوا يعيشون جنبا إلى جنب.

يتوزع الرستميون إلى طوائف مذهبية متعددة، من الإباضية والسنية من الحنفية ـ نسبة إلى أبي حنيفـة النعمان بن ثابت (ت 150هـ)، إمام المذهب الحنفي ـ والمالكية ـ نسبة إلى مالك بن أنس (ت 179هـ) إمام





المذهب المالكي ـ والمعتزلة الواصلية والشيعة[1] والصفرية وغيرها.

وبهذا أطلق على تيهرت (عراق المغرب) تشبيها بعراق المشرق، المزدحم بالأجناس والملل المختلفة[2]، وقد وصف الجغرافي

(1) الشِيعة: بكسر الشين، جمع شيع وأشياع وهم الأتباع. وفي الأصل هم الذين شايعوا عليا بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم صاروا فرقة من الفرق المسلمين. ويعتقدون أن الخلافة في الإمام علي وفي أولاده من بعده رضي الله عنهم. وصاروا فرقا كثيرة، وكل فرقة لها عقائدها الخاصة بها تخالف بها عقيدة أهل السنة والجماعة، مثل: الإمامية والاثني عشرية والإسماعيلية... أنظر: مصطفى الرافعي: حضارة العرب، ط1، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، 1986م، من ص230 إلى ص233. أحمد أمين: فجر الإسلام. من ص431 إلى ص 449. أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية بيروت لبنان، بد ط، بلا تا، ص13.

(2) رشيد بورويبة وموسى لقبال وعبد الحميد حاجيات، وعطاء الله دهينة ومحمد بلقراد: الجزائر في التاريخ من الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العثماني، العهد الإسلامي، المؤسسة الوطنية الجزائر، 1984م، ص111. عبد العزيز فيلالي: جوانب من العلاقات التجارية بين الرستميين والأمويين في الأندلس، سرتا، العدد: 3، رجب 1400هـ ـ ماي 1980م، =ص36.

المقدسي تيهرت بقوله: (فانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب)[1].

الأفارقة والبربر والعرب:

1 ـ الأفارقة:

يشكلون الأفارقة بوجه عام سكان المدن والمراكز القريبة منها.

=إحسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، الأصالة ع: 45، جمادى الأولى 1395هـ ـ ماي 1975م، ص25. إبراهيم فخار: الطوائف المذهبية والطبقات الاجتماعية في الدولة الرستمية (160ـ 296هـ / 777ـ 909م)، دراسات جزائريـة، ع:1، جامعة وهران، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بوهران، 1997م، ص20. الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3ـ 4هـ / 9ـ 10م). اندري برنيان، اندري ايف لاغوست: الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة إسطمبولي رابح ومنصور عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984م، ص97. أعوشت بكير: قطب الأئمة، ص ص30ـ 32.

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص228. لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص62.





وهم مزيج من بقايا الأمم السابقة، التي احتلت بلاد المغرب القديم كالرومان والبزنطيين وبقايا الشعب السامي القرطاجي القديم. وهؤلاء لا يرجع نسبهم ولا حتى أصلهم إلى البربر ولا تجمعهم أصول دموية أو عرقية أو خلقية واحدة، ولا جد أعلى ينسلون منه أو ينتسبون إليه، ومنهم من ينتسب إلى السلالة الآرية أي من بقايا الرومان أو الروم أو من الإيطاليين خدامهم.

وكان ولاؤهم للبيزنطيين الذين سيطروا على المنطقة حينا من الدهر، وعنهم أخذوا الديانة المسيحية[1] ومظاهر الحضارة الرومانية. وانصهروا في الحياة الجديدة في مدن المغرب واستقروا فيها، وعاشوا

---

(1) المسيحية: نسبة إلى سيدنا المسيح عيسى بن مريم العذراء عليهما السلام، وولد ببيت لحم قرب مدينة القدس بفلسطين، على عهد القيصر أغسطس. ولقد اتخذ الإفرنج ولادته لتقييد التاريخ الميلادي، فيقال الميلاد بكذا أو بعده بكذا. أنظر: حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، مختصر يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمن الحاضر، ص32.



مختلطين بمن تحضر من البربر. وأصبحت تجمعهم هذه الحياة المشتركة وتربطهم البيئة الاجتماعية والمعيشية، وتجمعهم حياة المدنية وما يتصل بها من المزارع الفلاحية التي هي في الأغلب جزء منها[1]

عاش أفارقة المغرب الأوسط في المجتمع الرستمي حياة الفرد العادي من رعاية الدولة له، نفس الحقوق وعليه نفس الواجبات كغيره من أفراد المجتمع. بل كان أغلب هؤلاء الأفارقة من المسيحيين ولهم منزلة خاصة لدى بعض أئمة الرستميين كالإمام أبي بكر ابن أفلح[2].

---

(1) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب القاهرة مصر، 1947م، ص5. شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، دار العلم الملايين بيروت لبنان، بلا تا، ص70. موسى لقبال: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، ص16.

(2) عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، ص18.





2- البربر:

البربر[1] هم السكان الأصليون لبلاد المغرب الإسلامي وهم

(1) البربر: كلمة البربر تطلق على سكان جهات بلاد المغرب، وظلت مستعملة إلى حد كبير حتى العصر الحديث. كلمة بربر التي تطلق منذ عهد بعيد على نسبة كبيرة من بلاد المغرب. فإن مدلولها في الاستعمال القديم، ولها وضع مختلف عليه ويرجح البعض أنها مشتقة من لفظ (Barbarus) أي المتلعثم في كلامه. ويظهر أن الرومان لم يستطيعوا فهم لغة البربر، فأطلقوا على أصحابها هذا الاسم. ويعتقد كاريت (CARETTE) أن اسم البربر لاتيني، وأن العرب هم الذين أطلقوا هذا الاسم على سكان شمال إفريقية جميعا. ويذهب بعض المؤرخين إلى أن كلمة بربر حلت محل الليبيين منذ الفتح الإسلامي ويقبل تيسو (TISSO) رأي كاريت في معضمه، ولكنه لا يرى أن العرب هم الذين ابتكروا هذا الاسم وأطلقوه إطلاقا عاما على الليبيين. بل أنهم صادفوا هذه التسمية على مداخل ليبيا فحملوها معهم ونشروها في البلاد. ويطلق الجغرافيون العرب اسم (بلاد البربر)، على شمال إفريقية بين برقة والمحيط الأطلسي، أي الأقاليم التي كانت تسمى ليبيا من قبل. ويذكر ابن خلدون أن أقطار بلاد المغرب (كانت للبربر منذ آلاف السنين قبل الإسلام). ويرى أنهم أبناء أمازيغ بن كنعان بن حام، وأنهم نشأوا في

الغالبية العظمى أو السواد الأعظم في التكوين السكاني للمغرب

=جهات ما بين النهرين في آسيا ثم رحلوا إلى بلاد المغرب عبر مصر، ونقلوا معهم عبادة آمون. ويذكر النسابون العرب أن كل البربر من سلالة رجلين هما: برين برنس وبرين بطر. وأن هذين البربريين يحملين نفس الاسم، إلا أنه لا يوجد بينهما صلة قرابة ومنهما انحدرت القبائل البربرية.

أنظر حول موضوع البربر: محمَّد عبد المنعم الشرقاوي ومحمد محمود الصياد: ملامح المغرب العربي، ط1، دار المعارف الإسكندرية مصر، 1959م،ص55ـ 56. الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط2، دار المعارف القاهرة مصر، 1983م، ص15. عثمان سعدي: الأمازيغ البربر عرب عاربة، وعروبة الشمال الإفريقـي عبر التاريـخ، بدون طبعة وبلا دار النشر، 1996م، ص72. حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية، منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر (14ق م - 20م)، ص27. حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلاديين)، من ص40 إلى ص42. موسى لقبال: المغرب الإسلامي ص16ـ 17.





الأوسط. ورحب هؤلاء البربر بالمبادئ الإباضية التي حملها إليهم عبد الرحمان بن رستم الفارسي، واعتنقوها. وكانوا العنصر المهم الذي اعتمد عليه الإمام الأول، في تأسيس دولته فأقامها بينهم.

ينقسم البربر بدورهم من الوجهة الاجتماعية إلى مجموعتين مختلفتين: البربر الحضر وهؤلاء يسكنون السهول الخصبة والمدن والهضاب المزروعة. ويتصلون اتصالا وثيقا بالحضارة القرطاجية واللاتينية. ويعتمدون في معيشتهم البسيطة على الزراعة والفلاحة والصناعة.

وأما البربر الرحل يعيشون على الرعي والترحال ويميلون للإغارة والغزو على السهول، وما يجاورهم من جهات العمران[1]. فصل

---

(1) عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، ص135. حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص6. عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص20. محمد بن حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع للنشر تونس، 1981م، من ص21 إلى ص23.



عبد الرحمان بن خلدون عن هاتين[1]: (البربر جيل من الآدميين، سكانوا المغرب من القدم ملأوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره. ويتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخصاص والشجر ومن الأشعار والأوبار، ويظعن أهل العز منهم. والغلب لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة لا يتجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفر الأملس. ومكاسبهم الشاة والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج. وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأنهم في ذلك شأن العرب.

ومعاش المستضعفين منهم بالفلح، والدواجن السائمة ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والاظعان في نتاج الإبل وظلال الرماح، وقطع السابلة. وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالأكسية المعلمة، ويفرغون عليها البرانس الكحل، ورؤوسهم في الغالب حاسرة وربما

---

(1) عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، ص175-176.





يعهدونها الحلق. ولغتهم من الرطانـة الأعجمية متميزة بنوعيها وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسـم (البربر))[2]. ويبين ابن خلدون في هذا النص التاريخي أسلوب البربر الحضر، الذين أطلق عليهم المؤرخـون اسـم البربـر البرانس[1]. أما البـربر الرحل فأطلقـوا عليهم اسم البربـر البتر[2]. ورغم هذا التقسيم في صفوف البربر، من

(1) البربر البرانس: من نسل برنس بن بر بن مازيغ، وغلب على شعوب البرانس عموما الاستقرار في القرى الساحلية والتلية والجبلية للزراعة وتربية المواشي. وقبائل البرانس هي: مصمودة وإزداجية وأوربة وعجيسة، وكتامة وصنهاجة وأوريغة ولمطة وهكسورة وجزولة (كزولة). أنظر: سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، ص88. حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، ص32.

(2) البربر البتر: على أوثق الروايات من ولد مادغيس الأبتر بن بر بن مازيغ، وغلب عليهم عموما طابع البداوة. ويظعنون لانتجاع بالمرعي الخصيب والماء الكثير، فهم فريق أهل العز والغلبة. وقبائـل البتر هي: أداسة ونفوسـة وضريسة وبنو لو الأكبر أو لواتـة. ويختلف المؤرخون حول البربر البرانس والبتر، من حيث الأصل والنسب وعلاقتهم ببلاد المغرب، ويكادون يجمعون على أنهم عناصر طارئة على هذا الوطن. وأتت بهم الهجرات

البربر البتر والبربر البرانس، فقد كان لكل من القسمين دوره في الدولة الرستمية، وفق ما هيأته طبيعة معيشته وظروف حياته التي يمارسها للقيام به داخل المجتمع.

سنتناول بكل تفصيل مساهمة كل قبيلة من قبائل البربر في قيام الدولة الرستمية، وكيف دعمت أركانها وأسسها ؟ وكيف انضوت تحت لوائها؟ وماهي مكانتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية في المجتمع الرستمي؟

أ- قبيلة لماية البربرية:

عندما خرج عبد الرحمان بن رستم من القيروان مستخفيا إلى

=البشرية من الشرق، نتيجة لظروف سياسية خاصة. حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص175ـ 176. أبو العباس السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص35. سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص21ـ 22. أحمد صفر: مدنية المغرب العربي في التاريخ، ج1، بدون طبعة، بلا تاريخ، ص10. حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، ص32. حسين مؤنس: تاريخ المغرب، 41/ 42.





المغرب الأوسط قاصدا أنصاره من القبائل البربرية، التي تسكن في بقاع تيهرت. وكان نزوله على قبيلة لماية[1] البربرية في جنوب تيهرت. وكانت تربطه بها صداقة وثيقة تأكدت أيام ولايته على إفريقية (القيروان) والمغرب الأوسط، وهذا ما أثبته ابن خلدون بقوله أنه:(نزل على قبيلة لماية لقديم حلف بينه وبينهم)[2].

(1) قبيلة لماية: هي بطن من ولد فاتن بن تاصميت بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأبتر. وهي قبيلة بترية. وللماية بطون كثيرة منها: مزيزة ومليزة وغيرها. وكانوا ظواعن بإفريقية والمغرب وجمهورهم بالمغرب الأوسط، ومستوطنين بسحومة ممايلي الصحراء وهو قبلة تيهرت وجنوبها. وقد أخذوا الرأي عن الإباضية ودانوا به وانتحلوه، كما انتحله جيرانهم من مواطنهم تلك من لواتة وهوارة، كانوا بأرض (السرسو) قبيلة منداس وزواغة الغرب منها. وكانت قبائل مطماطة ومكناسة وزناتة جميعا في ناحية الجوف في الشمال والشرق. ولماية البلد المعروفة في طرابلس بين زنزور والزوية مسماة باسمهم. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص246. أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص23.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص246. محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، ص ص115ـ116. محمد دبوز:

والمكان الأصلي لقبيلة لماية هو الجنوب الشرقي للمغرب الأوسط. ومن خلال هذا نلاحظ أن دخول قبيلة لماية البربرية إلى تيهرت كان بعد قيام الدولة الرستمية، لأن المدينة الجديدة لم تكن قبل قيام الدولة موجودة. وأن عبد الرحمان بن رستم أحسن اختيار نزولـه في إقليم عامر بالإباضية، التي رحبت به[1].

كان الفضل الكبير لقبيلة لماية البترية في تأسيس الدولة الرستمية، فقد استقبل أفرادها ابن رستم واجتمعوا إليه، وبايعوه بالإمامـة ثم شرعوا في بناء مدينة (ينصبون بها كرسي إمارتهم، فسارعوا في بناء مدينة تاهرت)[2].

قبيلة لماية البترية حملت المذهب الإباضي إلى جنوب تيهرت،

=تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص 253ـ 254. إحسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين الأصالة، ع:45، ص26.

(1) محمد بن عميرة: دور زناتة، ص117. يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ط1، المطبعة الوطنية الجزائرية 1965م، ص9.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص247.





فنشرته بين جيرانها من قبيلتي لواتة وهوارة اللتين ستصبحان عماد الدولة الرستمية مع قبيلتي نفوسة ومزاتة.

ب ـ قبيلة لواتة البربرية:

كان لقبيلة لواتة[1] دعم كبير وفضل في توطيد أركان الدولة الرستمية، والمحافظة على كيانها السياسي مما جعل الإمام الثاني

(1) قبيلة لواتـة: كانت زمن الفتـح العربي الإسلامـي تسكن برقة وهي من أكبر بطون البربر البتر، وينسبون إلى لو الأصغر ابن لو الأكبر، ولو الأصغر هو نفزاو. البربر أردوا العموم في الجمع فزادوا الألف والتاء فقالوا لوات فلما عربته العرب حملوه على الإفراد وألحقوا به الهاء. ولها بطون كثيرة منها مزاتة وسدراتة ونفزواة. ومواطن لواته في القديم بنوحي برقـة وطرابلس إلى قابس. وقال ابن خلدون عنهم: (وكان منهم بجبل أوراس أمة عظيمة...) وقال أيضا : (كان من لواتة، هؤلاء قبيلة عظيمة بضواحي تاهـرت إلى ناحية القبلة. وكانوا ظواعـن هناك على وادي مينـا). أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص117ـ 118. أحمد الزاوي: تاريخ الفتـح العربي في ليبيا، ص2. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، ص72.

عبد الوهاب بن عبد الرحمان، يصاهر قبيلة لواتة البترية، لكي تكون هذه الأخيرة قوة أساسية للقضاء على الغزو الخارجي، والفتن الداخلية كفتنة قبيلة هوارة بقيادة مقدم أوس الهواري المعروف ببني مسالة[1]. ولها دور عظيم في القضاء على ثورة محمد بن مسالة الهواري الإباضي في عهد الإمام أبي اليقظان، حين استولى محمد بن مسالة على تيهـرت وطرد الرستميين وقبائل البربرية الموالين لهم منها[2].

وبعد ذلك أرسلت قبيلة لواتة إلى أبي اليقظـان ودعته إلى النزول بجوارها في موضع يقال له (تساونت)، قرب نهر مينة الذي يصب في تاهرت، وهنالك تمت مبايعته بالإمامة بعد اعتزال أخيه أبي بكر بن أفلح سنة 141هـ[3].

تعتبر قبيلة لواتــة البربرية قوة سياسيــة واجتماعية، حيث كثفت جهودها مع الرستميين وقبيلة نفوسة للقضاء على فتنة هوارة وردعها،

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص 52.

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص84ـ 85.

(3) المصدر نفسه، ص 85ـ 86.





وردها من جديد إلى طاعة الإمام الرستمي[1].

جـ- قبيلة هوارة البربرية:

تعتبر قبيلة هوارة[2] البربرية البرنسية عماد الدولة الرستمية وموطنها في شرق طرابلس. وكانت من بين القبائل البربرية السابقة لاعتناق المذهب الإباضي، والدفاع عنه بشتى الوسائل الممكنة. ولها صلات وثيقة ومتينة مع قبيلة لماية البترية وبطونها لوجود قسم من

---

(1) نفسه، ص87ـ 88.

(2) قبيلة هوارة: هي بطن من البرانس، تنسب إلى هوارين أو ريغ بن برنس جد البرانس، ومن بطون هوارة غريان وورفل وسراتة وسلاتة ومجريس (وسلاتة وغريان ومجريس أبناء هوار). وكانت مواطنهم زمن الفتح الإسلامي حول طرابلس إلى سرت. وكان لهوارة ذكر في الردة، وكانوا متعصبين للخوارج، ثم اعتنقوا مذهب الإباضية واستقروا عليه. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6 ص117. أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي، ص21. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج1، ص82.

ظواعنها في إفريقية والمغرب، فربطوا العلاقات مع أجزاء قبيلة لماية[1].

حاولت قبيلـة هوارة البربرية الخروج عن طاعة الإمام عبد الوهاب ابن عبد الرحمان، وعن تقاليد المجتمع الرستمي. وشرعت في محالفة قبيلة لواتة البربرية عن طريق المصاهرة الاجتماعية والأسرية بالنسب. لكن الإمام عبد الوهاب تفطن إلى هذا الأمر فقطع الحلف وأصهر قبيلة لواتة، وتزوج إحدى بنات شيخ القبيلة التي خطبهـا زعيم قبيلة هوارة، وبهذه الطريقة كسب الإمام إليه قبيلة لواتة[2].

استنجدت قبيلة هوارة بالإمام عبد الوهاب سنة 196هـ ـ 811م بعد تمردها وإعلان ثوراتها ضد العباسيين بطرابلس، فسير إبراهيم بن الأغلب ابنه أبا العباس عبد الله على رأس جيش عدده ثلاثة عشر ألف جندي، فانهزمت قبيلة هوارة وتمكن ابن الأغلب من دخول مدينتها، فلبى الإمام عبد الوهاب نداء هوارة له ولم يتردد في نجدتها. وزحف

(1) محمد دبوز: تاريخ المغرب، ج3، ص245ـ 255.

(2) عبد الله البـاروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص133. ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص52.





بجيش قوي حرب به حصارا شديدا على مدينة طرابلس سنة 196هـ/ 811م، وانتهى بالصلح مع الأغالبة[1].

ضعفت قبيلة هوارة في عهد الإمام أبي بكر بن أفلح (240ـ 241هـ / 854ـ 855م)، بسبب ضعف سلطة الإمـام على القبائل البربرية الأخرى ويوضح عبد الله الباروني في هذا الشأن بقوله: (... وقع بعض مشاحنة وتنافر بكثرة الأموال والأتبـاع بين القبائل ولاسيما بين هوارة فإنها تحاسدت حتى انقسمت، فانحاز قسم منها يعرف ببني الأوس إلى من والاه من القبائل الأخرى. وانحاز القسـم الآخـر ويعرف بترهنة كذلك إلى غيرها، وبقي الحال ساكنا لا حرب ولا نزاع ولا خروج عن طاعة الإمام)[2].

---

(1) ابن يحي البـاروني: رسالة العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، ص12ـ 13. محمود إسماعيل عبد الرزاق: الأغالبة (184ـ 296هـ) سياستهم الخارجية، ط2، مكتبة وراقة الجامعة، فاس المغرب، 1978م، ص 105ـ106.

(2) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص 224.

د ـ قبيلة زواغة البربرية:

كان لقبيلة زواغة[1] البربرية دور كبير في مبايعة الإمام يعقوب بن أفلح بأرصها غربي طرابلس سنة 282هـ ـ 895م، عد ابن أخيه أبا حاتم يوسف بن أبي اليقظان. دارت بينهما رحى الحرب أربع سنوات بعدما أفسدت كل شيء. وانتهت في الأخير بالصلح لمدة أربعة أشهر، وأثناءها عمل أبو حاتم على استمالة القلوب إليه واكتساب مودة الرعية، فمالت إليه وانقلبت على عمه يعقوب فخلعته من الإمامة، فرحل من حيث أتى إلى قبيلة زواغة ومكث في أرضها حتى شهد

---

(1) زواغة البربرية: هم من البربر البتر وهم أوزاغ في القبائل، ومنهم جماعة بنواحي طرابلس ومدينة زواغة مازالت تعرف بهذا الاسم، وهي غربي صبرتة بنحو عشركلم. وتنسب إلى دمر بنو زواغ وبنو واطيل بن زحيك وبنو زواغ وبنو ماحزين تيفون ابن زواغة، ومن دمر بنو سمكان وهم أزواغ في القبائل. وكذلك توجد في جهات قسنطينة أيضا رهط من زواغة، وكذلك بنو واطيل بجبال شلف وبنواحي فاس آخرون. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص264. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج1، ص75. أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي، ص22.





سقوط الدولة الرستمية على يد الشيعة ثم رحل إلى وارجلان ـ ورقلة ـ سنة296هـ ـ 909م[1]. لجأ الطيب بن خلف بن السمح في عهد الإمام أبي حاتم (281ـ 282هـ/ 894ـ 895م)، إلى قبيلة زواغة البربرية بعد أن شق عصا الطـاعة عن الإمام. ورفضت قبيلة زواغة تسليمه لقائد الإمام، فدارت بينهم الحرب وكان الانتصار حليف الرستميين والهزيمة لزواغة، وهرب الطيب بن خلف إلى جزيرة جربة حيث تم إلقاء القبض عليه بها[2].

هـ- قبيلتا مزاتة وسدراتة:

تعتبر قبيلتا مزاتة[3] وسدراتة[4] سندا قويا للدولـة الرستمية وتجد

---

(1) عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ص ص228 ـ 229.
إسماعيل محمود: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص134.

(2) عبد المقصود باشا: الرستميون صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ص56ـ57.

(3) قبيلة مزاتة: هي بطن من بطون لواتة، وقال عنها البكري (أنها في شمال أوراس، ويسكن فحص هذه المدينة قبائل مزاتة وضريسة وكلهم إباضية) .

(4) قبيلة سدراتة: هي بطن من بطون لواتة البربرية البترية موجودة حول بسكرة.



في استمرارها قوة لهما أيضا، وكما أكده الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمان في قوله على قبيلة مزاتة: (ما قام هذا الدين (الحكم الرستمي) إلا بسيوف نفوسة، وأموال مزاتـة)[1].

وهذا القول قد يعني أن قبيلة مزاتة كانت ذات ثراء كبير وعريض. ولكن الأهم من ذلك استعدادها للتضحية والإنفاق بالمال لبناء المجتمع الرستمي، والمحافظة على كيانه ونظامه وكذا حضارته[2].

ويحدثنا ابن الصغير المالكي عن قبيلتي مزاتـة وسدراتة البربريتين داخل المجتمع الرستمي، وعن معيشتهم الاجتماعية فيقول: (كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب وغيرها

=وكان موطنها كذلك بالمغرب الأدنى في شمال أوراس وجنوبه، وهي إباضية المذهب. أنظر: البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص55.

(1) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص273.

(2) إحسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، الأصالة، ع: 45، ص26.





في أشهر الربيع إلى مدينة تاهرت، وأحوازها لما حولها الكلأ وغيره. دخل وجوههم ورؤساؤهم المدينة فيبرون ويكرمـون، ثم يخرجون إلى شياههم وبعيرهم، فيقيمون بها إلى ظعنهم)[1].

كان لقبيلتي مزاتـة وسدراتة نفوذ قوي ورأي سديد في الدولة الرستمية. وهذا ماجرى في إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان، حين طلبوا منه تغيير القاضي وصاحب بيت المال وصاحب الشرطة في المجتمـع الرستمـي.

وهذا الحديث الذي دار بينهم: (...فلما دخلوا عليه تكلم متكلمهم بحمد الله وأثنى عليه،

فقال له: إن رعيتك قد ضجت من قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك، فاعزلهم عنهم. وولي عليهم خيارهم.

فقال عبد الوهاب: جزاكـم الله من وفد خير فقدتم من الإسـلام ما يفتقده من كان مثلكم. الأمر إليكم قدموا من رأيتم وأخروا من رأيتم.

-ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص47.



فدعوا له وأثنوا عليه، فقالوا خيرا ثم انصرفـوا)[1]. وبهذا كان لها دور كبيـر في إصلاح المجتمع الرستمـي من الآفات الاجتماعية وتطهيره من الفساد، واتخاذ القرار السياسي المناسب من أجل ترقية المجتمع حضاريا واجتماعيا.

ولقبيلة مزاتة دور كبير وفضل عظيم بقيادة شيخها أبي يعقوب المزاتي ـ أحد أرباب الثروة والمال في المجتمع الرستمي ـ في فض النزاع والصراع الذي دار بين الإمامين يعقوب بن أفلح وابن أخيه أبي حاتم يوسف، ودام أربع سنوات حتى[2] (قطعت السبل وفرغ من أيدي الناس الحرث والنسل)[3]. وتم الصلح بينهما وساد الأمن والآمان، وعادت الإمامة إلى أبي حاتم يوسف[4].

---

(1) المصدر نفسه، ص48.

(2) نفسه، ص113. عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2 ، ص273ـ 274. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر ج1، ص228.

(3) ابن الصغير: المصدر السابق، ص113.

(4) عبد الله الباروني: المرجع السابق، ج2، ص275ـ 276.





و ـ قبائل دمر الزناتية:

يوجد في الشمال الغربي من جبل نفوسة، جبل دمر تسكنه قبائل دمر الزناتية[1] ومع أنهم كانوا إباضية المذهب، إلا أنهم يفضلون حياة الاستقلال عن الدولة الرستمية، لتجنب ضربات الخلافة العباسية عن طريق الدولة الأغلبية السنية الموالية لها في إفريقية[2].

تروي المصادر التاريخية أن الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمان نزل على قبائل دمر الزناتية بجبلها المعروف بـ (جبل دمر) أياما معدودة، وأثناءها دعاهم إلى الانضمام إلى دولته فبايعه أهل مجتمع الجبل. وانضموا إليه واعترفوا بإمامته، وولى عليهم شيخا

---

(1) بنو دمر: توجد قبائل دمر الزناتية في نواحي طرابلس وجبالها وغرب إفريقية ومن بطونها: بنو ورغمة وبنورنيد وبنو ورتاتين وبنو غرزول وبنو تافورت. وهناك جبل باسم جبل دمر يقع على ثلاث مراحل من جبل نفوسة. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج2، ص 75. محمد بن عميرة: دور زناتة، ص21.

(2) عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ص555.

منهم يدير شؤون مجتمعهم يقال مدرار الزناتي(1). كما أن لهذه القبائل اتصالا وثيقا مع جبل نفوسة، معقل الإباضية(2).

ز- قبيلة بني يفرن الزناتية:

يعتبر بنو يفرن(3) سندا قويا ودرعا واقيا للدولة الرستمية، لأن

---

(1) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص65- 66. عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص137. عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص129. عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص556. محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص500 - 501.

(2) محمد دبوز: المرجع نفسه، ج3، ص500. ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982م، ص145.

(3) بنو يفرن: هم عند نسابة من زناتة بني يفرن بن يصليتن، وأما شعوبهم فكثيرة و أشهرهم: بنو واركو ومرنجيصة . وقد يكون يفرن هو أول شيخ ترأس هذه القبيلة ومن ثم نسبت إليه. وكان بنو يفرن في عهد الفتح الإسلامي منتشرين بإفريقية وجبل أوراس والمغرب الأوسط. وانتشروا في الناحية الغربية لبلاد الغرب، وسبب انسحابهم أمام تقدم القبائل الطرابلسية لواتة





زوجة مؤسس الدولة الإمـام الأول عبد الرحمان بن رستـم وأم ابنه عبد الوهاب من قبيلة بني يفرن الزناتية. وهي التي أيدت عبد الوهاب في اختياره إمامـا، بعد وفاة أبيه من بين الستة[1]، وتربطه رابطـة اجتماعيـة من صلة النسب بقبيلـة زناتـة، فكـان صهره جـارون ابن القمري (القمرون) الزناتي[2].

نجد في عهد الإمام الثاني عبد الوهاب عصيان جماعات من فرقة المعتزلة الواصلية في الشمال من العاصمة تيهـرت، ويقدر عددهم في

=وهوارة المنتشرتا بالجنوب التونسي وضواحي الأوراس. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج2، ص14. محمد بن عميرة: دور زناتة، ص18.

E.CAUTIER: Le passe de l'Afrique du Nord، p371.

(1) أو السبعة. أنظر: المصادر التاريخية الإباضية، الشماخي: السير، ص145. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص46. أبو زكرياء: سير، ص54ـ 55. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص550.

(2) محمد بن يوسف أطفيش: الرد على العقبي، ص92. عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص147.



المجتمع الرستمي بثلاثين ألفا، ويعيشون في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها معهم[1] ومعظمهم من قبائل زناتة البربرية[2].

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1 ، ص815. البكري: المغرب، ص67. عبد الله الباروني: المرجع السابق، ج2 ، ص116 .

(2) قبائل زناتة: يعود أصل قبائل زناتة إلى مدغيس الأبتر. وقبائل زناتة رحل يرعون الإبل ويعيشون في الصحراء، التي تمتد بين غدامس وصحراء المغرب الأقصى. ولغة زناتة هي اللغة البربرية التي لا تزال مستعملة كلهجة في وادي ميزاب وورقلة وواد ريغ في جبال الونشريس، وشرق المغرب الأقصى. وقبائل زناتة: جراوة ومغراوة ، وبنو يفرن وبنو مرين وبنو زيان وبنو وطاس. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص203. أبو الربيع الوسياني: سير مشائخ المغرب، ص25. محمود بو عياد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1982م، ص40. رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، 1977م، ص ص159_ 160. مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ص178. أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية بيروت لبنان بد ط، بلا تا، ص15. حركات إبراهيم: المغرب عبر

إن الواصلية في الدولة الرستمية تدعو إلى الإمامة والخلافة الإسلامية باللسان، وبذلك لم تختلف كثيرا مع الإباضية، بل اتفقت معها في الاتجاه المذهبي العام وعاشت في كنف الدولة وتحت لوائها ونظامها إلى أن جاءت الفرصة والحجة المقنعة للخروج عن طاعة الإمام، والانفصال عن الإمامة الرستمية بسبب مقتل يزيد بن فندين رئيس فرقة النكارية، باعتباره من قبيلة يفرن التي هي فرع من فروع القبائل زناتة. اضطر الإمام عبد الوهاب إلى محاربتها والقضاء على فتنتها وتمردها[1].

=التاريخ، ص33.

G. MARÇAIS: Les Arabes en Berberie du 11ème siècle، Paris، 1913، p50.

G.H. BOUSQUET : Les Berbères، presse Universitaire de France، Paris، 1957، p53.

(1) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص188.محمد دبوز: تاريخ المغرب، ج3، ص483.



عرفت قبائل زناتة[1] في المجتمع الرستمي بالتمرد والعصيان والخروج على أئمـة الدولـة، حتى أصبحت لا يؤمن مكرها وغدرها. وهذا ما تجلى في إمامـة أبي اليقظان محمد بن أفلح، حين أرسل ابنه أبو حـاتم يوسـف في جيش كبير مع وجوه زناتة، ليجيروا ويرقبوا قوافل تجارية جاءت من المشرق الإسلامـي، فيها أموال لا تحصى قد خافوا عليها من قبائل زناتة البربرية.

حـ- قبيلة نفوسة البربرية:

تعتبر قبيلة نفوسة[2] من أكبر القبائل البربرية انتشارا، حيث

---

(1) كانت قبائل زناتة منهمكة في الحركة التجارية الكبيرة وتستخدم شبكة من المواصلات، التي تربط إفريقية الشمالية وبلاد السودان. أنظر: موريس لومبارد: الإسلام في مجده الأول القرن (8ـ 11هـ / 2ـ 5م)، ص91. ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص104.

(2) قبيلة نفوسة: كان ما دغيس الأبتر جد البرابرة البتر، وكان ابنه زحيك ومنه تشعبت بطونهم، فكان من الولد فيها يذكر نسابة البربر أربعة: نفوس واداس وضرار ولوا. وأما نفوس فهم بطن واحد تنسب إليه نفوسة كلها، وكانوا من



يمتد موقعها الجغرافي من طرابلس غربا إلى جبل نفوسة حتى مناطق القيروان. وجبل نفوسة هو الموطن الأصلي لها ويبلغ طوله مسيرة سبعة أيام من تيهرت. وإقليم نفوسة آهل بالسكان، والقلاع والمدن والقرى. وقبيلة نفوسة اعتنقت المذهب الإباضي بعد دخولها الدين الإسلامي الحنيف في القرن الثاني الهجري.

=أوسع القبائل فيهم شعوبا كبيرة مثل: بنو زمور وبنو مكسور وماطوسة. وكانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس وما إليها وهناك جبل معروف بهم يسمى بـ (جبل نفوسة). ويوجد به مدنتين إحداهما شروس في وسط الجبل وبها خير كثير من الشعير وهو المفضل عندهم. والثانية يقال لها جادو من ناحية نفزاوة. وجميع أهل الجبال شراة وهبية وإباضية متمردون عن طاعة السلاطين. وطول هذا الجبل مسيرة ستة أيام من الشرق إلى الغرب، وبين جبل نفوسة وطرابلس ثلاثة أيام. ومازالت جماعات منهم كثيرة تسكن الجبل حتى الآن، وكانت مدينة صبرة (صبراتة) في مواطنهم، وتنسب إليهم. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص229ـ 230. الوسياني: سير مشائخ المغرب، ص44. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص ص296ـ 297. أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي، ص22.

أصبحت قبيلة نفوسة البترية بعد نشأة الدولة الرستمية قلبها النابض والمركز الأساسي لها، إذ تعد من أكبر مؤيدها ومناصريها[1]. وهذا ما أكده المؤرخ والجغرافي ابن واضح اليعقوبي بقوله: (ومن طرابلس إلى أرض نفوسة وهم قوم عجم الألسن إباضية كلهم، لهم رئيس يقال له إليـاس لا يخرجون عن أمره. ومنازلهم في جبـال طرابلـس في ضياع وقرى ومزارع وعمـارات كثيرة. لا يؤدون خراجا إلى سلطـان ولا يعطون إلا إلى رئيس لهم بتيهـرت، وهـو إمامهم ويقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمان ابن رستم)[2].

خطا الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان أشواطا كبيرة في تدعيم جهاز السلطة بتيهرت، فاعتمد كليا في سياسته الداخلية والخارجية على قبيلة نفوسة. وأصبحت المحرك الأساسي والمهم للحكم

---

(1)ـ ANDRE NEGRE : La Fin de L'état Rustumide، Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb، faculté des lettres، d'Alger، imprimerie ipn، Alger، juillet 1969، p20_21.

(2) ابن واضح اليعقوبي: صفة المغرب مأخوذ من كتاب البلدان، ص7.





الرستمي[1]، وأنه قال فيها: (ما قام هذا الدين إلا بسيوف نفوسة، وأموال مزاتة)[2]. وفي عهد إمامته افترقت الإباضية إل فرقتين: فرقة النكارية بقيادة يزيد بن فندين، الذي أنكر إمامة عبد الوهاب. وفرقة الوهبية (الوهابية) نسبة إلى عبد الوهاب، ويسمون أيضا بالعسكرية وهم أهل العسكر وجلهم من قبيلة نفوسة المناصرة للإمامة الرستمية*، وبفضلها قضى على الحركة التمردية النكارية. وشاركت قبيلة نفوسة في محاربة فرقة الواصلية المعتزلة، وتغلبت عليها[3].

كان الإمام عبد الوهاب يسهر بنفسه على أمن المجتمع في

---

(1) محمد بن حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، ص 149.

(2) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص273.

(*) يمكن الرجوع إلى الأئمة الرستميين من هذا الكتاب.

(3)ـ ابن الصغير: أخبار الأئمة، من ص 43 إلى ص45. عبد المقصود باشا: الرستميون، ص 40. محمد بن حسن: المرجع السابق ، ص 150. ابن الصغير: أخبار الأئمة، من ص 43 إلى ص45. عبد المقصود باشا: الرستميون، ص40. محمد بن حسن: المرجع السابق ، ص150.

العاصمة تيهرت، ويتفقد رعيته. وتقوم قبيلة نفوسة إلى جانبه بالدور الأول في السهر على الحياة الاجتماعية اليومية في عاصمة الدولة[1]. وكانت نفوسة (تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال، وإنكار المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساق)[2]. ومن هنا نستنتج أن قبيلة نفوسة هي قوة اجتماعية مصلحة. وأصبحت سيف الدولة ودرعها الواقي والسلطة الحقيقية في البلاد.

أقام الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان في مجتمع نفوسة بالجبل سبع سنوات، وبنى فيها مسجدا، وألف كتابا يعرف بـ : (مسائل نفوسة * أو نوازل نفوسة)[3].

---

(1) الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص116.

(2) ابن الصغير: المصدر السابق، ص63.

(3) (*) كتاب مسائل نفوسة للإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم المتوفي سنة 250هـ، تحقيق وترتيب إبراهيم محمد طلاي، المطبعة العربية غرداية الجزائر سنة 1991م. يقع هذا الكتاب في 196صفحة، وموجود في المكتبات الجزائرية. ملاحظة: الإمام عبد الوهاب توفي سنة 190هـ، وليس

ولا يزال هذا الكتاب الفقهي موجودا حتى اليوم. وأثناء إقامته في جبل نفوسة استغاثته قبيلة هوارة البربرية ضد عبد الله الأغلب سنة 196هـ ـ 811م، فلم يتردد في نجدتها وزحف بجيش عخم من جبل نفوسة، وحاصره في مدينة طرابلس مدة من الزمن. انتهى بصلح الطرفين ورفع عنه الحصار بشرط، أن تكون أعمـال طرابلس تحت سيادة الدولة الرستمية[1].

اجتمع أهل الحل والعقد من قبيلة نفوسة عندما توفي الإمام أفلح بن عبد الوهاب سنة 240هـ ـ 854م، وعقدوا الإمامة لأبي بكر بن أفلح من نفس السنة، حتى ثار أحد فقهاء المجتمع الرستمي عبد العزيز بن الأوز [2] ونادى بأعلى صوته: (الله أسائلكم معاشر نفوسة إذا مات

=250هـ كما جاء في الكتاب المذكور.

محمد دبوز: تاريخ المغرب، ج3، ص272ـ 273. إبراهيم البرادي: الجواهر المنتقاة، ص219.



(1) ابن خلدون: العبر، ج4، ص421. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص145.

(2) عبد العزيز بن الأوز: من علماء الإباضية الذين لهم فقه بارع ورحلة إلى



واحد جعلتم مكانه آخر، ولم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه إليهم، فيختارون من هو أتقى)[1]. ومن خلال هذه الروايات التاريخية نلاحظ أن قبيلة نفوسة لها نفوذ واسع ومنزلة سامية، وتعتبر قوة اجتماعية هادفة لها مهمة تسير مصالح وشؤون المجتمع أولا، ومصالح السلطة ثانيا من اختيار أئمة البلاد.

أمر الإمام أبو اليقظـان محمد بن أفلح (41 ـ 281هـ / 855 ـ 894م) قوما من نفوسة يمشون في الأسواق، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. قالوا: فإن رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه، إن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقته، أنزلوا حملها، وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها. وإن رأوا قذرا في الطـريق، أمروا من حول الموضـع أن يكنسه)[2]. ومنه أن قبيلة نفوسـة ساهمت في دعم مركز الدولـة سياسيا واقتصاديا،

=الشرق، ويبدو أنه كان صريحا لا يعرف المجاملة. أنظر: ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص70.

(1) المصدر نفسه، ص70

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص70ـ 71.



وحافظت على أسس المجتمع أخلاقيا وروحيا وبها تقوت الدولة. انهارت القوة العسكرية النفوسية في عهد الإمام أبي حاتم يوسف بن محمد على أيدي الأغالبة (284هـ ـ 897م)، بقيادة إبراهيم بن أحمد الأغلبي في معركة قصر (مانو) قرب طرابلس، وانهزم جيش نفوسة هزيمة شنعاء بقيادة أفلح بن العباس، وقتل فيها من عامة الناس (12000) ومن علمائها (400). ومنذ ذلك العهد لم تعد قبيلة نفوسة توافي الدولة الرستمية بالإمدادات، بل انقطعت عنها تماما. وكان لذلك الأثر العميق في اضمحلال المجتمع الرستمي وتذبذب السلطة، لأن النفوسيين هم عدتها القوية والأساسية في نفس الوقت ومادتها الروحية[1].

هكذا لعبت القبائل البربرية دورا بارزا في الأحداث السياسية، وفي الجوانب الاجتماعية على عهد الدولة الرستمية، وإلى جانب هذه

(1) سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص 48ـ 49. ابن يحي الباروني: رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، ص ص19ـ 20. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص110ـ 111.

القبائل البربرية الكبرى التي ذكرناها، توجد قبائل أخرى لم تتحدث المصادر التاريخية عنها، لكن كان لها دورا بارزا في المجتمع الرستمي، ومن بينها قبيلة مكناسة[1] ومطماطة[2] ونفزاوة ومطغرة[3] وغيرهم من

(1) قبيلة مكناسة: قبيلة مشهورة من قبائل زناتة. نزلت عدة أماكن بالمغرب الإسلامي والأندلس، وظل اسمها عاما لبعض تلك الأماكن التي لم تلبث أن صارت مدنا زاهرة. فهناك تازا وتعرف أيضا بمدينة تازا، ثم مكناسة الزيتون. أنظر: لسان الدين ابن الخطيب : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص169.

(2) قبيلة مطماطة: تنسب إلى فاتن بن تمصيت، وهم إخوة مطغرة ولماية، وهم شعوب كثيرة وعن سابق المطماطي وأصحابه من النسابة أن اسم مطماط مصكاب ومطماط لقب له. وأن شعوبهم من لوا بن مطماط، وهم معرفون في المواطن فمنهم نواحي فاس من قبلتها في جبل هناك معروف بهم ما بين فاس و منطقة صفراوي. ومنهم بجهات قابس والبلد المختط على العين الحامية من جهة غربها منسوب إليهم. وكانت مواطن جمهورهم بتلول منداس عند جبل الونشريس وجبل كزول من نواحي تيهرت. أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص250 ـ 251.

(3) قبيلة مطغرة: مطغرة قبيلة زناتية، لعبت دورا كبيرا في أحداث الفتح العربي



القبائل البربرية الأخرى. وذكر ابن حوقل النصيبي قبائل بربرية أخرى إباضية المذهب،

بقولـه: (فأهل قسطيلية وقفصة ونفطة والحامة وسماطة وبشرى، وأهل جبل نفوسـة فشراة إما إباضية أو وهبية.)[1]، لكنه لم يشر إلى دورها في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية.

3 ـ العـرب :

جاء العرب إلى بلاد المغرب في ثلاث موجات، فكانت أولها هجرة الخوارج سنة 39هـ ـ 661م بعدما هزمهم الإمام علي كرم الله وجهه، فهربوا إلى ساحل تونس. ولا تزال سلالتهم باقية حتى اليوم في جزيرة جربة وفي الواحات الجنوبية، ومن بقاياهم المزابيـون في واحات جنوب وسط الجزائر. وكانت الموجة الثانية وهي الرئيسية

=الإسلامي للمغرب. وينسب إليها الزعيم البربري ميسرة الحقير. أنظر: ابن الخطيب: المصدر السابق، ص148.

(1) ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، ص96.

موجة الفتح العربي الإسلامي، جاءت هذه الأخيرة من بلاد العـرب مباشرة من الحجاز واليمـن. ومعظمهـم جنودا وفرسانا بلا زواج، فلما استقروا في بلاد المغرب تزوجوا من نساء البربر الأمازيغ، فنشأ عنصرا اختلطت فيه الدماء السامية بالدماء الحامية، وقد وصلت هذه الموجة إلى ساحل المحيط الأطلسي ووادي سوس. والموجة الثالثة هي فتح الأندلس ودخول الفاتحين العرب إليها، وكان لهذه الموجة الفضل الكبير في نشر اللغة العربية والدين الإسلامي الحنيف على أيديهم[1].

انتشر الإسلام في المغرب انتشارا واسعا وأصبح هذا الدين الجديد، عنصر خلاص للبربر من العبوديـة والقهر. وتحمسوا للفاتحين العرب وشكلوا كتلة موحدة لا تميز بينهما. وانصهرت العبقرية العربية الإسلامية مع العنصر البربري في المغرب انصهارا نهائيا[2]، قبل إنشاء

---

(1) عبد المنعم الشرقاوي: ملامح المغرب العربي، ص62.

(2) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحياة المغربية، ط1، دار سلمى للتأليف والنشر والتوزيع والطباعة، الدار البيضاء المغرب 1957م، ص35. مجاهد مسعود: تاريخ الجزائر، بد ط، وبلا د، وبلا تا، ص67.



الدولــة الرستمية بحوالي قرن. وأصبحت هناك مدن إسلامية خالصة استقر فيها العنصر العربي كمدينة القيروان، وخلال هذه الفترة لم تكن مدينة تيهرت موجودة.

أثبتت المصادر التاريخية عدم مشاركة العرب في بناء مدينة تيهــرت (144هـ ـ 761م) بقيادة عبد الرحمان بن رستم الفارسي، مثل القبائل البربرية الأخرى كقبيلة لماية البترية كما سبق ذكره[1].

أسس الإمام عبد الرحمان بن رستم مدينة تيهــرت أولا، وبعد ذلك أنشأ الدولــة الإباضية الرستمية (160هـ ـ 777م) ثانيا، ثم هاجر إليها العنصر العربي في شكل هجرات جماعية متفرقة واستقروا بها. وازدهرت بوجودهم الحضارة والعمران، كما تحدث عنهم ابن الصغير بقوله: (ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم، وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلــد، وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته، وأمانه على نفسه وماله، حتى لا يرى دارا إلا قيل: هذه لفلان الكوفي

---

(1) الشماخي: السير، ص 12ـ 13. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص41.



وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي. وهذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين. واستعملت السبل إلى بلاد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة، وضروب الأمتعة)[1].

قد ارتفعت هجرة العرب المسلمين إلى عاصمة الرستميين تيهرت، بعد تأسيس المدينة وتوطيد أركان الدولة الرستمية من مدينة القيروان، التي كان عبد الرحمان ابن رستم قبل هذا التأسيس واليا عليها. وانتقاله منها إلى المغرب الأوسط جعل بعض العرب المناصرين له يفضلون الرحيل إلى هناك، حيث الآمان والعيش في رحاب المذهب الإباضي وبعيدا عن جيوش الدولة العباسية[2].

أصبحت العاصمة تيهرت ذات أهمية اقتصادية كبيرة، لتحكمها

---

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص36.

(2) الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص44. موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ص174. عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص95. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص217.



في الطرق التجارية. وشجع أئمتها التجارة الداخلية والخارجية، وأعطاء الحرية الكاملة لكل التجار سواء كانوا إباضيين أو غير إباضيين في الاستقرار بمدينة تيهرت، وتوفير سبل الراحة والأمن مما دفع بالعناصر العربية، التي كانت موجودة بأمصار إسلامية أخرى وخاصة العراق من أهل والكوفة والبصرة إلى الانتقال إليها والاقامة بها. ويرجع ذلك لازدهار المدينة اقتصاديا وتجاريا وحضاريا واجتماعيا[1].

إن سياسة الإمام عبد الرحمان بن رستم الحكيمة في إقامة العدل بين الرعية، وعدم التمييز بين الغرباء وأهل البلاد الأصليين والعرب وغيرهم، كان عاملا مهما في كسب أصحاب الأموال والتجار، الذين أتوا إلى بلاده والإقامة فيها، فارين بأموالهم وتجارتهم خوفا على أنفسهم من الحكام الظالمين وقطاع الطرق في مناطق أخرى من العالم الإسلامي[2].

---

(1) الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص112.

(2) الشماخي: السير، ص156. إحسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد =الرستميين، الأصالة، ع: 45، ص22. منصور عبد الحفيظ: الأوضاع

تشير بعض النصوص التاريخية إلى وجود بعض العرب اليمنيين جاءوا إلى تيهرت قصد التجارة لكنهم استقروا فيها، بعدما عرفوا أنها حلقة وصل ببلاد السودان[1]. ومن خلال هذا كله نلاحظ أن العناصر العربية أتت من أقطار مختلفة، فمنهم العرب القحطانيون من بلاد الشام، ومن مصر والحجاز والعراق والقيروان... وقد احتفظ أكثرهم بمذاهبهم الفقهية الأصلية. وكان معظمهم من الحنفية والمالكية والمعتزلة، واختار بعضهم المذهب الإباضي ومن هؤلاء محمد بن بكر، الذي ألف كتب ترد على مخالفي الإباضية وكذلك يرد فيها على الفرق الأخرى في مقالاتهم[2].

=الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية (144ـ 296هـ / 761ـ 909م)، رسالة ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة الجزائر، 1981م، ص73.

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص358. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص9.

(2) ابن الصغير: أخبار، ص99. إحسان عباس: المقال السابق، ص26.



تولى محمد بن عرفة القيرواني العـربي مقاليد الحكم في عهد الإمام أبي بكر ابن أفلح (240ـ 241هـ/ 854 ـ 855م) وله الأمر والنهـي بعد الإمام، وينظر في قضايا الرعية والمجتمع. وكان يحسن التصرف بالحكمـة والذكاء، ويسعى دائما وأبدا لحل مشاكل الناس حتى افتتنت به وأصبح مقصدهم في العاصمة تيهرت، وله أنصار وأتباع ينصرونه ويمجدونه[1]، (فأصبحت الإمامـة الفعلية لمحمَّد بن عرفة والاسمية لأبي بكر)[2] حتى صار لهذا العربي نفوذا واسعا وقويا. أقدم الإمام أبو بكر على التخلص منه فدبر له مؤامـرة فقتله وثار أنصاره مطالبين بالثـأر، وبهذا انقسم المجتمع الرستمي إلى قسمين: قسم مع أبي بكر يضم أتباعه من الرستميين والمسيحيين، وقبيلة نفوسة والعجم (الفرس)، والقسم الثاني يضم العرب وقبيلة هوارة والمعارضين لإمامة

---

(1) عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج1، ص222. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ص226. محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص571.

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص72.



أبي بكر. ودارت بين الفرقين رحى الحرب، وانتهت بخروج الإمام أبي بكر من العاصمة تيهرت واستيلاء محمد بن مسالة الهواري عليها[1].

ومن الملاحظ أنه كان للعرب في تاريخ الدولة الرستمية شأن عظيم، وهذا ما نجده في إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان حين قدم إليه أهل طرابلس، وطلبوا منه تنصيب وزيره السمح بن عبد الله بن الخطاب عاملا عليهم يدير شؤونهم، ويقضي مصالحهم[2].

عاش العنصر العربي في كنف الدولة الإباضية الرستمية كغيره من العناصر الأخرى، واعتبر جزء لا يتجزأ من المجتمع وساهم في كل مجالات الحياة السياسية والحضارية والاجتماعية.

---

(1) المصدر نفسه، ص83ـ 84. سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص44. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ص561. عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص163.

(2) الشماخي: السير، ص196. أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم، ص79. رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ من الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العثماني، ص111.



العجم والصقالبة والأندلسيين

1 ـ العجم:

المقصود بالعجم هم الفرس الذين استقروا في المغرب الإسلامي في ظروف مختلفة وغير محدودة، فالبعض يرى أن الفرس جاءوا إلى بلاد المغرب من المشرق الإسلامي مع الجيوش الإسلامية ـ جيوش الخلافة العباسية ـ لإخماد ثورات الخوارج والبربر[1]، لأن الدولة

(1) تذكر المصادر التاريخية أن جيش محمد بن الأشعث الخزاعي، الذي أرسله الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إلى المغرب، يضم في صفوفه ثلاثين ألف من أهل بلاد خراسان الفارسية. أنظر: الشماخي: السير، ص131. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص32. جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص28.





العباسيـة اعتمدت على الفرس الخراسانيين في قيامها بقيادة أبي مسلم الخراساني[1]. وهؤلاء الفرس ظلوا مميزين عن غيرهم من العرب، وكان يطلق عليهم اسم العجم[2]. وأن بعضهم استقروا في أرض المغرب مثلهم مثل العنصر العربـي، الذي آتى مع الجيوش العباسية[3].

وكما سبق الإشارة إليه من قبل أن عبد الرحمان بن رستم الفارسي، مؤسس الدولة كان من أسرة فارسيـة مشهورة[4]. وانتقل إلى المغرب لنشر المذهب الإباضـي بين قبائل البربر ثم أصبح واليا على القيروان

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص323. إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص19.

(2) عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص19.

(3) عبد الحفيظ منصور: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ص67.

(4) البكري: المغرب، ص67. سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص273. ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب، ص511.



في عهد أبي الخطاب المعافري سنة 140هـ ـ 757م[1]، وبعد القضاء على هذا الأخير سنة 144هـ ـ 761م، التجأ عبد الرحمان إلى المغرب الأوسط، وأسس دولته على مبادئ الإباضية. كل هذه الأمور حفزت العناصر الفارسية وشجعتها على الهجرة، والاستقرار فيها[2].

بلغت العناصر الفارسية في الدولة الإباضية الرستمية شأنا عظيما لكون الأئمة الرستميين منهم (من أصل فارسي)[3]، فأوكلوا إليهم قيادة الجيوش وأسمى المناصب العليا في البلاد وهذا ما لاحظناه في إمامة أبي بكر بن أفلح، حين انضم إليه العناصر الأعجمية في محاربته للعرب والناقمين على حكمه من قبيلة هوارة البربرية.

وكان هدف العجم من هذه الحرب أن تصبح لهم المكانة الأولى والأخيرة في تيهرت، إذ قاموا بدور المنقذ للبلاد والحكم الرستمي

(1) أبو زكرياء: سير الأئمة، ص ص46ـ 47. الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص29ـ 30.

(2) إحسان عباس: المجتمع التاهرتي، ص26.

(3) الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص 144.





وقد أشار إلى هذا الموضوع[1] ابن الصغير بقوله: (فلما رأت العجم ما نزل بين الفريقين من السباب والقتل. قالوا : قد أمكنّا في العرب والجند ومواليهم وأتباعهم ما نريد، فقوموا بنا مع اشتغالهم بأنفسهم، حتى نثبت على طرف المدينة ـ تيهرت ـ فنقتل ونخرب ونميل على سائرهم فنهلكهم، فصفوا لنا البلد والسلطان.

وقد وقع بينهم وبين سلطان البلد ـ أبو بكر بن أفلح ـ من الفتق مالا يرتق أبدا له)[2]. دارت بين الفريقين ـ العرب والعجم ـ حروب أهلية متتالية أدت بالعرب بمهاجمة درب النفوسيين بتيهـرت وإحراقه عن آخره.

وكانت نتيجة الحرب هزيمة وطرد فريق الإمام أبي بكر خارج تيهرت. ونزلت العجم بموضع يقال له (تنابغليت) وهي على مرحلتين من العاصمة. ونزل أبو اليقظان أخو الإمام في مكان يقال له

(1) عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص161. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص127.

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص80.

(أسكدال) وهو على يوم عن العاصمة، ونزلت قبيلة نفوسة بقلعتها. واستولى محمد بن مسالة الهواري على تيهرت كما سبق ذكره[1].

تخبرنا النصوص التاريخية عن سيطرة بعض العناصر الأعجمية على الناحية التجارية وأن ابن وردة (مقدم العجم) قد ابتنى سوقا في المجتمع التيهرتي يعرف باسمه[2]. وكذلك كان لهم دور هام في الحياة الاجتماعية والعمرانية، حيث أقاموا القصور والضياع والحصون، وانتشرت المنتزهات والبساتين خاصة بضواحي مدينة تيهرت. وشكلوا دولة أو مجتمعا داخل الدولة الرستمية[3].

ومن خلال الروايات التاريخية القليلة والفقيرة الواردة إلينا حول العناصر الفارسية. نستنتج أن العنصر الأعجمي قد شارك بقسط وافر

(1) المصدر نفسه، ص84.

(2) نفسه، ص62ـ63. محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص217. الجنحاني: المرجع السابق، ص115.

(3) الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص115. محمود إسماعيل: الخوارج، ص ص226 ـ 227.



في كل مجالات الحياة السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية وحتى الحضارية داخل المجتمع الإباضي الرستمي.

2 ـ الصقالبة:

كانت بلاد الأندلس طريقا واضحا للحصول على عناصر الصقالبة[1] ثم جلبها إلى بلاد المغرب الإسلامي، لبيعهم وجلبها

(1) الصقالبة: هم من أبناء يافت بن نوح عليه السلام، وإليه يرجع سائر أجناس الصقالبة وبه يلتحقون في أنسابهم. ومساكنهم بالجدي وإلى أن يتصلوا بالمغرب. كما أن بلاد الجزر بها خلقا من الصقالبة والروس، وهذا الجنس الصقلبي غير متصل بالمشرق، وإنما يعبر من المغرب. أنظر: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص32. ياقوت الحموي: معجم البلـدان، ج3، ص416. الصقالبة: جمع صقلبي بالإسبانية (eslavos)، وبالإنجليزية (slavs)، وتعني الكلمة الشعوب السلافية. كانت بعض الشعوب الأوربية تبيعهم عبيدا إلى الأندلسيين، الذين توسعوا في استعمال هذه الكلمة. وأصبحت بالإضافة إلى ذلك تعني الرقيق والعبيد المجتلب من أوربا. وكان اليهود يقومون بهذه التجارة، وأحيانا استعملت الكلمة للدلالة على الشعوب نفسها لا على العبيد المجتلبين منها فقط. وكان كثير

منهم يجلب إلى الأندلس أثناء طفولتهم، فيربون تربية إسلامية ثم يدربون على شؤون الاجتماعية وخدمة في قصور الملوك والأمراء، وقد تولوا مناصب كبيرة. وكانوا يسمون أيضا بالفتيان والخلفاء كما وردت تسميتهم بالخرس والجابيب والمماليك والصقالبة. حول هذا موضوع لصقالبة. أنظر: ابن بسام الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثالث من المجلد الأول، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب ليبيا وتونس، 1981م، ص14. ابن حيان القرطبي: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة بيروت لبنان، 1965م، ص48.

آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1405هـ ـ1986م، ج1، ص ص269 ـ 270. شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الآثار الأندلسية منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، بد ط، بلا تا، مج1، ص46ـ 47. جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ط2 منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، بلا تا، ج1، ص ص494ـ 495. محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، العصر الأول، القسم الأول، ط4، القاهرة

كذلك عن طريق الحروب والمعارك، التي كانت تخوضها الدولة الأغلبية ضد الروم، والغلبة فيها للمسلمين فيؤسر العنصر الصقلي ويؤخذ كخدام عندهم.

الأحداث التاريخية في منطقة المغرب الأوسط، لم تظهر أو تبرز ظهور الصقالبة، لأن روح السلم والأمن كانت سائدة إبان القرن الثالث الهجري. قد جعل دورهم مقتصرا على الميادين الاجتماعية في أغلب الأحيان، جعل جُل المؤرخين لم يتعرضوا لهم[1].

أشار ابن الصغير إلى وجود الصقالبة في الدولة الرستمية، فقال:

=مصر، 1379هـ ـ 1969م، ص249. عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، 1966م، ج1، ص632. موريس لومبارد: الإسلام في مجده الأول، ص291. لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي، ص43 ـ 44.

(1) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9ـ 10م)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1992م، ص269.

(حين قدم الوفد الأول من المشرق الإسلامي، إلى الإمام عبد الرحمان بن رستم بعد تأسيس الدولة حامل إليه المساعدات والأموال. وجده في أعلى بيته يعمل بيده في السقف والعبد ـ من الصقالبة[1] ـ يناوله الطين)[2].

تولى محكم الهواري الساكن بجبل أوراس مهمة القضاء في عصر إمامة أفلح ابن عبد الوهاب، فاشتروا له خدما صفرا ليستعين بهم في عمله.

وهذه دلالة واضحة على وجود الصقالبة في المجتمع الرستمي. وأضاف ابن الصغير[3]، إلى أن جارية دخلت على القاضي محمد بن عبد الله الشيخ، في عهد إمامة أبي اليقظان محمد بن أفلح (241 ـ

---

(1) الصقالبة: جيل حمر الألوان صهب الشعور، يتاخمون بلاد الخزار في أعالي جبال الروم. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج1، ص485ـ486.

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص33. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص45.

(3) ابن الصغير: المصدر السابق، ص59.





281هـ / 855ـ 894م)، وهي تصطحب صقلبيـا معه سراج[1].

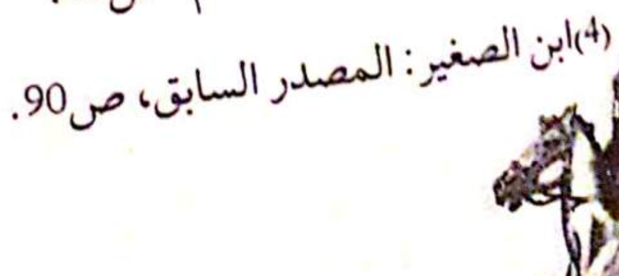
كان الصقالبة من الخصي[2] وخدمتهم مقتصرة في القصور والبيوت، وحراسة أسواق المجتمع الرستمي[3]. وعملوا خدما وعبيدا لأصحاب القصور والضياع وكبار الشخصيات الغنية مثل صهر الإمام أبي بكر بن أفلح، العربي محمد ابن عرفة حيث كان له من الأتباع والعبيد والموالي الصقالبة الكثير، وهذا ما أوضحه ابن الصغير[4] بقوله: (وكان محمد بن عرفـة إذا ركب من داره يريد أبا بكر، مشي

(1) السراج: المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل، والجمع سرج. أنظر: ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، ج2، ص297

(2) الخصي: الخصي والخصة من أعضاء التناسل، واحدة الخصي. أنظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج14، ص229.

(3) فخار إبراهيم: دور الرستميين في وحدة مغرب الشعوب، الأصالة، ع: 42-43، فبراير ومارس 1977م، ص40.

(4)ابن الصغير: المصدر السابق، ص90.



بين يديه ومن خلفه ومن يمينه ومن يساره أمم من الأمم)[1]. لم يكن دور الصقالبة في المجتمع الرستمي واضحا، وإنما كانوا يشكلون عنصرا من عناصر الدولة فقط، ليست لهم أهمية كبيرة حتى يذكرهم المؤرخون.

3 ـ الأندلسيون :

إن وجود العنصر الأندلسي بالدولة الرستمية في بداية نشأتها وخاصة أثناء إمامة عبد الرحمان بن رستم، ولقد سمي باب من أبواب تيهرت في الجهة الشمالية باسم باب الأندلس[2]. وكان لهم شأن عظيم، مما دفع بالإمام الأول عبد الرحمان على جعل الإمامة شورى في سبعة نفر، من بينهم مسعود الأندلسي الفقيه الورع، ومن كبار شيوخ المسلمين في المجتمع. ورجل آخر يقال له عمران بن مروان الأندلسي، ولولا عزوف مسعود الأندلسي عن الإمامة وزهده فيها، لكان

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص72.

(2) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص67.





هو الإمام الثاني للحكم الرستمي بدلا من الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان(1).

وفي الجانب الاقتصادي، كان تجار الأندلس يقصدون سواحل المغرب الأوسط في ظل الدولة الرستمية ومنها ساحل تنس(2)، حيث قامت به قلعة

---

(1) الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص35ـ 36. أبوزكرياء: سير الأئمة، ص54ـ 55.

(2) تنس: هي مرسى صغيرة غربي مدينة الجزائر، أسسها الفنيقيون والقرطاجيون كمستودع تجاري ثم أقاموا به الرومان مستعمرة لم تلبث أن خربت على أيدي البربر، ثم أعاد بناءها مهاجرو الأندلس من مرسية والبيرة. وأشار البكري إلى أن الجاليات الأندلسية، التي استقرت فيها. وأشار إلى أسواقها وحماماتها وإلى قلعتها المرتفعة، التي انفرد الحكام بسكنها لحصانتها. وينسب إلى هذه المدينة علماء اشتهروا في علم الأدب والتأليف: أمثال محمد بن عبد الله الجليل التنسي صاحب كتاب: (نظم الدار والعقيان في بيان صرف بني زيان). ولقد خضعت هذه المدينة لقبيلة مغراوة الزناتية، ثم لسلطان بني زيان ملوك تلمسان. أنظر: لسان الدين ابن

بسيطة بغية التبادل التجاري. لكن أهل هذه المنطقة عرضوا على أولئك التجـار الأندلسيين، إقامة أسواق دائمة لهم وقدموا لهم كل التسهيلات، ووسائل الإقامة والاستقرار فضلا عن حسن الجوار. وأسس التجار الأندلسيون عندئذ مدينة تنس (262هـ ـ 875م)[1].

إلى جانب هذا كله أسس تجار آخرون من بلاد الأندلس مدينة وهران[2]، على المرفأ القديم الذي اشتهر هناك باسم (إلفيري)، أي الكهوف سنة 290هـ ـ 903م. لقي أولئك التجار أيضا كل الظروف

=الخطيب: تاريخ المغرب العربي، ص 156.

(1) إبراهيم العدوي: بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، ص200. عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982م، ص101.

(2) وهران: مدينة ساحلية في غرب الجزائر، وبالغرب من مدينة تلمسان. وكانت في القديم قرية بربرية قليلة الشأن، اسمها (إيفري) ومعناها الكهف، ثم حدث في أواخر القرن الثالث الهجري أن حط بها جماعة من الأندلسيين البحريين، فأسسوا هناك مدينة وهران. أنظر: لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب، ص154.



المناسبة للاستقرار والإقامة، حتى غدت وهران إلى جانب مدينة تنس. وأصبحتا فيما بعد ثغران عظيمان يصلان بلاد المغرب الأوسط بالأندلس الإسلامية[1].

تدل النصوص التاريخية أن الأندلسيين كانت لهم مرتبة سامية في المجتمع، واشتغلوا مناصب عالية في الدولة الرستمية، واعتبروا المحرك الأساسي للتجارة والاقتصاد وكانوا جزء لا يتجزأ من المجتمع الرستمي.

أهل الذمة:

أهل الذمة[2] هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهاتان

---

(1) العدوي: المرجع السابق، ص 201.

(2) الذمة: الذمة العهد المنسوب إلى الذمة، والذمة أهل العقد والميثاق. وعقد الذمة: عهد يعطى للمواطنين غير المسلمين في دولة الإسلام بالحفاظ على أرواحهم وأموالهم، وعدم المساس بأديانهم. والذمي: من أمضي له عقد الذمة. أنظر: ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص221. مجمع اللغة العربية: المجمع الوسيط، ط2، دار المعارف . مصر، 1380هـ-1960م، ج1، ص290.



المجموعتين وجدنا في المجتمع الرستمي الإباضـي الذي أقر بوجودهما كعناصر من الدولة وفرضت عليهما الجزية[1]، ومنحت لهما حريتهما الدينية في ممارسة شعائرهما وطقوسهما، وإلى جانب ذلك مشاركتهما في أمور المجتمع كرعايا في الدولة.

1ـ اليهود:

قد تكون بعض العائلات اليهودية أو بعض التجار اليهود[2]،

---

(1) الجزية: من الجزاء. هي مال تفرضها الدولة على رؤوس أهل الذمة، جمع جزي. أي هي مال يؤخذ من أهل الذمة في مقابل الزكاة التي تؤخذ من المسلمين. وهي ضريبة رؤوس ووردت في القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿ حتَّى يُعْطُوا الجِزْيـة عن يَّدٍ، وهم صَاغِرُونَ﴾، سورة التوبة، الآية: 29 . أنظر: موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ص 139.

عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص92.

(2) اليهود: هم أتباع النبي الكريم موسى عليه السلام، ومن أبناء إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وقد نزحوا إلى مصر بدعوة من يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وتناسلوا هناك وتكاثروا. وهم جميعا من



هاجروا إلى شمال إفريقية (بلاد المغرب) قبل الفتح العربي الإسلامي وبعد ظهور الدين الإسلامي الحنيف أو حتى مع الموجات المسلمة المهاجرة التي التحقت بالفاتحين[1]. فإن هذه الوضعيات قليلة جدا

=نسل الأسباط الاثني عشر ليوسف عليه السلام وإخوته. وقد أبوا أن يندمجوا مع المصريين، فعزلوا أنفسهم عنهم. وتواصوا فيما بينهم أن يكون لكل سبط نسله المعروف والمتميز عن بقية الأسباط، وذلك ليضمنوا الإحتفاظ بنسبهم إعتزازا به وتعاليا على غيرهم، باعتبارهم من ذرية الأنبياء عليهم السلام. وأنهم شعب الله المختار وأحباؤه. أنظر: عبد الكريم الخطيب: اليهود في القرآن، ط2، دار الشروق بيروت لبنان، 1401هـ ـ 1981م، ص11 ـ 12.

(1) أن عقبة بن نافع الفهري نقل (1000) عائلة يهودية قبطية من مصر إلى إفريقية (القيروان)، والمغرب، من أجل إنشاء مصنع لصناعة السفن البحرية. وتكون القيروان قاعدة بحرية لمحاربة الروم. وقول آخر أن حسان بن النعمان هو الذي قام بهذه العملية. يمكن الرجوع إلى: فوزي سعد الله: يهود الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع الجزائر، 1995م ص39. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر

وكان من المفروض أن تترك آثارهـا في كتابـات المؤرخيـن المسلمين الذين عاصروهم أو أتوا بعدهم[1].

اشتهرت الطائفة اليهودية في شمال إفريقية بعد الفتح الإسلامي، بنشاطها التجاري والاقتصادي. هكذا فإن اليهود وجدوا بالمغرب الإسلامي وأصبحوا يشكلون أقلية من أهل الذمة في المغـرب الأوسط، حيث أحرزوا على حقوق جديدة لم يكونوا ليحلموا بها من قبل في العصرين السابقين الروماني والبزنطي، من دفع الجزية والمعيشة في ظروف آمنة على أرواحهم، وأموالهم. زيادة عن الاحترام العام والتقدير من طرف عامة المسلمين، واحترام الخلفاء المسلمين لهم والأخذ برأيهم في السياسة والإدارة.

ولقد أدمجوهم في الحياة الاجتماعية والنظم الإدارية باعتبارهم

=1982م ص37. حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص ص61 ـ 62. سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، ص232.

(1) فوزي سعد الله : المرجع السابق، ص39.



رعايا، كامل الحقوق والواجبات داخل الدولة. وقد ساعدهم هذا الوضع الجديد على الاستقرار، وتنمية أموالهم ونشاطاتهم الاقتصادية والتجارة. واندمج العنصر اليهودي شيئا فشيئا في نظام المجتمع، بفضل خدماته الاستشارية، ونعم برعاية الدولة الرستمية وعطف الأئمة عليه[1].

وبلغ التسامح المذهبي والديني في المجتمع الرستمي مبلغا عظيما، سمح لعناصر اليهود بمزاولة العلم والأدب كالمسلمين، والتبحر فيه حتى نبغ من بينهم عالم في اللغة ألا هو يهوذا بن قريش التيهرتي، الذي أحسن اللغات العربية والعبرية والآرمية والفارسية والبربرية. ووضع أساسا لعلم النحو التنظيري، بإبداعه لمنهجية جديدة في دراسة اللغة العبرية مقارنا لها باللغتين الساميتين المتشابهتين لها العربية والآرامية. وترك كتابا عجيبا في هذا الميدان لا يزال حتى اليوم موجودا في متحف (إكسفورد) ببريطانيا[2].

---

(1) فوزي سعد الله: يهود الجزائر، ص43.

(2) عبد الله شريط : مختصر تاريخ الجزائر، ص83. أحمد توفيق المدني:



تعتبر مدينة جادو[1] إحدى المدن الأساسية في جبل نفوسة مقرا للعناصر اليهودية، وأشار إليها البكري بقوله: (... ذات الأسواق الكثيرة، والجالية اليهودية)[2] واشتغلوا بها صناع لعقاقير والأدوية والأصباغ[3].

تحدث المؤرخ ابن أبي أصبيعة الخزرجي عن وجود أطباء من أهل الذمة (اليهود والنصارى) بالعاصمة تيهرت[4]. وكان لعناصر اليهود

=كتاب الجزائر، المطبعة العربية في الجزائر، 1350هـ،

(1) جادو: توجد بجبل نفوسـة، وتعرف جادو من ناحية نفزاوة، فيها منبر وجامع. أنظر: ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، ص93.

(2) البكري: المغرب، ص9.

(3) الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص303. الحبيب الجنحاني: دراسات مغربية في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للمغرب الإسلامي، ط1، دار الطبعة بيروت لبنان، 1980م، ص ص108 ـ 109.

(4) موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي صبيعة: كتابه عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، 1965م، ج3، ص56ـ 134.





في مدينة تيهرت حي يعرف باسم الرهادنة[1].

2ـ المسيحيون:

انتشرت الديانة المسيحية بين القبائل البربرية البترية والبرنسية بشكل عام في المناطق الساحلية، حيث تأثروا بكل من العناصر الرومانية والبزنطية. وتحولت قبائل بربرية عديدة إلى الديانة المسيحية، وخاصة قبائل زناتة وقبائل أوربة في جبال الأوراس، وقبيلة نفوسة في منطقة طرابلس[2].

وظلت هذه المجتمعات باقية في العهود الإسلامية بعد الفتح العربي الإسلامي العظيم لبلاد المغرب. أما وجود المسيحيين في المغرب الأوسط في ظل الدولة الرستمية، فقد أشار إليهم ابن

---

(1) بحاز: الدولة الرستمية، ص373.

(2) أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ص16. عبد الواحد ذنون طه: استيطان القبائل البربرية في شمال إفريقيا قبل الإسلام، حوليات الجامعة التونسية، ع: 18، تونس 1980م، ص285 ـ 286.



الصغير باسم المسيحيين[1] في إمامة أبي بكر بن أفلح[2] ومنهم من تولى مناصب سامية خاصة في عصره، إذ كانوا من خاصته وأنصاره[3] في حروبه التي خاضها ضد العرب وقبيلة هوارة البربرية.

وتروي لنا المصادر التاريخية أن أبا منصور إلياس النفوسي، والي الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح بجبل نفوسة في منطقة طرابلس، وأحد شيوخ الدعوة الإباضية من أصل نصراني.

---

(1) يرى محمد ناصر وإبراهيم بحاز، محققا كتاب ابن الصغير: أخبار الأئمة =الرستميين، أن لفظ المسيحيين في الأصل هو خطأ كتابي، وإنما يراد به السمحيين أتباع خلف بن السمح بن أبي الخطاب. أنظر: ابن الصغير: المصدر نفسه في الهامش، ص79.

(2) المصدر نفسه، ص79.

ج.ف.ب هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب القرون الوسطى، ص130.

(3) وهناك من يرى أن هؤلاء المسيحيين، هم من نصارى البربر. أنظر: جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، ص52.





كان المسيحيون[1] في عصر الإمام أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان من وجوه[2] أهل البلد تحت قيادة رجل اسمه بكر بن الواحد[3]، ويعتبر هذا الأخير فارس المغرب، استعان به الإمام في حروبه ضد عمه يعقوب بن أفلح[4].

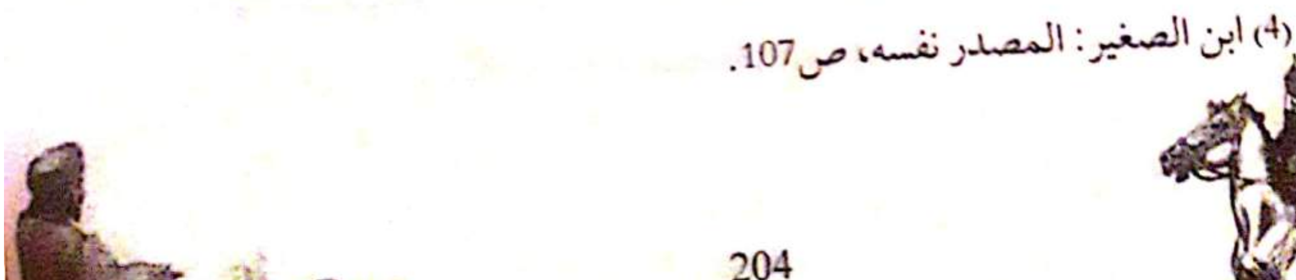
---

(1) الحبيب الجنحاني: دراسات مغربية، ص108. كان المسيحيون من حماة البلد ومن بطانة الإمام أبي حاتم، وأنهم كانوا تجارا. وذكرت المصادر التاريخية أنه قدم إلى تيهرت جماعة مسيحية تتكلم اللغة الرومية، وتعمل بالتجارة. أنظر: جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص69.

(2) الوجـوه: الوجيه، رجل وجيه ذو وجاهة، وقد وجه الرجل بالضم صار وجيها أي ذا جاه وقدر. أنظر: ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص585.

(3) ينفي بحاز إبراهيم ومحمد ناصر، وجود اسم بكر بن الواحد على أحد المسحيين في المجتمع الرستمي، ويرجع ذلك لتحريف موتيلانسكي محقق كتاب ابن الصغير: (أخبار الأئمة الرستميين). أنظر: ابن الصغير: أخبـار الأئمـة، ص107 في الهامش.

(4) ابن الصغير: المصدر نفسه، ص107.



وكانت لهم كنيسة معروفة في أعلى موضع بمدينة تيهرت، يقومون بطقوسهم التعبدية فيها بكل حرية[1].

عاشت العناصر السكانية المختلفة في الدولة الإباضية الرستمية في علاقات مترابطة ووئام وتوافق فيما بينها، تجمعهم المصلحة المشتركة وتبعد عنهم روح التعصب الديني والجنسي والمذهبي. وانقسمت هاته العناصر إلى فئات متباينة، لكل فئة منها عملها ودورها حسب معيشتها الاجتماعية، وتواجدها داخل المجتمع الرستمي.

(1) المصدر نفسه، ص89. هوبكنز: النظم الإسلامية، ص130.





فئات المجتمع الرستمي

رأينا من قبل التركيبة السكانية للدولة الرستمية التي هي خليط متجانس من أجناس مختلفـة ومتباينـة. أما في هذا المجال سندرس فئات المجتمع المغربي في ظل الدولة الرستمية، التي لها سمات خاصة ومميزات فريدة من المساواة الاجتماعية، والإخاء الديني اللذين فرضهما الدين الإسلامي الحنيف بالدرجة الأولى، وطبقها الأئمة الرستميون على جميع عناصر السكان، بغض النظر عن الجنس والعنصر والمذهب بالدرجة الثانية، وكلاهما يعتبران ثروة اجتماعية كاملة ومتجانسة. وبهذا المفهوم فإن المجتمع الرستمي يتكون من عدة فئات متنوعة، لكل فئة أوضاعها الخاصة ومميزاتها الاجتماعية.





فئات الخاصة وفئة القضاة:

I - فئات الخاصة :

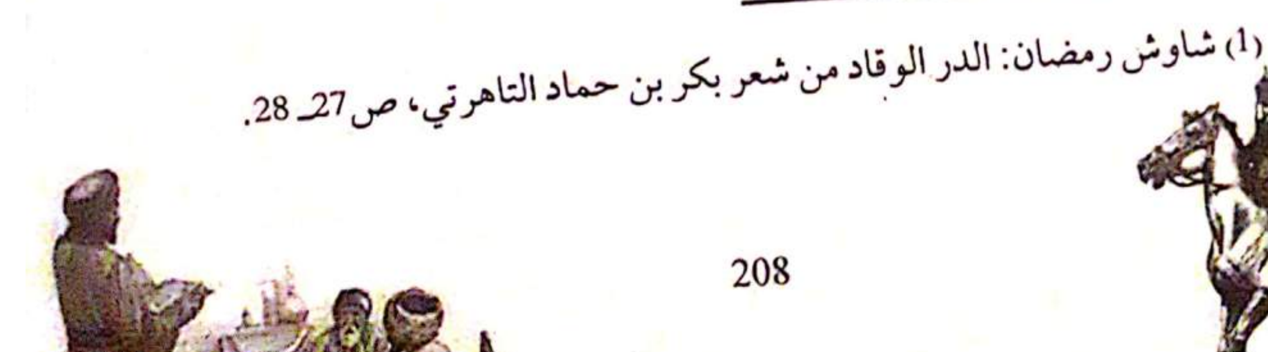
تعتبر فئات الخاصة أعلى الفئات في هرم الدولة والمجتمع الرستمي، وبدورها تنقسم إلى عدة فئات مترابطة ومتميزة، وكل واحدة منها تتميز عن الأخرى.

أ - فئة الحكام أو الأئمة:

نجد أن الإمامة في تيهرت انحصرت في أسرة معينة هي أسرة بني رستم فارسية الأصل وإباضية المذهب، توارثها منهم ثمانية من الأئمة طيلة ما يقرب من قرن ونصف، وهذا ما جعلها شبيهة بالنظام الملكي الوراثي. وأن بني رستم كانوا أجانب عن المغرب الأوسـط، فلم تكن لهم عصبية يلتفون بها عند الحاجة فما رفعهم إلى درجة الإمامـة إلا علمهم، وثقافتهم الواسعة وسيرتهم الحميدة وعدلهم بين الرعية[1].

---

(1) شاوش رمضان: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ص27ـ 28.



يمثل الإمــام الرستمــي قمة الهرم وأول رئيس الدولة وحاكمها الشرعي، وهو مقيد بالكتاب والسنة الشريفة وآثار الصالحين ومبادئ المذهب الإباضي. ويعتبر القاضي الأول الذي يختص بفصل الخصومات وإقامة حدود الله ويؤمن السبل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وينشر العدل بين أفراد المجتمع. وأنه المفتي الأكبر الذي يرجع إليه فيحل المسائل الشرعية في المجتمع.

ويخضع الإمام لإشراف علماء المذهب من فئة الشراة، والمشائخ ووجوه البلد، لأنه في اعتبارهم الراعي الأمين والحارس المخلص للشريعــة الإسلامية.

ويعتبر الزعيم الروحــي والزمنــي لهم، والقائد الأعلى للجيش عند نشوب الحروب مع العدو أو حدوث الفتن والانقسامات داخل المجتمع الرستمي[1]. وللإمام مجلس شوري وأعوان يساعدونه.

---

(1) ص97. أحمد توفيق المدني: مدخل لدراسة الدولة الرستمية وإسهامها في التطور الفكري والحضاري، مج4، ص293.



ب- فئة الوزراء :

فئة الوزراء هم أعوان الأئمة ورجال الدولة المرتبطون بالحكم والسلطة[1]. فالإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان اتخذ السمح بن أبي الخطاب المعافري وزيرا له يعينه على مقاليد الحكم[2]، الذي ولي ولاية جبل نفوسة فيما بعد وخلفه مــزور بن عمران في الوزارة.

أما الإمام أبو بكر بن أفلح رابع الأئمة اتخذ محمد بن عرفة القيرواني وزيرا له، بعدما أصبح هذا الأخير الحاكم الفعلي للبلاد، له الحكم والقرار الأول والأخير في شؤون المجتمع[3].

---

(1) جودت : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط. رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص36.

(2) عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص147. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص67.



(3) سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص44.



جـ - فئة الرؤساء والمشائخ :

ذكر ابن الصغير فئة الرؤساء حين نزلت الإباضية أول مرة مدينة تيهرت، فقال: (أرادوا عمارتها اجتمع رؤساؤهم، فقالوا: قد علمتم أنه لايقيم أمرنا إلا إمام، نرجع إليه في أحكامنا)[1]، فوقع اختيارهم على عبد الرحمان بن رستم. لما اختلف ابنه عبد الوهاب مع فرقة النكارية (جمع وجوه رجاله ورؤساء مقالته فاستشارهم، فأجمع رأيهم على محاربتها. ويبين لنا ابن الصغير أن هذه الفئة هي جزء من المجتمع الرستمي، لها نفوذ قوي ومكانة سامية في كيان السلطة بقوله أن أبا يعقوب المزاتي حيث نزل بجميع القبيلة حول البلد ـ تيهرت ـ وكان رأس القوم وملكهم)[3].

إن قبيلتي مزاتة وسدراتة وغيرهما (كانوا إذا انتجعوا، دخل

---

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص28ـ 29.

(2) المصدر نفسه، ص50ـ 51.

(3) نفسه، ص113. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص273.





وجوههم ورؤساؤهم المدينة، فيبرون ويكرمون)[1]. لم تشر المصادر التاريخية إلى مدلول كلمة (الرؤساء) ومعناها الاجتماعي.

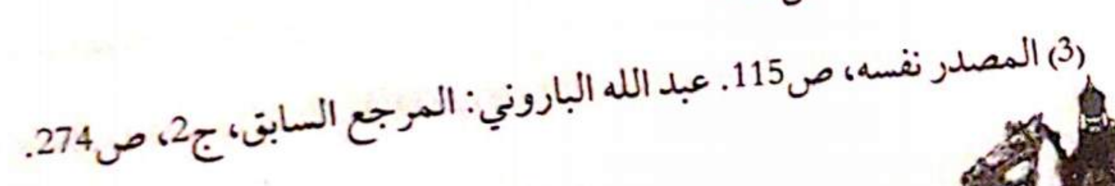
يذكر ابن الصغير في مواضيع أخرى فئة المشائخ وخاصة في عهد الإمام أبي حاتم يوسف بن محمد، فيقول: (وكانت مشائخ البلد من غير الإباضية قد استولوا عليه ـ يعني أبا حاتم ـ منهم رجل ـ شيخ ـ يعرف بأبي مسعود وكان كوفيا فقيها بمذهب الكوفيين، ومنهم شيخ يعرف بأبي دنون)[2].

عندما وقع الصلح بين أبي حاتم وعمه يعقوب بن أفلح بعد حروب ضارية، ذكر ابن الصغير المشائخ بقوله: (خلا يعقوب وشيعته وبعض مشائـخ ممن يشب في عداوة أبي حاتم منهم شيخ يعرف بابن مسعود، وهو شيخ البلد ومقدمه)[3]. وفي موضع آخر أن أبا حاتم لما دخل تيهرت سنة 286هـ ـ 899م، منتصرا على معارعيه جمع مشائخ

(1) ابن الصغير: المصدر السابق، ص47.

(2) المصدر نفسه، ص105.

(3) المصدر نفسه، ص115. عبد الله الباروني: المرجع السابق، ج2، ص274.





البلد إباضيتها وغير إباضيتها، فاستشارهم فيمن يوليه مهمة قضاء المسلمين[1].

من خلال هذه العبارات التاريخية التي تحدث عنها ابن الصغير نستشف أن فئة المشائخ، هي محل استشارة الأئمة، وموضع ثقتهم. وفسر الدكتور جودت عبد الكريم كلمة (المشائـخ) بأنها مرتبطة بالبلد، وكلمة (الرؤســاء) مرتبطة بشيوخ القبائل في المجتمع الرستمي[2].

فئة المشائخ هم رؤساء لجماعات مقيمة في المدينة كأن تكون مهنية أو قبائلية، فقدت صلتها بقبيلتها الأصلية (الأم) أوضعفت عصبيتها، فاتخذت لها شيخــا منها وعلى سبيل المثال: علوان بن علوان في عصر الإمام أبي حاتم (لم يكن من أهل الفقه، ولكن كانت له من رياسة البلد ومحبة العوام)[3].

---

(1) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2 ، ص276 .

(2) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص ص 271ـ 272.

(3) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص105.





د ـ فئة الوجوه:

تعتبر فئة الوجوه مستقلة عن غيرها ومدلولها واضح عند ابن الصغير، لأنه في كل مرة يذكرها ففي إمامة عبد الرحمان، حين جاء إليه وفد المشرق الإسلامي بالمساعدات والأموال، نادى مناديه في المسجد الجامع: (ألا يتخلف من كل قبيلة وجوههم، ففعل الناس ذلك. فلما انقض الناس وبقي من يفوض إليه الأمر من وجوههم. قال للرسل: أعلموا إخوانكم لما جئتم له)[1].

علم الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بمكان معارضيه من فرقة النكارية، فجمع وجوه رجاله ورؤساء مقالته، فاستشارهم فأجمع رأيهم على أن يبرزوا إليهم بعد الإعذار والإنذار إليهم[2]. وكان ابن وردة الثري من وجوه العجم في عصر الإمام أفلح ابن عبد الوهاب[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص34. عبد الله الباروني: المرجع السابق، ج2، ص87.

(2) عبد الله الباروني: المرجع نفسه، ص110.

(3) المرجع نفسه، ص112. ابن الصغير: المصدر السابق، ص63.



تعددت فئات الوجوه في المجتمع الرستمي، من وجوه العرب ووجوه أهل البلد ووجوه العجم ووجوه أهل المدينة، وجوه التجار وجوه العامة أو الناس. ففئة الوجوه هم أعضاء مجلس الجماعة أو هم أهل الحل والعقد، والرأي والمشورة.

الوجوه هم من نطلق عليهم اليوم كلمة (الوجهاء). والوجيه هو الرجل صاحب الرأي السديد والصائب في أي مجتمع ما، له مكانته في القبيلة أو في المجتمع الذي هو عنصر فيه كأن يكون تاجرا مخلصا أمينا، يدين له سائر التجار بالتقدير له شأن عظيم من بينهم وكلمته مسموعة[1].

هـ - فئة المقدمين :

تحدث ابن الصغير عن فئة المقدمين أو المقاديم في عهد الإمام عبد الوهاب ابن عبد الرحمان، أنه كان لقبيلة هوارة البربرية

---

(1) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص272.





رؤساء مقدمون يقال لهم: الأوس ويعرفون أيضا ببني مسالة[1]. وفي عصر ابنه الإمام أفلح كان لعناصر العجم مقدم يقال له ابن وردة، قد ابتنى سوقا في تيهرت يعرف به[2].

جاءت وفود قبيلة نفوسة البربرية القوية إلى الإمام أبي اليقظان، ليقدم عليهم أميرا من أنفسهم يراعي مصالحهم ويسير شؤونهم في إقليمهم، فاختار لهم مقدمهم ووليهم أفلح بن العباس[3]. ويعتبر الإمام الرستمي حاكم البلاد مقدما لفئة الشراة[4].

من خلال هذه النصوص التاريخية حول فئة المقاديم في المجتمع الرستمي، أنهم رؤساء وعمال الإمام على قبائلهم أو على الأقل ممثلوا الإمام لدى قبائلهم. ويعتبرون المسؤولين الأولين بالأمور التي تتعلق بقبائلهم، وشؤونهم الخاصة منها الاجتماعية والسياسية

(1) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص133

(2) ابن الصغير: أخبار، ص62.

(3) عبد الله الباروني: المرجع السابق، ج2، ص 273.

(4) جودت: الأوضاع، ص272.



ومن هذا المنطلق يتم اختيار فئة المقاديم من طرف الإمام نفسه. وذكر الدكتور جودت عبد الكريم أن هؤلاء المقدمين يتمتعون بمنزلة كبيرة عند الأئمة لأنهم زعماء قبائلهم من جهة، وعلى صلة دائمة بهم وهم محل ثقتهم من جهة أخرى.

لكن المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ الدولة الرستمية وعلى رأسها ابن الصغير المالكي، لم تعطنا المعلومات الكافية حول فئة المقدمين من حيث الاختيار والتعيين، وماهي أعمالهم التي يقومون بها؟ ولم تبين لنا أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية؟[1].

و-فئة الولاة :

يقوم الإمام الرستمي بتعيين الولاة على المناطق الخاضعة للدولة الرستمية بعدما تتوفر الشروط اللازمة في والي أو عامل الولاية، من الأمانة والنزاهة والصلاح وخدمة المجتمع الرستمي، والاخلاص للمذهب الإباضي وتطبيق مبادئه.

---

(1) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص273.





أسس عبد الرحمان بن رستم الدولة الرستمية وثبت أركانها وقوى دعائمها. بدأ تعيين الولاة في عهد ابنه الإمام عبد الوهاب كما حدث بجبل دمر الذي تسكنه قبائل دمر الزناتية، حين نصب شيخ صالح يدير شؤون مجتمعهم ويسير مصالحهم ويخدم دولتهم، يعرف هذا الوالي باسم مدرار الزناتي[1]. وولى كذلك وزيره الأول السمح بن أبي الخطاب المعافري على إقليم طرابلس، وجبل نفوسة. قامت فئة العامة بعد وفاة هذا الأخير بتنصيب ابنه خلف، واليا مكانه.

لكن الإمام عبد الوهاب رفض هذا التعيين وطعن في ولايته، وقام بمحاربته واستبداله بأيوب بن العباس، وبعده أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي[2].

اهتم الإمام أفلح بن عبد الوهاب بالولاة حيث كتب إليهم كتبا،

(1) الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص65_ 66. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص137. عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، ص 129

(2) عبد الله الباروني: المرجع السابق، ج2، ص147_ 152.



يدعوهم فيها إلى تقوى الله والعمل واتباع آثار السلف الصالح، وأن يقوموا له بالعـدل والإنصـاف في عباده وبلاده[1].

كان للولاة دور كبير وفعال في المحافظة على أمن المجتمع من الأخطار الخارجية، وهذا ما فعله الإمام أبو اليقظـان حين أرسل واليه إلياس أبا المنصور النفوسي لمحاربة أبي العباس بن طولون في اثني عشر ألفا من المقاتلين، فهزمه هزيمـة نكراء[2].

وفي عهد أبي حاتـم يوسف بن محمد انهزم واليه على جبل نفوسة أفلح بن العباس، في موقعـة (مانو) المشهورة سنة 284هـ ـ 896م على يد جيش الأغالبة[3].

إن عمل الولاة في ظل الدولة الرستمية وفي المجتمع كان واسع الصلاحيات في إدارة الأقاليم، وجباية الضرائب وقيادة الجيش وتسيير

(1) المرجع نفسه، من ص214 إلى ص219.

(2) سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص48ـ 49.

(3) جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، ص94.





شؤون البلاد والعباد.

ز- فئة البطانة:

اتخذ الرستميون بطانة[1] يتم الرجوع إليها عند الضرورة الملحة وعند المشورة اللازمة، والأخذ برأيها في المواقف الصعبة، فالإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان حين وفدت إليه وجوه ورؤساء قبيلة مزاتة، تطلب منه عزل القاضي الجائر وصاحب بيت المال الخائن وصاحب الشرطة الفاسق. لما خرجوا من عنده دخل عليه: (وجوه رجاله وقواد هو أهل بطانته... فقالوا له: أسأت إلى نفسك وإلينا وإلى جميع إخوانك ورجالك...)[2]. وكانت الأجناد بطانة السلطان أفلح بن عبد الوهاب، وأولاده وحشمه[3].

---

(1) البطانة: البطانة خلاف الظاهرة، وبطانة الرجل خاصته. أنظر: ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص55.

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص48.

(3) المصدر نفسه، ص63.



كان لكبار الشخصيات داخل المجتمع الرستمي بطانات ترجع إليها في أمورها الخاصة، مثل محمد بن عرفة العربي الذي قتل، ولم يظهر عليه أي خبر ولا أثر في عصر الإمام أبي بكر بن أفلح (... واتصل الخبر بجيرانه وإخوانه وأهل بطانته، فباتوا متوحشين خائفين وجلين)[1].

حـ - فئة الحاشية:

فئة الحاشية[2] تطلق على تلك الجماعات المتواجدة مع الإمام المصاحبة له. ولقد وجدت في المجتمع التيهرتي لأنها في الحقيقة، تعطي الهيبة والوقار للإمام في حله وترحاله، وتذود عن شخصه مباشرة. وتعتبر فئة الحاشية محل ثقة وإخلاص الإمام الرستمي ذات علاقة متينة به[3].

(1) المصدر نفسه، ص78. جودت: الأوضاع، ص274.

(2) الحاشية: هؤلاء حاشيته أي أهله وخاصته . وهؤلاء حاشيته بالنصب أي في ناحيته وظله. أنظر: ابن منظور: لسان العرب، ج14، ص180.

(3) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص274.





وكان لمحمَّد بن عرفة القيرواني صهر الإمام أبي بكر ابن أفلح، حاشية يرجع إليها في أموره وإدارة شؤونه الخاصة كما بينها ابن الصغير بقوله: (فلما كان قبيل الصبح ركب محمد بن عرفة من غير أن يعلم أحد من حاشيته وعبيده، حتى آتى بابه وعلم أبو بكر بمجيئه)[1].

ط - فئة الحشم:

تختلف فئة الحشم[2] عن الحاشية، وظهرت فئة الحشم في بداية الدولة الرستمية وخاصة في عهد مؤسسها عبد الرحمان بن رستم، حين كان (ينظر إلى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الأراضي وما أشبه ذلك، فيقطع لنفسه وحشمه وقضاته، وأصحاب شرطته والقائمين بأموره)[3]

كان الإمام أبوحاتم فتى شابا يجمع الفتيان إلى نفسه، فيطعم

---

(1) ابن الصغير: أخبار، ص77.

(2) الحشم: قال الأزهري: الحشم خدام الرجل. أنظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج12، ص136.

(3) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص92.



ويكسي وكانت له أم تسمى غزالـة مالكة لأمور أبيه أبي اليقظان وحشمه[1].

لم تشر المصادر التاريخية أو توضح إيضاحا حول فئة الحشم، ودورها في المجتمع ووظيفتها الاجتماعية. إلا أن المؤرخ ابن الصغير أشار إليها في إمامة أفلح بن عبد الوهاب، بأنها جزء لا يتجزأ من أجناد السلطان بقوله: (كانت بطانـة السلطان وأولاده وحشمه)[2]. وفئة الحشم مرتبطة ارتباطا وثيقا بالسلطان، ولها امتيازات خاصة وهامة داخل المجتمع الرستمي[3].

ي- فئة الحجاب:

لم تظهر فئة الحُجّـاب في عهود الأئمـة الرستميين الأوائل، وإنما

---

(1) ابن الصغير: المصدر السابق، ص103.

(2) ابن الصغير: أخبار، ص63. جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص274ـ 275.

(3) جودت: المرجع نفسه، ص275.





وجودها في عهد الإمام أبي بكر بن أفلح كما ذكرها المؤرخون أن : (محمد بن عرفة إذا أتى باب أبي بكر بن أفلح لم يحجب كان أبو بكر في مجلسه أو في حرمته . وكان أبو اليقظان وجميع إخوان أبي بكر وأعمامه، لا يدخلون على أبـي بكـر إلا بالاستئذان إذا كان في مجلسه وإلا انصرفوا)[1].

بويع أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان من طرف العامة، وتمت مراسيم البيعة وخلت به عشيرته وإخوانه وأعمامه ومواليه، فأحبوا أن يجعلوا له حجابا وهيبة، وأبت العوام من ذلك وأرادت الدنو إليه في كل الأوقات على ما كانت تعرف قبل إمارته وتوليته[2].

تكون مهمة الحجاب هي حجب الإمام عن رعيته، ويتم الاتصال به عن طريقهم، والاستئذان منهم للدخول عليه والتحدث معه عن قضاياهم وشؤون مجتمعهم. وأن الحاجب له مكانة مرموقة في الدولة

(1) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص226. ابن الصغير: المصدر السابق، ص74.

(2) ابن الصغير: المصدر نفسه، ص105.



وخاصة عند الإمام لأنه واسطة بينه وبين الرعية.

ك ـ صاحب بيت المال:

كان بيت مال المسلمين في عهد الأئمة الرستميين على غاية من الدقة والنظام كما عنهما[1]. وصاحب بيت المال هو المسؤول عن الشؤون المالية للدولة. وصف ابن الصغير عمل الجباة الذين يجمعون الضرائب المختلفة في المجتمع، وكيف كان الإمام يوزعها. فقال: (كان أيام أبي بكر الصديق والفاروق عمر بن الخطاب ﷺ يخرجون في أوان الطعام، فيقبضون أعشارهم في هلال كل... من أهل الشاة والبعير، يقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون، فإذا حضر الجميع ذلك صرف ـ الإمام ـ الطعام إلى الفقراء، وبيعت الشاة والبعير. فإذا صارت أموالا دفع منها إلى العمال بقدر ما يستحقون على عملهم، ثم نظر في باقي سائر المال... ينظر إلى ما

---

(1) توفيق المدني: مدخل لدراسة الدولة الرستمية، مج4، ص293.





اجتمع من مال الجزية وخراج الأراضي)[1].

وذكرت المصادر التاريخية اسم رجل ولاه الإمام أبي حاتم يوسف رعاية شؤون بيت المال، هو عبد الرحمان بن صواب النفوسي[2].

ل- فئة الشراة :

الشراة[3] هم في الدولة الرستمية أهل الحل والعقد من عظماء

---

(1) ابن الصغير: أخبار، ص41. رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، ص108.

(2) الشماخي: السير، ص263. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص277.

(3) الشراة: مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ ومِنَ النَّاسِ من يَّشْري نَفْسَهُ ابْتِغَآء مَرْضَاتِ الله ﴾ سورة البقرة الآية :720. قوله أيضا: ﴿ إن الله آشْتَرى مِنَ الْمُؤمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله ﴾ سورة التوبة الآية: 111.

الشراة في اصطلاحهم تقريبا لفظ يراد به جماعة تتألف من أربعين رجلا فما فوق ذلك، اشتروا آخرتـهم بدنياهم بمعنى أنهم تخلوا عن الدنيا وزهدوا فيها، وعاهدوا الله على إنكار المنكر والأمر بالمعروف بدون



المذهب الإباضي. هؤلاء الشراة رقباء على الإمام الرستمي في أحكامه

=مبالاة ولا خوف من الموت والقتل. وهم يمتحنون الأئمة والعمال بما يستدلون به عن سرائرهم وخفايا مقصدهم وأعمالهم، ويحمدون سيرتهم أو يذمونها. وعملهم هذا من أجل إصلاح الأمة و العباد، وإقامة الدين وتطبيق مبادئ المذهب الإباضي. ومن شروطهم: لا يجوز للشراة التقية الدينية مهما كانت الظروف والأحوال، وأن لا يقل عددهم عن أربعين عضو ويكون أكثر من ذلك. وأن يختاروا إمامهم ورئيسهم، ألا يجبروا أحدا مهما كان الالتحاق بهم. حول موضوع الشراة أنظر: ضياء الدين عبد العزيز الثميني: شرح كتاب النيل وشفاء العليل، شرح وتقديم محمد ابن يوسف أطفيش، ط4، دار الفتح بيروت لبنان، 1392هـ ـ 1972م، ج14، ص355. يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ح1 ، ص95. عوض محمد خليفات: النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقية في مرحلة الكتمان، ص 112 ـ 113. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص79 ـ 80. عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص 210 توفيق المدني: كتاب الجزائر ص24. إبراهيم فخار: الطوائف المذهبية والطبقات الاجتماعية في الدولة الرستمية، دراسات جزائرية ع:01، ص26.





وأوامره، وصدقاته وأعشاره. إذا رأوا منه اعوجاجا أو مزالق، طعنوا فيه لإحقاق الحق وإثبات القسط كلما اقتضت الضرورة لذلك لأنه نظام خاص بالدولة الرستمية[1].

لما تولى أفلح بن عبد الوهاب الإمامة امتحنته فئة الشراة في تنصيب أحد رجاله لمهمة القضاء، فشرطت عليه شروطا يجب توفرها في القاضي الأمين، من بينها: أن يكون أمينا وصالحا وعادلا وفقيها، وملتزما بمبادئ الإباضية.

فطلب الإمام منهم أن يعينوا قاضيا بهاته الصفات فيوافق عليه، فتم ذلك بالفعل وأشاروا عليه بتنصيب محكم الهواري الساكن بجبل الأوراس[2].

تولى أبو اليقظان مقاليد الحكم نيابة عن أخيه أبي بن أفلح،

---

(1) توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص24. إبراهيم فخار: الطوائف المذهبية والطبقات الاجتماعية في الدولة الرستمية، ص26.

(2) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص210ـ 211.



فعدل بين الرعية وأحق الحق وحافظ على أركان الدولة والمجتمع (ولم تأخذه في الله لومة لائم، فحمد له الشراة ذلك وحمد له أخوه فعله)[1].

تعتبر الشراة أعلى سلطة في الدولة والمجتمع وخاصة في عهود الأئمة الأوائل. لكن لم نجد دورها على الإطلاق في الفتن والحروب التي قامت داخل المجتمع الرستمــي. ولاحتى في النزاع الذي وقع بين الإمامين يعقوب بن أفلــح وابن أخيه أبي حاتــم، على مقاليد السلطة. وزيادة على ذلك لم نجد لها أي وجود في أمر اغتيال الإمام أبي حاتم، من طرف أحد أفراد أسرته.

فئة الشراة أغلبهم من قبيلة نفوسة البربرية القوية لأنها كانت (تلي عقد تقديم القضاة)[2]. لكن لم يظهر دور فئة الشراة في الفتن الداخلية والصراعات من أجل مقاليد السلطة بين أفراد البيت الرستمي قبل سقوط الدولة الرستمية بسنوات، ولا نعلم كذلك مصيرها بعد انهيار

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص73.

(2) المصدر نفسه، ص63.





النظام الرستمي سنة (296هـ / 909م) على يد الشيعة، وربما ظلت موجودة بعد ذلك مستترة، ولكن بدون إثبات أو مصدر يذكر[1].

م- فئة الحرس :

فئة الحرس مستقلة عن الفئات الأخرى لها مهمة أمنية اجتماعية من حراسة أبواب المدينة، والإمام وأسرته وعشيرته. ولها مهمة أخرى في حراسة أفراد المجتمع التيهرتي ليلا من اللصوص والسراق، وحفظه من الأخطار الخارجية.

تختلف فئة الحرس عن فئة الشرطة في مهامها باعتبارها جزء من الجيش الرستمي[2]. ولقد ذكرها ابن الصغير في موطن واحد في عصر الإمام أبي اليقظان ابن أفلح عندما اختفى شاب فخرجت أمه باحثة عنه فلم تجده، فلجأت إلى أبي عبيدة الأعرج أحد علماء الإباضية بتيهرت تستنجده، فذهب إلى الإمام فقال له: (... أن جارة لي

---

(1) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص282.

(2) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص275.



خرج ولدها البارحة في طلب معاش له ولها، فأخذه المحروق صاحب حرسك وحبسه فأتتني الغـدة باكية شاكية، تسألني أن أسألك في إطلاق ولدها، فأمر بأن يطلق كل من حبس تلك الليلة، إجلالا لأبي عبيدة ثم سلم وانصرف)[1]

ن- فئة الكتاب:

لم تشر المصادر التاريخية إلى وجود دواوين في الدولة الرستمية إلا أن ابن الصغير أشار إلى وجود كاتب الإمام الرستمي، دون الإشارة أو التوضيح عن ديوان الرسائل المعروف في الدول الإسلامية الأخرى خلال تلك القرون.

أرسل الإمام أفلـح بن عبد الوهاب الرسل بكتاب منه وآخر من فئة الشراة إلى أهل جبل نفوسة بتولية محكم الهواري، قاضيا جديدا عليهم[2]. كما أن الإمام اليقظان عند اجتماعه بوفد نفوسة الجبل،

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص ص 95ـ 96.

(2) المصدر نفسه، ص99.





بشأن تنصيب واليا يدير شؤون مجتمعهم ويراعي مصالحهم، فأنزلهم في دار الضيافة فقال:(اكتبوا إلي أسماءكم كلكم، وارفعوها إليَّ.

وأمر كاتب السجل أن يكتب السجل، ويبقى بياضا لموضع المقدم)[1]. وكذلك كتب كتابا إلى قبيلة نفوسة، يستنفرهم في حربه ضد الجند والعرب وقبيلة هوارة [2].

أرسل الإمام أبو اليقظان ابنه أبا حاتم في جيش قوي لحماية القوافل والأموال الآتية من المشرق، من لصوص قبيلة زناتة وفي طريقه توفي أبوه (...حتى وافاه خاتم الرسل بموت أبيه، وعقد الإمارة له)[3] .

ومن الطبيعي أن يكون في أية دولة مستقلة قائمة بذاتها، ديوان الرسائل والبريد والمظالم والعطاءات وغيرها، وأن لكل منهم كاتب مستقل .

---

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص97.

(2) عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص161.

(3) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص265.



س- فئة الجيش:

ظهرت فئة الجيش[1] في تيهرت باشتراك الإمام عبد الرحمان بن رستم الفارسي في حصار طُبنَة (154هـ ـ 770م)، وكان قوامه خمسة عشر ألف جندي. وانهزامه كذلك في معركة تهودة سنة 145هـ ـ 762م أمام الجيوش العباسية[2].

بعد تأسيس الدولة من طرف عبد الرحمان بن رستم أتاه المال من

(1) جُل المؤرخين ينفوا وجود جيش منظم في الدولة الرستمية. لكن من خلال دراستنا لفئة الجيش نلاحظ أن هناك جيش قوي ومنظم. ويتكون من جنود رسميين ومتطوعين ومؤلف من القبائل البربرية، وكذلك من كل عناصر المجتمع منها العرب والمسيحيين والفارسيين. أنظر: موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص 340. مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، 53. ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ص150.

(2) جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية، ص82ـ 83. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ص206.





المشرق الإسلامــي، جعل ثلثيه في الأمور العسكرية من كراع وسلاح، وثلث للفقراء وضعفائهم[1].

وأما ابنه عبد الوهّاب اتبع نهجه حتى سموا أنصاره (بأهل العسكــر واجتمع له من الجيوش والحفدة، مالم يجتمع لأحد من قبله)[2]. وحارب بني الأوس المعروفين ببني مسالة وأنه (عد في عسكره ألف فرس أبلق[3]، وقالوا خرج عبد الوهــاب بعساكــر من المدينة في جموع لا يعلم عددها إلا الله)[4].

وفي عهده استغاثته قبيلة هوارة البربرية ضد جيش بني الأغلب

---

(1) ابن الصغير: المصدر السابق، ص35. عبد الله الباروني: المرجع السابق، ج2، ص87.

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص45.عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص136.

(3) فرس أبلق: بلق الدابة سواد وبياض، وفرس أبلق من البلقة وهي ارتفاع التحجيل إلى الفخذين. أنظر: ابن منظور: لسان العرب، ج10، ص25.

(4) ابن يحي الباروني: رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، ص12ـ 13.



وهو في جبل نفوسة، فخرج بجيش كبير وحاصر به مدينة طرابلس حصارا شديدا، انتهى بالصلح بينهما[1]. وكان لهذا الجيش الرستمي قواد وفرسان ومشاة، وكلهم من أفراد المجتمع الرستمي.

قام الإمام أفلح بن عبد الوهاب بمهاجمة مدينة العباسية ـ التي بناها أبو العباس محمد بن الأغلب سنة (239هـ ـ 853م) ـ بجيش قوي حيث أجلى عنها سكانها ثم أضرم فيها النيران. لم يكن في استطاعة ابن الأغلب الرد على أفلح[2].

ويتضح لنا من هذا كله أن للمجتمع الرستمي، جيشا منظما يدافع عن مقومات دولته، وخاصة في عهود الأئمة الأوائل.

وكان لجبل نفوسة جيش قوي تستنجد به الدولة الرستمية، عند

---

(1) عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، ص209.

(2) (184ـ 296هـ) سياستهم الخارجية، ص108. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ص568.



الأخطار والفتن الداخلية والغزو الخارجي. حارب أبو اليقظان بن أفلح فتنة العرب والجند مدة سبعة سنوات متلاحقة، دون أن ينتصر عليهم إلا بقوة جيش نفوسة، بعدما أرسلت له أعدادا وفيرة من جندها[1]. وقام واليه إلياس النفوسي في اثني عشر ألف جندي، بإلحاق الهزيمة بأبي العباس أحمد بن طولون سنة 266هـ[2].

وتعتبر موقعة مانو (283هـ ـ 896م)[3] نهاية فئة الجيش الرستمي وبداية الفتن الاجتماعية الداخلية، والصراع المذهبي حول السلطة ومقاليد الحكم داخل الأسرة الرستمية. وإن الغزو الشيعي الفاطمي سنة 296هـ ـ 909م لم يجد أية مقاومة من أفراد الدولة، ولا حتى من الإمام نفسه اليقظان بن اليقظان (294ـ 296هـ/ 906ـ 909م)[4].

---

(1) عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص164.

(2) سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص46 ـ 47.

(3) الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص87ـ 88. عوض خليفات: التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان، ص10.

(4) عوض: المرجع نفسه، ص12. سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية،



ومن خلال ما تقدم، يتبين أن الجيش الرستمي ينقسم إلى قسمين:

ـ قسم دائم: يتألف من الجنود والقواد والفرسان. وفئة الفرسان هي جزء أساسي من الجيش الرستمي، ودورها يكمن في المحافظة على أمن واستقرار المجتمع، وسلامة أفراده. ولها دور آخر سياسي يتمثل في مبايعــة الإمــام كما حدث لأبي حاتم يوسف بن أبي اليقظــان (281 ـ 294هـ / 894 ـ 906م)، عندما (عقد الإمارة له، وذلك أن أباه مات، اجتمعت العوام والفرسان دون القبائل فنادوا لاطاعــة لأحد إلاَّ لأبي حاتم)[1]. وأفراد الجيش الرستمي يتقاضون أجورهم ثابتة من بيت المال[2].

ـ وقسم متطوع إحتياطي: يتألف من رجال يمارسون أعمالهم الاجتماعية الخاصة بهم في زمن السلم، ولكن عند الحروب والنفير،

=ص49.

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص104.

(2) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص 283.





يستدعون للإنضمـام إلى الجيش[1].

تشتمل أسلحة أفراد الجيش الرستمي على السيوف والخناجر والرماح والدرق، ويلبسون الحوذ الحديدية لتقي رؤوسهم، والدروع لتقي صدورهم، ويقرعون الطبول لتحميس الجنود والمقاتلين[2].

2- فئة القضاة :

القضاء[3] هو الفصل في الخصومات بين الناس حسما للتداعي

---

(1) BEKRI CHIKH :Le kharidjisme Berbère، p.73، p74.

(2) رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، ص105.

(3) جُل المؤرخين ينفوا وجود جيش منظم في الدولة الرستمية. لكن من خلال دراستنا لفئة الجيش نلاحظ أن هناك جيش قوي ومنظم. ويتكون من جنود رسميين ومتطوعين ومؤلف من القبائل البربرية، وكذلك من كل عناصر المجتمع منها العرب والمسيحيين والفارسيين. أنظر: موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص 340. مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، 53. ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى



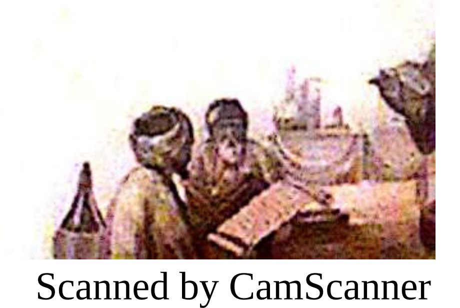
وقطعا للتنازع، ويكون بالأدلة الشرعية، ويتولى هذا الأمر القضاة. والقاضي يراعي الشريعة الإسلامية في أحكامه، ويتولى المسائل الخاصة بالـزاوج والطلاق والمواريث والوصايا... وغيرذلك من الأمور التي وردت فيها أحكام شرعية[1].

عمل عبد الرحمان بن رستم قبل إمامته قاضيا لجماعة الإياضية في تيهرت، وهذا ما ذكره ابن الصغير بقوله: (لما نزلت الإباضية مدينة تاهرت وأرادوا عمارتها اجتمع رؤساؤهم، فقالوا: قد علمتم أنه لا يقيم أمر إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا، وينصف مظلومنا ممن ظلمنا... وقد كان الإمام أبو الخطـاب المعافـري رضـي لكم عبد الرحمان قاضيا وناظرا فقلدوه أموركم... فأجمعوا رأيهم على ذلك)[2] .

=اليوم، ص150.

(1) عصام محمد شبارو: القضاء والقضاة في الإسلام، العصر العباسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان 1982م، ص32ـ 33. مصطفى الرافعي: حضارة العرب، ص197.

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص29ـ 30. بحاز إبراهيم: القضاء في المغرب



في عصر إمامته (جلس في مسجده للأرملة والضعيف، لا يخاف في الله لومة لائم)[1] يعدل بين الرعية بالحق والقسط، إقتداء بسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم. وكان مقر القضاء المسجد الجامع.

بعد مدة زمنية تقدر بثلاث سنوات تطور المجتمع الرستمي تطورا كبيرا، مما أفرز علاقات اجتماعية جديدة ومُعَاملات متشابكة ومصالح متضاربة، فتح مجال التنافس والتنازع بين أفراد الدولة وفئاته المختلفة، فرض ذلك على الإمام عبد الرحمان اتخاذ قضاة أعوانا له. وكان يقتطع من مال الجزية والخراج للقضاة ما يكفيهم في سنتهم[2].

ويعتبر الإمام عبد الوهاب القاضي الأعلى في الدولة وجلس للقضاء مدة سبع سنوات في جبل نفوسة يحكم بين الناس. وبلغ من

=الإسلامي، ص145.

(1) ابن الصغير: المصدر السابق، ص32. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص85.

(2) بحاز: القضاء في المغرب الإسلامي، ص146ـ 147.





العلم والأحكام الفقهية درجة عالية، وهو الذي وضع شروط القضاء للمذهب الإباضي في رسالة بعثها إلى أهل طرابلس، يحثهم فيها على اختيار القاضي العادل، ومن بين ما جاء فيها: (... كذلك القاضي والمفتي لا ينبغي أن يستعمل على القضاء إلا الموثوق به مثل صفة الإمام أو الحاكم أو الخليفة في صلاحه وورعه وفقهه وفهمه وعقله، وعمله بالكتاب والسنة والآثار، ووجه الفقه الذي يؤخذ منه القياس والرأي. والقضاء فإنه لايستقيم أن يكون صاحب رأي ليس له علم بالسنة والآثار والأحاديث. ولا ينبغي للقاضي أو المفتي أن يقضي أو يفتي، حتى تكون فيه خمس خصال فإن نقصت واحدة منهن كانت وصمة فيه: أن يكون عالما بما مضى من الكتاب والسنة، وألا يرتشي، حليما عن الخصم يعني يتحلم عن الخصمين وإن تصاخبا وتشاجرا بين يديه، مستخفا بالأئمة يعني ألا تأخذه في الحق لومة لائم، مشاورا لذوي الرأي والعقل والعلم. إذا كان القاضي أو المفتي كما وصفت لك فهو أهل أن يكون قاضيا كائنا من كان)[1].

---

(1) لواب بن سلام الإباضي: الإسلام وتاريخه من وجهة نظر الإباضية، ص



ويتم اختيار القضاة وتعينهم بعد التشاور بين الإمام الرستمي أو والي المقاطعة وأهل الحل والعقد من فئة الشراة. والشراة يختارون القاضي الصالح للمجتمع ليحضى بموافقة الإمام، فيتم تنصيبه في منصبه. ويتضح جليا في إمامة أفلح بن عبد الوهاب حين توفي قاضي من قضاة أبيه اجتمعت فئة الشراة، وسألوه أن يولي رجل صالح منصب القضـاء حاميا لأحكام الدين في المجتمع، فقال لهم: (أجمعوا جمعكم وقدموا خيركم ثم أعلموني به أجبره لكم أعضده على ما يكون في الصلاح لكم، فقبلوا أمرهم فلم يرضوا أحد منهم.

وأجمع رأيهم على محكم الهواري الساكن بجبل أوراس، والذي كان من المخلصين لدينهم ومذهبهم، ونشر العدل والمساوة بين الرعية)[1] ومن العدالة الاجتماعية التي حققها هذا القاضي داخل المجتمع المتجانس، حين تنازع أبو العباس أخو الإمام أفلح مع صهره على أرض، فترافعا إلى الإمام فردهما إلى القاضي. ظن أبو العباس أن

=113_114.



(1) جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص54.



القاضي سينحاز إليه، فسبق خصمه فسر به محكم الهواري وأكرمه وأحسن ضيافته. وعندما وصل خصمه دار القاضي، فساواه به في الإكرام إظهارا للمساواة والعدل، فخرج أبو العباس إلى أخيه غاضبا(1).

تواصلت طريقة اختيار القضاة في عهود الأئمة الأواخر ففي عصر الإمام أبي اليقظان بن أفلح شاور جماعة من الناس، في تنصيب قاضي مناسب لهذا المنصب الحساس ووقع الإختيار على عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ، الذي كان متشددا في الحق وقصته في تاريخ الرستمي معروفة مع زكرياء ابن الإمام، حين تعد على فتاة من المجتمع فاغتصبها، فاشتكته أمها إلى القاضي. أراد أن يقيم عليه حد الزنا لكن لم تتوفر لديه البينة التي تدينه. لم ينم القاضي ليلته حتى أدركه الفجر، فذهب إلى الإمام وأعطاه خاتم القضاء(2)، وقال له:

---

(1) بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، ص107. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص325. محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص533. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص69.

(2) موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، ص32.



(قدم للقضـاء من ترد) فرد عليه (ما بالـك وما عراك)، فقال له: (ما نقمت عليك شيئا، ولكن نقمت على بنيك)، فقـال: (وما بال بني) قال: (خليتهم عالـة على الناس)، فغضب الإمام مما استقبله به ولم يرد عليه شيئا وعين بدلا عنه شبيب (شعيب) بن مدمان[1].

دخل أبو حاتم العاصمة تيهرت بعد الفتن الداخلية وجمع مشائخ البلد إباضيتها وغير إباضيتها، فاستشارهم فيمن يوليه قضاء المسلمين، فقالوا له: إن أبـاك أبو اليقظان لما دخل تاهرت كدخولك، ولى محمد بن عبد الله بن عبد الله الشيخ - وهو القاضي الذي تقدم ذكره - قيل له: (إن لمحمَّد ابنا يسمى عبد الله، وما هو دون أبيه في الورع والعلم. وأنت عالم بورعه ودينه كما نحن عالمون. فقال: أشرتم وأحسنتم وولاه القضاء)[2].

يعتبر عمروس بن فتح النفوسي من أشهر القضاة في جبل نفوسة

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص116. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص 247_ 250.

(2) ابن الصغير: المصدر السابق، ص116.



أيام الإمامين أبي اليقظان بن أفلح وابنه حاتم، حيث كان صارما في الحق لا يخاف في الله لومة لائم، قوي الحجة في البرهان عادلا في حكمه، وقتل في موقعة مانـو على يد الأغالبة (283هـ / 896م)[1]. وللقاصي سجل وخاتم[2].

لم تورد لنا المصادر التاريخية قضاة من غير الإباضية كالكوفيين أو البصريين مثل: (أبو مسعود وأبو دنون)، ولم يكونا ليعارضا الإلتجاء إلى قاض إباضي إذا تعلق الأمر بينهما.

وكان لأهل الديانات والمذاهب الأخرى قضاتهم ومحاكمهم الخاصة بهم في المجتمع الرستمي، إلا في حالة ما يكون في قضية ما مسلم طرفا فيها، في هذه الأثناء يكون الالتجاء إلى المحاكم الرستمية الموجودة للفصل فيها[3].

---

(1) أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم، ص ص99/ 103. بحاز إبراهيم: القضاء في المغرب الإسلامي، ص152.

(2) مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج1، ص68.

(3) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص279.





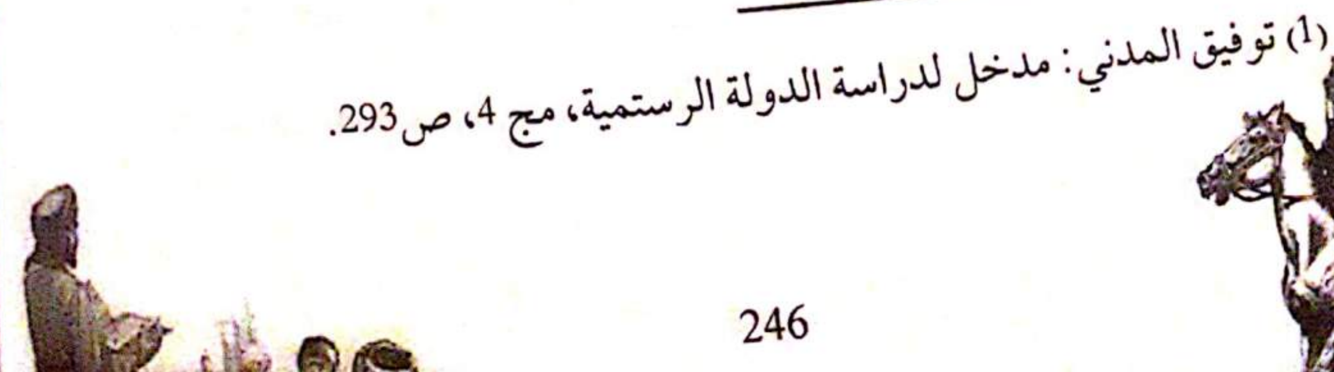
كان القضاة الرستميين على أكبر نصيب من الاستقامة والنزاهة لإحقاق الحق، وإقامة العدل بين أفراد المجتمع. وللقضاة أعوان يساعدونهم على مهامهم الشريفة كرجال الشرطة.

أ- فئة الشرطة:

وظيفة الشرطة في الدولــة الرستمية هي حمــاية الأمن العام للمجتمع والمحافظة على النظــام وحراسة المدن، مراقبة سلوكات الرعية. الرستميون نظموا الشِرطة نظامــا بديعا، يشمل العاصمة تيهرت وغيرها من المدن الرستمية فلم تكن هناك مع الشِرطة أيدي في المجتمع تستطيع الفساد والعبث وخاصة في العهود الأولى[1].

ظهر منصب الشرطة منذ نشأة الدولة الرستمية على يد عبد الرحمان بن رستم، وكان يحسن اختيار الأفراد المناسبين له. ذكر ابن الصغير مهامهــا ودورها في المجتمــع فقال:(إن أصحاب شِرطته،

(1) توفيق المدني: مدخل لدراسة الدولة الرستمية، مج 4، ص293.



والطائفون به قائمون بما يجب)[1].

ولكن منصب الشِرطة حد عن مهامه المناطة به وخاصة في مدينة نيهرت في عصر الإمام عبد الوهاب، حيث شكت جماعة من قبائل المدينـة لرؤساء قبيلتي

سدراتة ومزاتة، فقالت لهما: (إن صاحب شِرطتنا فاسقُ، وإمامنا لا يغير من ذلك شيئا وقد جاء الله بكم)[2]... (فلما دخلوا على الإمام قال أحدهم: إن رعيتك قد ضجت من قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك، فاعزل عنهم ـ القبائل ـ وولي عليهم خيارهم)[3].

أصبح منصب الشِرطة في المجتمع الرستمي على عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب ضعيفا ليس له هيبة أو وقار بين الأثرياء

---

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص40. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص92.

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص47.

(3) عبد الله الباروني : الأزهار، ج2، ص130.



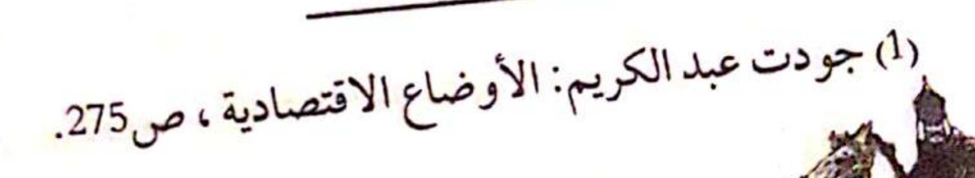


والشخصيات الاجتماعية الفعالة، حيث نجد صاحب شرطة الإمام لا يجرؤ على الدخول أحد أسواق المدينة، خوفا ومهابة من صاحبه ابن وردة الأعجمي[1].

ظهر الفساد وكثرت الفتن في المجتمع خلال عهود الأئمة الرستميين المتأخرين، من شباب فاجر. انتشرت الخمور والفواحش بين عامة الناس، حتى أن الإمام أبا حاتم استشار مشائخ البلد من إباضية وغيرها في من يوليه منصب الشرطة، وفي هذا الشأن يوضح ابن الصغير بقوله: (...فقال: (أبو حاتم) من ترون أن نوليه الشِرطة، فقال قوم زكـار وقد قتل ابنه بين يديك وله نصيحة.

وقال: قوم إبراهيم بن مسكين فإن له صلته في الحق فولاهما جميعا. وكان البلد قد فسدت، وفسد أهلها في تلك الحروب، واتخذوا المسكر أسواقا والغلمان أخدانـا، فلما ولي هذان الرجلان الشِرطة قطعا ذلك في أسرع من طرفة عين. وحملا على الناس بالضرب والسجن

(1) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية ، ص275.



والقيد، وكسرت الجوابي بكل دار عظم قدرها أوصغر، وشردت الغلمان وأخدانهم إلى رؤوس الجبال ... وشردت السراق وقطاع الطريق وأمنت السبل ومشى الناس بعضهم إلى بعض، ولم ينقموا على أبي حاتم شيئا)[1].

تعتبر فئة الشِرطة القوة الأمنية للمجتمع الرستمي من الداخل، فقد كان لِصاحبها أعوان يساعدونه في أداء مهمته الأمنية والاجتماعية، على أحسن حال والقيام بواجبه على ما يرام. فإن الإمام أبا اليقظان أمر أحد رجاله اسمه بشير، أن يأتيه بعبد العزيز ابن الأوز فقيه المدينة والرحالة المعروف في المجتمع، فقال له: (خذ معك أعوانا أكفاء، وجيئ بعبد العزيز شر مجيئ)[2].

لم تذكر لنا المصادر التاريخية أجر صاحب الشرطة وأعوانه، سوى أنه في عهد الإمام عبد الرحمـان بن رستم (يقتطع له ما يكفيه

(1) ابن الصغير: المصدر السابق، ص117. الشماخي: السير، ص263.

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص100.





في سنته من مال الجـزية ومـال الخراج)[1] كما رأينا من قبل.

ب ـ فئة المشرفين على السوق (المحتسبين):

لم تذكر المصادر التاريخية اسم المحُتسب[2] في الدولة الرستمية

---

(1) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص277.

(2) المحتسب: كلمة مأخوذة من الحِسبة وأساسها قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ سورة آل عمران، الآية: 104. الحِسبة: هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعتبر واسطة بين خطة القضاء وخطة الشرطة، لأنها تتضمن نظرا شرعيا ودينيا من جهة وزجرا قهريا سياسيا من جهة أخرى. وكانت وظيفتها من اختصاص القاضي، فهو الذي يولي فيها من شاء. والمحتسب يتدخل غالبا في الأمور التي تتعلق بأمور المقاييس كالغش والتدليس في السلع، والتطفيف في الكيل والوزن والإشراف على النظافة في الأسواق والمساجد، ومراقبة المؤذن والأخلاق العامة كتجمعات شرب الخمر وغيرها. أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في المحتسب: الإسلام والحرية والنزاهة والأمانة والشجاعة، ومعرفة الأحكام الشرعية. أنظر: أحمد سعيد المجيلدي: كتاب التيسير في أحكام التسعير، تقديم

لأن نظام الحِسبة لم يكن منظما فيها[1]، ولم تكن وظيفة الحِسبة مستقلة بحيث يختص بها موظف معين يحمل لقب (المحتسب). وهذا مادل عليه ابن الصغير أن عمل المحتسب كان يتوله صاحب الشرطة في تيهرت خلال عصر أفلح بن عبد الوهاب: (فكان صاحب شرطة أفلح إذ تخلل بالمدينة لافتقادهالم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة)[2].

ومنه نرى أن افتقاد أحوال الأسواق ومراقبة التجـارة والمحافظـة

وتحقيق موسى لقبال، ط2، لشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، من ص220 إلى ص: 224 عبد الباقي علي محمد: نظام الاحتساب وحماية المواطن والوطن بين المنهج الإسلامي والواقع الحاضر، سرتا، ع: 04، صفر1401هـ، ديسمبر1980م، السنة الثانية، قسنطينة الجزائـر، من ص19 إلى ص23. عصام محمد شبارو: القضاء و القضاة في الإسلام، ص21. حسن إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، ط4، القاهرة مصر1970م، من ص 314 إلى ص316. مصطفى الرافعي: حضارة العرب، ص193.

(1) موسى لقبال : الحِسبة المذهبية، ص33.

(2) ابن الصغير: المصدر السابق، ص ص62ـ 63.





على سيرهـا على ما يرام، هو من اختصاص فئة الشرطة.

لم يمضِ زمن طويل خلال عهد أفلح ابن عبد الوهاب، حتى أصبحت قبيلة نفوسة في المجتمع التيهرتـي:(تلي عقد تقديم القضـاة وبيوت الأموال، وإنكار المنكر في الأسواق والاحتساب على فساق)[1]. هكذا ظهر نظام الحِسبة في هذا العصر وطبق في أسواق المدن الرستمية.قام أبو اليقظان في عهد إمامة أخيه أبي بكر بن أفلح بمهمة الحِسبة حين كان يركب دابته ويطوف في المدينة حتى أقصاها ليلا ونهارا، ثم يتصل بالإمام ليخبره بأحوال المدينة، وبكل الأحداث التي وقعت فيها[2] والحِسبة بين يديه[3].

وعندما أصبح إمامـا (241ـ 286هـ / 855ـ 894م) أقر بنظام الحِسبة ورسم معالمها، حيث (أمر قوما من نفوسة يمشون في الأسواق، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. قالوا: فإن رأوا قصابا ينفخوا في

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص63.

(2) بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص247.

(3) ابن الصغير: المصدر السابق، ص79.



شاء عاقبوه، وإن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها، وإن رأوا قذرا في الطريق أمروا من حول الموضع أن يكنسه، ولا يمنعون أحدا من الصلاة في مساجدهم)[1].

استقل نظام الحِسبة استقلالا تاما عن نظام الشرطة في الدولة الرستمية، إذ أصبحت الحِسبة هي الإشراف على الأسواق والمتاجر. ومهمة الشرطة هي المحافظة على الأمن والنظام العام للمجتمع، والآداب العامة[2]. لكن المصادر لم تشر إلى نظام الحِسبة في المدن الرستمية الأخرى إلا ما ذكره الشماخي حول ابن يوسف وجدليش بن في، الذي كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأذن لمن يشاء بالبيع في الأسواق ويمنع عنه من في أمواله شبهة، وأصبح بذلك محتسبا بمدينة جادو في جبل نفوسة[3].

(1) المصدر نفسه، ص88. ج.ف.ب.هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ص229.

(2) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص169.

(3) الشماخي: السير، ص333ـ 334. بحاز: المرجع السابق، ص249.





فئات الأثرياء وكبار التجار والعلماء

1ـ فئات الأثرياء وكبار التجار:

إن تطور ونمو الملكيات وموارد الثروة خلق فئات ثرية، تعتمد في تميزها على الثراء، وجعل هذا الأخير يميز الفرد داخل المجتمع الرستمي عن غيره. والثراء في حد ذاته له وسائل شتى كوجود أثرياء عن طريق الزراعة مثل مجمد بن جرني، الذي كانت زكاة غلاته آلاف الأحمال من البر والشعير، إذ أن زرعه كان يرى من مسافة أيام كالجبل[1].

ووجد أغنياء عن طريق الأنعام والدواب مثل وبيب بن زلغين،

(1) بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص249. الشماخي: السير، ص333ـ334. عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص 137. إحسان عباس: المجتمع التاهرتي، الأصالة، ع: 45، ص30.





الذي يملك ثلاثين ألفا من الإبل وثلاثمائة ألف من الغنم واثني عشرا ألفا من الحمير[1].

ويعتبر الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان من كبار تجار المجتمع هيئت له تجارته ثراءً ضخمًا ومالا وفيرًا، وقد تحدث عن نفسه، فقال: (لولا أنا ومحمَّد بن جرني وابن زلغين لتخرب بيت مال المسلمين، أنا بالذهب ومحمَّد بن جرني بالحرث وابن زلغين بالأنعام)[2].

كان الثراء في العناصر الأعجمية أوضح من غيره حيث تميزوا ببناء القصور، فابتنى أبان وحمويه قصرين لهما بأملاق، وبنى رجل آخر اسمه عبد الواحد الإباضي قصرا ظل يعرف باسمه من بعد. وبلغ ثراء مقدم العجم ابن وردة في سوق ملكه لوحده في تيهرت[3].

---

(1) سليمان الباروني: مختصر، ص34. إبراهيم العدوي: بلاد الجزائر، ص200. إحسان عباس: المقال السابق، 30.

(2) الشماخي: المصدر السابق، ص25. إحسان عباس: المقال السابق، ص30.

(3) العدوي: المرجع السابق، ص200. جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص287. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص30.



وجد ثري في إمامة أبي بكر بن أفلح اسمه خلف الخادم، وكان من الموالي ـ مولى بني الأغلب ـ استخدم ثراءه وأمواله الطائلة تحت تصرف العناصر العربية وجنودها في حربها ضد الإمام والعناصر الأعجمية[1].

ويعد التاجران الثريان أبو محمد الصيرفي وابن الوسطي من كبار تجار العرب في المجتمع الرستمي حين وقفا مع جند العرب ضد الإمام، وقاما ببناء حصن منيع من مالهما الخاص[2].

وكان لشخص اسمه محمد بن حماد بيت كبير على بعض أميال من تيهرت يقال له المثلث (الثلة)، قد جمع فيه الأشجار والنخيل والمزارع، والأنهار[3].

---

(1) إحسان عباس: المجتمع التاهرتي، ص30. جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص287.

(2) إحسان عباس: المقال السابق، ص30.

(3) المقال نفسه، ص30.





ويعتبر محمد بن عرفة صهر الإمام أبي بكر بن أفلح من أكبر التجار والأغنياء في ذلك الزمن، ومن ذوي القصور الفخمة ولديه الكثير من الخدم والحشم، حتى إذا سار من قصره تجمهر الناس من حوله وساروا بين يديه في مواكب كثيرة[1]. واعتبر صهره الإمام أبو بكر بن أفلح من أثرياء تيهرت، وظهر ثراؤه جليا في ميله الدائم للملذات والملاهي وامتلاكه الجنات والقصور والعبيد[2].

قام تجار وأغنياء الدولة الرستمية بدورهم في استغلال الثراء والمال وفي عمل الخير والبر والبناء في مجالات متعددة، وخاصة الاجتماعية منها الصداقات ومعونة المعوزين والمحتاجين والإنفاق عليهم. ويروي لنا الشماخي عينة صغيرة من عينات كثيرة والموجودة في ذلك العصر، فيقول: (قدم على ابن زلغين ثلاثة نفر يبتغون

---

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص72. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص224ـ 225.

(2) جودت: الأوضاع، ص430. وكتاب العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص66.



ويعتبر محمد بن عرفة صهر الإمام أبي بكر بن أفلح من أكبر التجار والأغنياء في ذلك الزمن، ومن ذوي القصور الفخمة ولديه الكثير من الخدم والحشم، حتى إذا سار من قصره تجمهر الناس من حوله وساروا بين يديه في مواكب كثيرة[1]. واعتبر صهره الإمام أبو بكر بن أفلح من أثرياء تيهرت، وظهر ثراؤه جليا في ميله الدائم للملذات والملاهي وامتلاكه الجنات والقصور والعبيد[2].

قام تجار وأغنياء الدولة الرستمية بدورهم في استغلال الثراء والمال وفي عمل الخير والبر والبناء في مجالات متعددة، وخاصة الاجتماعية منها الصداقات ومعونة المعوزين والمحتاجين والإنفاق عليهم. ويروي لنا الشماخي عينة صغيرة من عينات كثيرة والموجودة في ذلك العصر، فيقول: (قدم على ابن زلغين ثلاثة نفر يبتغون

---

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص72. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص224ـ 225.

(2) جودت: الأوضاع، ص430. وكتاب العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص66.





معروفا، فقالت له امرأته: سلهم عن حوائجهم كي يبينوا على سرور، فسألهم. فقال أحدهم: أبتغي صوفا والثاني أبتغي جملا والثالث أبتغي ما أحلب، فقضى حوائجهم، فقال صاحب الجمل: رزقك الله الجنة. فقال: ليس هذا جمل الجنة. وكان قد أعطاه جملا بكرا صغير السن لم يتم فأعطاه جملا أحسن منه)[1].

والإنفاق على طلبة العلم، والتبرع بالأموال على الجمعيات الخيرية الموجودة آنذاك، لبناء المساجد والأسواق والمرافق وإصلاح الطرقات. ويروي لنا ابن الصغير أن رجلا[2] بنى مسجدا فسمي باسمه (مسجد أبي...)[3]، وعليه فإن إطلاق اسم الرجل على هذا المسجد لخير دليل، على أن بانِيَهُ أحد الأثرياء في المجتمع[4].

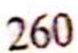
---

(1) الشماخي: السير، ص204.

(2)لم يذكر ابن الصغير اسم هذا الشخص ربما لقدم المصدر.

(3) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص80.

(4) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص287.



- فئة العلماء:

كان أئمة الدولة الرستمية من العلماء[1] الأجلاء الذين كرسوا حياتهم لنشر العلوم بين فئات المجتمع الرستمي. هؤلاء الأئمة العلماء شاركوا مشاركة فعالة في الحركة الأدبية والثقافيَّة في تيهرت، بتشجيع الرعية على طلب العلم والعلا. واهتموا بالتعليم والتدريس في المسجد الجامع بتيهرت، وجامع جبل نفوسة المشهور. كان الإمام الأول عبد الرحمان بن رستم من كبار الفقهاء في عهده، فبرع في علوم الدين والفقه واللغة والفلك، وألف كتابا في التفسير، لكن للأسف الشديد لم يصل إلينا[2].

(1) الحياة العلمية والفكرية في عهد الدولة الرستمية يمكن الرجوع إلى إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية (160ـ 296هـ/ 777ـ 909م)، الباب الثالث: الحياة الفكرية بشئ من التفسير والتفصيل.

(2) سليمان داود: حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، ص59. عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1982م، ص85. وكتاب الأمازيغ، البربر، عرب عاربة وعروبة

يعتبر الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمان من علماء المجتمع، أحب العلم وعمل على نشره وشجع الناس على اكتسابه والعمل به. وأنه أرسل البعثات والأموال إلى العـراق لشراء الكتب في جميع العلوم والمجالات. وكان لا يمل قراءتها ومطالعتها في الشتاء أو الصيف، وقد ألف كتابا في الفقه عنوانه (مسائل نفوسة) أو (نوازل نفوسة)[1] وهو مجموعة من الفتاوى الشرعية الفقهية، لأن علماء نفوسة كتبت إليه مسائل أشكلت عليها، فأجابها الإمام عن كل مسألة سألته عنها[2].

برع الإمام أفلح بن عبد الوهاب في علم الفلك والحساب ونبغ

=الشمال الإفريقي عبر التاريخ، بد ط وبلاد، 1996م، ص114. عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، ص106. الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص138.

(1) كتاب مسائل نفوسة للإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم.

(2) إبراهيم العدوي: بلاد الجزائر، ص199. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص276. عثمان سعدي: عروبة الجزائر، ص85.



في الشعر وله قصيدة طويلة يحث فيها على طلب العلم والسعي من أجله، منها هذه الأبيات المتفرقة[1]:

العلمُ أبقى لأهل العلـم آثـار ... وليلهم بشموس العلم قد نارا.
يحي به ذكرهم الزمان وقد ... يريك أشخاصهم روحا وأبكارا.
حي وإن مات ذو علم ذو ورع ... إن كان في منهج الأبرار ما مارا.
العلم علم كفى بالعلم مكرمة ... ومن يرد غير خير العلم ما اختارا.
العلم عند اسمه أكـرم به شرفـا ... للمـرء أن يكتسي بالعلـم أطمـارا.
يشرف العلـم للإنسـان منزلـة ... ويجتبي من جناه العذب أثمارا.
مثل دم الشهـداء المكرميـن لهم ... في جنة الخلد حور العين أبكارا.
وثق واستكـن فيما دعـاك لـه ... كفـى بربـك رزاقـا و غفــارا.
خـيـر العبـاد لله أن لـــه ... طرفـا إلى خشية الرحـمان نظـارا.
سبحانـه صمد لا شيء يشبهـه ... فرد قديـم مديـد الملـك قهـارا.

---

(1) العربي دحو: الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الأغلبية والرستمية والإدريسية (30هـ ـ 230هـ)، ص207ـ 208.محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص30ـ 31.





أنا الفقير أرجو رحمته أقررت لله بالتوحيد إقرارا[1]

ويثبت العهد الرستمي في المغرب الأوسط للإمام أفلح بن عبد الوهاب رسائل وخطبا تناولها بأسلوب سهل وبسيط، وأضحى يساير الزمن ويواكب الظروف والأحداث التاريخية ومن خلالها يظهر فيها أنه سياسي محنك وخطيب فصيح[2].

عاد الإمام أبو اليقظان بعد الفتن الداخلية إلى ورعه وزهده مثل جده عبد الرحمان من قبل، لذلك كانت أيامه لا يعدها أهل جبل نفوسة إلا بأيام عبد الرحمان لأنهم اتخذوا مجلسه كالمسجد، طائفة يصلون وأخرى يقرءون وطائفة يتذاكرون ويدرسون في فنون العلم[3].

---

(1) يمكن الرجوع للقصيدة كاملة إلى عبد الله الباروني: كتاب الأزهار الرياضية، ج2، من ص190 إلى ص194.

(2) يمكن الرجوع إلى المصادر التاريخية حول الخطب والرسائل للإمام أفلح بن عبد الوهاب مثل عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، من ص195 إلى ص199 ومن ص201 إلى ص205.

(3) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص85. الشماخي: السير،

وهذا وصف ابن الصغير له: (... وكانت نفوسة الجبل مفتونة بأبي اليقظان، حتى أنها أقامته في دينها وتحليلها وتحريمها مثلما أقامت النصارى عيسى بن مريم)[1].

وللإمام أبي اليقظان مؤلفات بلغت أربعين كتابا[2]، وله رسائل عديدة ومتعددة وجوابات مختلفة ومتنوعة[3].

ويعتبر الإمام يعقوب بن أفلح عالما بالديانات السماوية وحافظا لكتاب الله العزيز وعندما سئل عنه، قال بكل ثقة واعتزاز: (معاذ الله أن ينزل على موسى وعيسى - عليهما السلام - مالم أحفظه وأعرف معناه، فكيف بكتاب أنزله الله على نبينا محمّد ﷺ)[4].

=ص222. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص271.

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص97.

(2) الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص138.

(3) عبد الله الباروني: المرجع السابق، ج2، من ص 2040 إلى ص 243.

(4) أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم، ص124. الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص105. بحاز: المرجع السابق، ص273





إن علم الأئمة الرستميين ومساهمتهم في حركة التأليف بتيهرت جعلهم يهتمون اهتماما كبيرا بإنشاء مكتبة غنية وضخمة، تعتبر من أضخم المكتبات على غرار مكتبات المدن الإسلامية التي عرفت حياة فكرية مزدهرة.

حوت مكتبة المعصومة ثلاثمائة ألف (300.000) مجلد أو كتاب، في مختلف العلوم الأدبية والفنية والدينية والتاريخية،

فالمصادر التاريخية تذكر أن عبد الله الشيعي لما دخل تيهرت أحرق كل الكتب ما عدا الكتب العلمية كالرياضيات والفلك والهندسة والطب، والمصنفات التي تعالج شؤون الحكم[1].

---

(1) (*) لقبال موسى يطرح قضية هامة حول مكتبة المعصومة بتيهرت هل أحرقت فعلا أم لا؟ ويأتي بالنفي كما يدرسها من كل الجوانب. أنظر: من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، الأصالة ، ع: 41، محرم 1397هـ/ 1977م، من ص51 إلى ص59.

محمد الطمار: الروابط الثقافيّة بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983م، ص94. عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر



وأشهر أعلام الدولة الرستمية في مختلف العلوم هم: هود بن محكم الهواري[1]، الذي كان أبوه قاضيا للإمام أفلح بن عبد الوهاب ويعتبر أول مفسر للقرآن الكريم في مجتمع المغرب الإسلامي، ويقع هذا التفسير في مجلدين كبيرين أو أربعة أجزاء وتم تحقيقه ونشره من بعض علماء الإباضية[2].

وتولى أبو سهل الفارسي حفيد الإمام ابن عبد الوهاب خطة الترجمة بداووين الدولة على عهد الإمامين أفلح وأبي حاتم، وله

=التاريخ، ص:86. محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص:29. الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص139. محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج:3، ص:396. سليمان داود: حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، ص63.

(1) هود بن محكم الهواري: تفسير كتاب الله العزيز، حققه وعلق عليه بالحاج بن سعيد شريفي، بيروت دار الغرب الإسلامي سنة 1990م. يقع هذا المصدر في أربعة أجزاء.

(2) لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص77. سليمان داود: المرجع السابق، ص59ـ 60.





مؤلفات كثيرة باللغة البربرية، ودواوين شعرية وكان أفصح أهل زمانه بها[1].

ومن المحدثين أبو الفضل أحمد ابن القاسم التميمي البزاز من مواليد تيهرت، وقد أتى الأندلس رفقة أبيه. وقال: دخلت الأندلس سنة سبع عشرة وثلاثمائة وأنا ابن ثمانية أعوام[2]. روى عن علماء كثيرين منهم أبو محمد بن عبد البر[3].

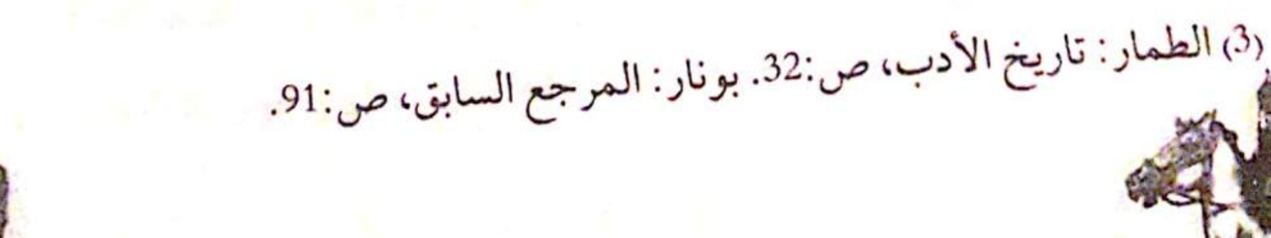
ومن المؤرخين ابن الصغير المالكي الذي خلف لنا كتابا شاملا عن تاريخ الأئمة الرستميين. استعمل فيه أسلوبا سهلا وبسيطا فيه

---

(1) عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج1، ص239. رابح بونار: المغرب العربي، ص91. الطمار: تاريخ الأدب، ص32 بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، ص192.

(2) ابن بشكوال خلف بن عبد المالك: كتاب الصلة، مراجعة عزت العطار الحسيني، مكتبة المثنى بغداد العراق، 1374هـ / 1955م، ج1، ص86. جودت: الأوضاع، ص 285ـ 286.

(3) الطمار: تاريخ الأدب، ص:32. بونار: المرجع السابق، ص:91.





بعض الأحيان تراكيب وعبارات أقرب إلى العامية منها إلى اللغة العربية الفصيحة[1].

ومن الأدباء يهوذا بن قريش التيهرتي، الذي عاش في القرن الرابع الهجري. كان يحسن اللغات، العربية والعبرانية والبربرية والآرامية والفارسية، واهتم بالبحث في كل اللغات. وحاول المقارنة بين اللغات العبرانية والعربية والبربرية، ومنها وضع أساس النحو التنظري، وله كتاب في هذا المجال باللغة العربية موجود بمكتبة (أكسفورد) بانجلترا[2].

ومن المتكلمين الذين برزوا في العهد الرستمي محمود بن بكر

---

(1) محمد الطمار: تاريخ الأدب، ص32. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2، ص80.

(2) الكعاك عثمان: موجز التاريخ العام، ص221. توفيق المدني: الجزائر، ص77. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، ج1، ص 332ـ333. بوروبية وآخرون: الجزائر، ص121. الطمار: تاريخ، ص32. عبد الله شريط: مختصر الجزائر، ص82.





الذي رد على الفرق الأخرى في مقالاتهم وكتاباتهم، وألف كتبا ومؤلفات في الرد على مخالفيه[1]. وإلى جانب هذا عبد الله بن اللمطي ومهدي النفوسي، اللذان تصدا لفرقة المعتزلة في مناظرتهم ومجادلتهم[2].

ومن الفقهاء أبي عبيدة بن الأعرج الذي كان أستاذا للتيهرتين في المجتمع يدرسهم الفقه، ويعلمهم قواعد اللغة والنحو وعلم الكلام، وأخذ عنه ابن الصغير المالكي صاحب أخبار الرستميين، وسمع منه كتاب (إصلاح الغلط) للمؤرخ المشهور ابن قتيبة بن مسلم الدينوري الكوفي[3]. و برع عبد العزيز بن الأوز الذي في علم الفقه اكتسبه من رحلته إلى المشرق، واحتكاكه بعلمائه. وكان صارما في الحق وقف الند لقبيلة نفوسة في تنصيب الأئمة، وقال لها بكل شجاعة: (الله أسائلكم معاشر نفوسة إذا مات واحد جعلتم مكانه آخر، ولم تجعلوا

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص92.

(2) المصدر نفسه، ص93. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص139.

(3) ابن الصغير: المصدر السابق، ص96. جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص284.



الأمر للمسلمين وتردوه إليهم، فيختارون من هو أتقـى وأرضى)[1].

يعتبر أبو مسعود وأبو دنون من فقهاء أهل السنة على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رحمه الله في الدولة الرستمية، وكان لهما دور في الفتاوي الفقهية[2].

ومن الخطباء الأوصياء أبي يوسف يعقوب بن سيلوس الطرفي السدراتي وله وصية مشهورة في تاريخ المجتمع الرستمـي، يعظ فيها ابنه موعظة بالغة ومنها هذه العبارات: (لا يكن ندبك الناس إلى الخير أوكد من ندبك نفسك، ولا يكن غيرك أسبق إلى الخير منك. وكن للناس كالميزان، وكالسيل للأدران وكالسماء للماء)[3].

ومن شعراء المجتمع الرستمي أحمد بن الفتح التيهرتي الذي

---

(1) ابن الصغير: المصدر السابق، ص70

(2) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص105. جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية ، ص284.

(3) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص ص67ـ 68.





انتقل إلى المغرب الأقصى، ومدح عم إبراهيم صاحب البصرة المغربية أبـا العيش عيسى بن إبراهيم ابن القاسم بن إدريس بقصيدة. ويقول في وصف نساء البصرة اللائي، اختصصن بالجمال الفاتن والحسن الرائق[1]:

ما حاز كل الحسن إلا قينة ... بصرية في حمرة وبياض.
الخمر في لحظاتـها والورد في ... وجناتها والكشح غير مفاض.
في شكل مرجي ونسك مهاجر ... وعفـاف سني وسمت إباض.

والشاعر أبو عبد الرحمان بكر بن حماد التيهرتي[2] (200ـ 296هـ /

(1) محمد الطمار: تاريخ الأدب، ص32.

(2) الدباغ أبو زيد عبد الرحمـان بن محمد الأنصاري الأسيدي: معالم الإيـمان في معرفة أهل القيـروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (839هـ)، تحقيق محمد الأحمري أبو النور، ومحمد ماضي، مكتبة الخانجي مصر والمكتبة العتيقة بتونس سنة 1972م، ج2، من ص281 إلى ص284. الضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة: بغيـة الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي، 1987م، ص ص433ـ 434. أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم: طبقات علماء العرب إفريقية وتونس،



816ـ 908م) منشأه مدينة تيهرت بالمغرب الاوسط، ورحل إلى القيروان سنة 217هـ/ 837م

درس على محدثيها وفقهائها ثم رحل بعد ذلك في طلب العلم إلى المشرق، حيث مكث مدة طويلة حصل فيها على علوم غزيرة من جلة علماء البصرة والكوفة وبغداد، أتقن علم الحديث وفنون الأدب.

وبعد ذلك عاد بكر بن حماد إلى إفريقية وأقام برقادة دهرا طويلا ومدح عدد من الأمراء من بينهم إبراهيم الثاني الأغلبي، وعبد الله زيادة

=تقديم وتحقيق علي الشابي و نعيم حسن اليافي، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1985م، ص46. ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، ج1، ص336. إبراهيم البرادي: الجواهر المنتقاة، ص173ـ 206. محمد الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900ـ 1962م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983م من ص17 إلى ص21. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص45ـ 46. عبد الحميد حاجيات: مساهمة المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، الثقافة ، ع : 81، 1404هـ/ 1984م، ص46.



الله الأخير بقصائد. وكانت له علاقة بالدولة ورجالها وخصوصا بالوزير الأديب ابن الصائغ، وكان يتردد كثيرا على بيت الحكمة ويجالس علمائها. وقد حمل عنه أبناء إفريقية رواية الحديث، وكذا دواوين شعر المعاصرين الذين اجتمع بهم في رحلته إلى المشرق، ولذلك كان يعد من كبار العلماء. وعمل على نقل العلم والأدب إلى المغرب الإسلامي. ولما انقرضت الدولة الأغلبية، فارق حماد مدينتا القيروان ورقادة، وتوجه إلى مسقط رأسه تيهرت. لكن في طريقه إليها اعترضه اللصوص وقطاع الطرق فقتلوه سنة 296هـ / 909م، وله من العمر ستة وتسعون عاما. ونذكر بعض الأبيات المتفرقة من شعره في مجالات مختلفة[1]:

قال في ابن ملجم قاتل علي كرم الله وجهه:

قل لابن ملـجم والأقـدار غـالبه هدمـت ويلك للإسـلام أركانـا

[1] عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، من ص70 إلى ص75. رمضان شاوش: الدر الوقاد، من ص51 إلى ص90. محمد الطمار: تاريخ الأدب، من ص33 إلى ص57.



قتلت من يمشي على قدر — وأول الناس إسلاما وإيمانا

صهر النبي ومولاه وناصره — أصبحت مناقبه نورا وبرهانا

ومن شعره أيضا لما عاد من العراق معتذرا للإمام أبي حاتم:

ومؤنسة لي بالعراق تركتها — وغصن شبابي علينا في الغصون نضير

أبو حاتم، ما كان ما كان بغضه — ولكن أتت بعد الأمور أمور

يصف برد تيهرت القارس:

ما أخشن البرد وريعانه — وأطرف الشمس بتاهرت

تبدو من الغيم إذا ما بدت — كأنما تنشر من تحت

وقوله في الزهد:

زرنا منازل قوم لن يزورونا — إنا لفي غفلة عما يقاسونا.

الموت أصبح بالدنيا يعز بها — وفعلنا فعل قوم لا يموتونا.

وقوله في رثاء تيهرت بعد تخريبها:

قف بالقبور فناد الهامدين بها — من أعظم بليت فيها وأجساد.

قوم تقطعت الأسباب بينهم — من الوصال وضاروا تحت أطواد.

والله والله لو ردوا ولو نطقوا — إذن لقالوا التقى من أفضل الزاد.





لقد قامت فئة العلماء بدورها على أحسن وجه، من نشر العلوم المختلفة بين أفراد المجتمع الرستمي والنهوض بالحركة العلمية والفكرية في المغرب الإسلامي.





فئات العامة وفئة العبيد

1ـ فئات العامة:

هي الفئات الكبيرة والساحقة من الناس في المجتمع الرستمي. ونجد ابن الصغير يميز بين فئة العامة وفئة أهل الحرف، وكأنهما فئتـان متمايزتان وهذا من خلال ما قاله: (... والعوام وأهل الحرف ومن لف لفهم)[1]. وذكر فئة العـوام في إمامة عبد الرحمان ابن رستم حين أتاه الوفد المشرقي بأموال ومسـاعدات من أجل توطيد الدولة وتثبيت أركانها: (وكان عبد الرحمان قد أمر الرسل بإحضار المال إلى المسجد الجامع ليقف عليه ويرى عدده، ففعلوا ذلك فلما انصرف عوام الناس

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص102.





وتخلف وجوههم)[1].

وحين غدر بمحمّد بن عرفة القيرواني (حتى آتوا به مدينة تيهرت فابتدر إليه العامة والخاصة والنساء والصبيان، ولحق الناس من الجزع مالم يلحقهم في قتيل قبله)[2].

ولما مات الإمام أبو اليقظان قامت فئة العوام وأهل الحرف ومن لف لفهم، فقدموا ابنه أبا حاتم بلا مشورة أحد من الناس لا من القبائل ولا من غيرهم. استطاعت فئة العوام أن تنصب أبا حاتم إماما وحاكما للبلاد، تنادي به فكان لها ذلك[3]. ولما (تمت بيعته خلت به عشيرته وإخوته وأعمامه وبنو أعمامه ومواليه، فأحبوا أن يجعلوا له حجابا وهيبة، وأبت العوام من ذلك وأرادت الدنو إليه في كل الأوقات على ما

---

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص39. عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص87.

(2)- عبد الله الباروني: المرجع نفسه، ج2، ص229. ابن الصغير: المصدر السابق، ص79.

(3) إبراهيم فخار: الطوائف المذهبية والطبقات الاجتماعية في الدولة الرستمية، دراسات جزائرية، ع:01، ص25.



كانت تعرف قبل إمارته)[1]. من خلال هذه العبارات أن فئات العامة لا تتحرك إلا بالفئات الخاصة دائما، ومصالحها مرتبطة ارتباطا وثيقا بها، إذ هي من متوسطي الحال اجتماعيا[2].

ويمكن أن نميز بين الفئات والشرائح الاجتماعية التابعة لفئات العامة:

أ ـ فئات الفلاحين:

تندرج ضمن فئات الفلاحين، شرائح أخرى هي:

أ ـ 1 ـ فئة أصحاب الماشية:

هم الذيـن يعتمدون في حياتهم على قدرة حيواناتهم أو مواشيهم، ففي العهد الرستمي يتفق جل الجغرافيين على أن البلاد كانت رعويـة فلاحية، وهذا ما يؤكده الجغرافي اليعقوبي بقوله : (هو

(1) ابن الصغير: المصدر السابق، ص105. عبد الله الباروني: المرجع السابق، ج2، ص266.

(2) فخار: المقال السابق، ص25.





بلد زرع وضرع)[1]. وتحدث ابن حوقل عنها فقال: (وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية، ويكثر عندهم العسل والسمن وظروب الغلات)[2]. وهذا ما أكده الإدريسي (...من نتاج البراذين والخيـل كل حسن، وأما البقـر والغنـم فكثير بها جدا - يعني تيهرت -)[3].

وأما الصحراء بالمغرب الأوسط هي مجال القبائل البدوية المتنقلة وراء ملكيتها[4]، مثل: (قبائل مزاتة وسدراتة وغيرهم، كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب وغيرها في أشهر الربيع إلى مدينة تيهرت وأحوازها، لما حولها من الكلأ وغيره)[5].

---

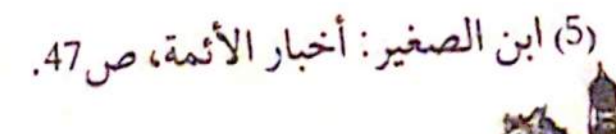
(1) ابن واضح اليعقوبي: صفة المغرب، ص17.

(2) ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، ص86.

(3) الشريف الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص60.

(4) G. MARÇAIS ET CHARLES DIEHL: Histoire du Moyen Age، Les Presses Universitaires de France. Paris. 1936. p421.

(5) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص47.





ويعتبر يبيب بن زلغين من أثرياء تيهرت وأحد ملاك الماشية، الذي ملك ثلاثين ألف من الإبــل وثلاثمائــة ألف من الغنم واثني عشر ألف من الحمير[1]، ورعاة دوابه من الخدم والعبيد. وهؤلاء أصحاب الدواب والماشية لهم صلة وثيقة بالمزارعين.

أ-2-فئة المزارعين:

عرفت الدولة الرستمية بموقعها الجغرافي الإستراتيجي والمتنوع، زراعة متطورة شملت مختلف أقاليمها ففي إقليم تيهرت المرتفع حيث الطقس البارد وكثرة الأنداء والضباب والأمطار الغزيرة[2]. وجود الإمكانات المادية والمساعدات من طرف الأئمة، كما فعل الإمام عبد الرحمان بن رستم من توزيع المال على الفقراء في المجتمع، وبعث نشاطا وحركة في المدنية فشرع الناس ومنهم الفلاحين في

(1) سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ص34. إبراهيم العدوي: بلاد الجزائر، ص200. إحسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، الأصالة ع:45، ص30.

(2) بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص143.





(إحياء الموات وغرس البساتين وإجراء الأنـهار واتخاذ الأرحـاء والمستغلات)[1]. وقد ساعدت الأنهار المحيطة بتيهرت في دعم النشاط الزراعي والعمل به. مما دفع المزارعين إلى إحياء الأراضي البور وغرس غلاتها المتنوعة، وهذا ما أكده الإصطخري بقوله: (إن كورة تيهرت خصبة واسعة البرية، والزروع والمياه)[2].

أشارت النصوص التاريخية إلى أن أهل جبل نفوسة، اهتموا بزراعة الحبوب خاصة منها الشعير. وأن السبب الكبير في انهزام الإمام أبي الخطاب المعافري أمام جيش الأشعث الخزاعـي سنة 144هـ / 761م، نتيجة انسحاب الكثير من الفلاحين إلى حقولهم ومزارعهم قبل المعركة زمن الحصاد.

ومن هنا أن أغلب سكان الجبل على الأقل كانوا من المزارعين المرتبطين بأراضيهم، التي هي منبع معاشهم وأقوات أبناءهـم

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص35ـ 36.

(2) الإصطخري: المسالك والممالك، ص34.



وعيالهم[1]. وأتى المؤرخ الوسياني برواية أخرى تدل على اهتمام الناس بالأرض الزراعية، وتنافسهم على زراعتها في المنطقة الشرقية من الدولة الرستمية : (أن محمد ملي حرث أرضا فلما حصد زرعه ودسه وجعله في التلاليس، إذا برجل وقف على الشيخ وولده، فقال: نعلم يارب ما أَذِنَا لمن حرث، ولا أعطينا ولا بعنا ولا وهبنا، وإنما هي مالنا)[2]، فترك أبو محمد ذلك كله لصاحب الأرض الشرعي وانصرف[3].

تحولت القبائل البربرية البترية خلال الحكم الرستمي إلى قبائل مستقرة داخل المجتمع، مرتبطة بالأرض تسكن المدن وأحوازها وتمارس الفلاحــة إلى جانب الرعي[4].

(1) بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص149.

(2) الوسياني: سير مشائخ المغرب، ص116. الشماخي: السير، ص205.

(3) بحاز: المرجع السابق، ص150.

(4) المرجع نفسه، ص157.





ب ـ فئة أهل الحرف:

لم تشر المصادر التاريخية إلى أنواع الحرف التي كانت موجودة في الدولة الرستمية لكن هذا لا ينفي وجودها. ومن خلال ابن الصغير أن فئـة أهل الحرف كانت كثيرة، ولها شأن عظيم بحيث استطاعت أن تعين وتنصب الإمام أبا حاتم حاكما للبلاد[1].

سكن تيهرت أجناس مختلفة مثل العنصر العربي والفارسي والأندلسي، وغيرهم من أرباب الصناعات والحرف، وذكر المؤرخ ابن القوطية أن أندلسيا استوطن تيهرت، وله دكانا للخياطة[2]. وهذا واحد من بين الكثير من الأندلسيين الذين عملوا في تيهرت وغيرها من المدن الرستمية كمدينتي تنس ووهران. واستفادت البلاد من خبراتهم المهنية والحرفية[3].

---

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص102.

(2) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الظباع، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989م، ص77.

(3) بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص165.



ووجد إلى جانب ذلك فئة الصناع من الآلات الزراعية البسيطة من أجل الفلاحة كصناع المحاريث والمناجل والفؤوس لإحتياج المزارعين لهم. ونعلم أن تيهرت كانت إحدى معادن الدواب والبراذين الفراهية، مما جعل وجود صناع الجلود والدباغين وخاصة في إقليم زويلة شرق البلاد. ويعتمدون في صناعتهم على جلود الماشية لصناعة مختلف الضروريات كالنعال والسروج والأغطية والأفرشة[1]، حتى أن الإمام عبد الرحمان كان يقعد على (حصير فوقه جلد)[2].

ووجود صناع النسيج والصوف والألبسة والأغطية، والخيام في المجتمع الرستمي[3]. وكان الإمـام الأول يشتري من مال الصدقة (أكسية صوفا وجبابا صوفا وفراء)[4]، ويوزعها على الفقراء والمساكين

---

(1) المرجع نفسه، ص167.

(2) ابن الصغير: المصدر السابق، ص41.

(3) G. DENGEL: L'imamat Ibadhites de Tihert، (761_ 909)، Thèse de Doctorat 3eme cycle Strasbourg، Université des Sciences Humaines، France 1977، p208.

(4) بحاز: المرجع السابق، ص168.





في البلاد[1]. واشتهرت عناصر اليهود في الدولة بصناعة الأصباغ[2].

ووجود النجارين وصناع الفخار والأواني البيتية للاحتياج البيوت والقصور والخيام، لهم ولموادهم الضرورية. ونجد وجود الحدادين الذين يصنعون مختلف الأسلحة البسيطة كالسهام والرماح والسيوف والدروع والسروج وغيرها، مع ظهور صناعة الآلات الحديدية الأساسية ذات الاستعمال اليومي، ولعل الباب الحديدي الذي اتخذه الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب، هو من صنع الحدادين في مدينة تيهرت[3].

ليست فئة أهل الحرف من أرفع أو أرقى مستوى في المجتمع من الفئات الأخرى المذكورة. فالحرفة ليست في حد ذاتها أكثر من آمان من الفاقة، والحفاظ على القوت من أجل العيش[4]. إلى جانب وجود الفقـراء في المجتمع الرستمي، وهذا ما نلتمسه في عصور الأئمة

(1) لمرجع نفسه، ص168.

(2) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج2، ص303.

(3) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص61. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص170.

(4) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص258.



الأوائل وخاصة عبد الرحمان بن رستم في بداية نشأة الدولة، حيث كان يقوم (... بإحصاء الفقراء والمساكين فإذا عدهم، أمر بإحصاء ما في الإهداء من الطعام ثم أمر بجميع ما بقي من مال الصدقة، فاشترى منه أكسية صوفا وجبابا صوفا وفراء وزيتا، ثم دفع في كل بيت بقدر ذلك. ويؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه، ثم ينظر إلى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الاراضي)[1]. وإن الأموال والمساعدات التي جلبت من البصرة قد وزعت توزيعا عادلا على الفقراء والمساكين والمحتاجين، وعلى بعض مصالح الدولة والمجتمع[2].

جـ - فئة صغار التجار:

فئة صغار التجار هم أصحاب الحوانيت المختلفة في المدن، وحاجة الناس إلى هؤلاء قليلة تقل أكثر كلما ابتعدوا عن المدن. فهم

---

(1) محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص196. بحاز: الدولة، ص168. رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، ص111.

(2) ابن الصغير: المصدر السابق، ص35. عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص87. أعوشت بكير: رجال خالدون في ذاكرة الإسلام، ص61.



يعتمدون على ما يحققونه من ربح وفير في تجارتهم البسيطة. وكان هؤلاء يتعاملون مع عامة الناس على اختلاف طباعهم وسلوكياتهم، ومن هنا يضطرون إلى الغش والمخادعة والحلف، وإلى غيره من الوسائل

المنحرفة لبيع سلعهم وتجارتهم[1]. وذكر محمد دبوز أن أسواق تيهرت كانت مقسمة إلى أسواق صغيرة حسب البضائع والسلع، فهناك سوق النحاسة وسوق الأسلحة وسوق الصاغة والأقمشة والنسيج والألبسة وغيرها[2].

2- فئة العبيد:

فئة العبيد[3] معروفة في المجتمعات العربية الإسلامية خلال

---

(1) جودت عبد الكريم: الاوضاع الاقتصادية، ص250.

(2) محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص283.

(3) العبد: هو إنسان محروم من الأهلية ومملوك لإنسان غيره أي سيده، يتصرف به كتصرف بملكه أو ماله. فله أن يستخدمه ويؤجره ويرهنه ويبعه



القرون الوسطى. فإن الدولة الرستمية لم تشذ عن هذه القاعدة، فالعبيد السودانيون أو الصقالبة لا شك أنهم يميلون من حيث المذهبية إلى مذهب أسيادهم، فهم يتأثرون ولايؤمرون ولايأمرون أي أنهم تبع لإحدى الفئتين الخاصة والعامة[1].

انتقلت فئة العبيد من بلاد السودان[2] إلى الديار الإسلامية، حيث ذكر الإصطخري أن: (الذي يقع من المغرب الخدم السود من بلاد السودان)[3].

وظهر العبيد في الدولة الرستمية كما أشار المؤرخان ابن الصغير والدرجيني إلى وجودهم بشكل واضح، حين آتى الوفد الأول من المشرق بالأمــوال إلى الإمام عبد الرحمان بن رستم (وجده في أعلى

=ويهبه كيف يشاء. أنظر: مصطفى الرافعي: حضارة العرب، ص108.

(1) إبراهيم فخار: الطوائف المذهبية، دراسات جزائرية، ع:01، ص25.

(2) حول العبيد وجلبهم من بلاد السودان. أنظر: بحاز: الدولة الرستمية، ص227ـ 228.

(3) الإصطخري: المسالك والممالك، ص45.





بيته يعمل بيده في السقف، والعبد يناوله الطين)[1]. وعندما آتاه الوفد الثاني من البصرة وجد (العبيد والخـدام قد كثرت)[2]. وأن الإمـام عبد الوهاب ابن عبد الرحمان، ملك لوحده عددا كبيرا من العبيد. حيث وعدهم يومـا بالحريـة إلى من يأتيه بخبر قدوم وفد نفوسة من إقليمها إليه[3].

وأصبح للقبائل البربرية المنتشرة حول تيهرت في عهد الإمام أفلح (...الأموال، واتخذت العبيد)[4]. كما كان للرستميين حصن يسمى نماليت في طرف لواتة به مواشيهم وعبيدهم[5].

اتخذت الشخصيات الثرية في المجتمع الرستمي عبيدا لخدمتهم في قصورهم ومنازلهم، والسهر على راحتهم مثل محمد بن

(1) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص45.

(2)ـ ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص38.

(3) أبو زكرياء: سير، ص68.

(4) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص62.

(5) المصدر نفسه، ص107.



عرفـة القيروانـي صهر الإمام أبـو بكر ابن أفلح.

وأما فيما يخص الإيماء لم تشر المصادر التاريخية لهن ولكن كما هو معروف تقتصر خدمتهم في المجتمع الرستمـي في قصور الأئمـة، ومنازل الشخصيات الكبيرة. أما العبيد تتمثل خدمتهم كذلك في الدور والضياع، وزراعة الأراضي والعمل في البساتين والأرحاء بالإضافة إلى أعمال داخل المدينة من حرف متنوعة ونحو ذلك. ويبدو أن وجود العبيد في بلاد المغـرب الأوسـط كجنودٍ كان قليلاً، نظراً لسيطرة روح السلم والأمن في أغلب الأحيان خلال العصر الرستمي[1].

ومن خلال دراستنا لفئات المجتمع الرستمي، التي شكلت قوة ملتحمة لكل واحدة منها دورها وعملها الاجتماعي والاقتصادي والحضاري والسياسي، وحياتها داخل دولة متعددة الأجناس والمذاهب.

---

(1) بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص155. جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص267. إحسان عباس: المجتمع التاهرتي، ص27.





الأسرة الرستمية ومستوى المعيشة

الأسرة الرستمية:

اعتبرت الدولة الرستمية أن الأسرة هي نواة المجتمع وأساسه، لذلك عنيت بأمرها وأحاطتها بالرعاية الكلية، والمحافظة على كيانها ومبادئها السامية. وقد حددت الدولة لكل فرد من أفرادها واجباته وحقوقه تجاه الآخرين في المجتمع، بكل عدل وقسط من أجل استمرارها، ولعب دورها على أحسن وجه. ومن العناصر الأساسية للمجتمع عامة، وللأسرة خاصة، المرأة.

1 ـ المرأة الرستمية:

كانت للمرأة الرستمية في المجتمع مكانة سامية بحيث شاركت





في مجالات متعددة كقيامها بنشر الدعوة الإباضية المؤمنة بها، إيمانا خالصا في جبل نفوسة بإقليم طرابلس، قبل قيام النظام الرستمي. وناضلت كثيرا وبذلت جهدها في هذا المضمار، إلى جانب الرجل الإباضي بحسب إمكاناتها وكفاءتها بكل جدارة[1].

كان للمرأة الرستمية دورٌ بارزٌ في المجال الفكري والعلمي، بما فيه الكفاية. وأدت دورها على أحسن ما يرام، ولها في مجالس العلم والأدب والفقه شأن عظيم. فقد بات الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمان (171ـ 190هـ/ 787ـ 805م) مع إحدى أخواته[2]، يتعلمن ويدرسن مسائل الفرائض والأحكام الفقهية، فلم يطلع عليهم الفجر إلا وقد تعلماها جميعا[3].

---

(1) بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص377. منصور عبد الحفيظ، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ص93.

(2) لم أجد في المصادر التاريخية اسم أخت الإمام عبد الوهاب بن رستم، التي كانت تدرس معه أصول الفقه.

(3) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب



كانت النساء في المجتمع الرستمي يحضرن الدروس والمواعظ والإرشاد في المساجد، وكن يتقاطرن في وقت الصلاة إلى أقرب مسجد منهن ويصلين أوقاتهن مع الجماعة، ويحضرن هذه الدروس بين الصلوات، وينقلهن في وجدانهن وعقولهن إلى بيوتهن[1]. وكن يجدن القراءة والكتابة، وكان منهن مدرسات ومعلمات وعالمات شغلن مقاعد التدريس والتعليم، وساهمن في مجلس الذكر والعلم، فأخت[2] الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب برعت في علم الفلك والتنجيم و الحساب[3].

انتشر العلم وفقه الدين بين نساء المجتمع وإمائهم، وهذا ما ذكره المؤرخ الوسياني بقوله: (العلم فاش في الجبل - جبل نفوسة - وشاع حتى أن خدامهم وإيماءَهم إذ خرجن إلى الاستسقاء لا يرجعن حتى

=الأوسط، ص318.

(1) محمد دبوز: تاريخ المغرب، ج3، ص406.

(2) لم تذكر المصادر التاريخية اسم أخت الإمام أفلح بن عبد الوهاب.

(3) عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ص575.





يذكرن بينهم مسائل كتاب ماطوس[1]، وفيه ثلاثمائة مسألة ومواعظ كتاب الإخوان)[2].

وعلى هذا الأساس نستنتج أن الدولة الرستمية أعطت عناية كبيرة واهتماما بالغا لتربية وتعليم المرأة الإباضية الرستمية، سواء كانت حرة أو أمة أو بدوية أو حضرية، والاهتمام بها ذخر للمجتمع، وبها يرقى ويتقدم ويكون محافظا ومتحضرا.

لقد كانت العناية بالعلم واجبا، وكان كسبه سببا في عتق أمة سودانية في المجتمع التيهرتي تدعى غزالة[3] (... كان أدبها أن تخدم مولاها بالنهار، فإذا نام عياله انصرفت تحضر مجالس الذكر عند أبي محمد عبد الله بن الخير ـ عالم من علماء الإباضية ـ فإذا انقضى المجلس رجعت فتأت مصلى لها في كهف معلوم فتصلي... فإذا كان

---

(1) ماطوس: عالم إباضي، توفي في موقعة (مانو) المشهورة سنة 283هـ. أنظر: الشماخي: السير، ص286.

(2) الوسياني: سير مشائخ المغرب، ص20.

(3) بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص378.



آخر الليل أتت أهلها فأيقظتهم للصّلاة، فتفطن لها سيدها فأعتقها. وتمادت على فعلها)[1].

أشارت بعض المصادر التاريخية إلى وجود امرأة نفوسية بالجبل كانت تـفتح بيتها للعلم والعلماء، يعقدون فيه مجالسهم العلمية والأدبية والثقافيَّة. واتصفت بهلولة النفوسية بالزهد والصلاح والتفقه في الدين على المذهب الإباضي، التي جعلت دارها مركزا للعلم وطلابه، بقيادة العالم الإباضي أبي ذر أبان بن وسيم الويغوي الذي تزوج بها بعد معرفته بتقواها[2].

شاركت نساء كثيرات في الجانب السياسي للسلطة الرستمية، ولهن دور كبير في هذا المجال. ومن بينهن زوجة أبي يوسف حجاج بن وفتين الذي اشترك في مؤامرة، دبرها مع رئيس فرقة الخلفية خلف بن السمح بن أبي الخطاب، للخروج على طاعة الإمام عبد الوهاب

(1) المرجع نفسه، ص378. الشماخي: المصدر السابق، ص218.

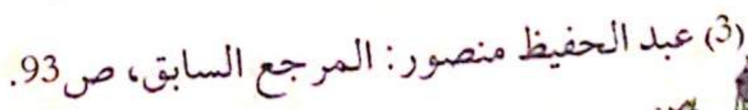
(2) الشماخي: السير، ص217. يحي معمر: الإباضية في الجزائر، ح4، ص232. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص301



بن عبد الرحمان. ولما دخل أبو يوسف بيته صاحت زوجته في وجهه غاضبة على فعله المشين بعدما علمت بخبره، قائلة له[1]: (إليك عني بائع دينك)[2].

استطاعت زوجة الإمام أبي اليقظان الذكية أن تؤثر عليه بذكائها ومكرها وترغمه في نفس الوقت على إسناد ولاية العهد من بعده إلى ابنهما أبي حاتم، وكان لها ما أرادت[3]. ولعبت دوسرا بنت أبي حاتم دورا بارزا في الأحداث السياسية الأخيرة (294ـ 296هـ / 906ـ 909م)، من الفساد الاجتماعي والغدر والصراع من أجل السلطة. أدت هذه الأسباب إلى اضمحلال النظام الرستمي وسقوطه على أيدي أصحابه، حيث أصبحت دوسرا وإخوانها عيونا للداعي الفاطمي، من أجل أخذ الثأر لأبيهم، من الإمام اليقظان بن أبي اليقظان (294 ـ 296هـ / 906ـ

(1) عبد الحفيظ منصور: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ص93.



(2) الشماخي: المصدر السابق، ص184. معمر: المرجع السابق، ح4، ص232.

(3) عبد الحفيظ منصور: المرجع السابق، ص93.



909م) المتهم بقتل أبي حاتم[1].

قلد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان أبا عبيدة عبد الحميد الجناوي منصب ولاية جبل نفوسة بإقليم طرابلس. استشار هذا الأخير عجوزا من قبيلة نفوسة اسمها (نانامارن)[2] مشهودا لها بالعلم وفقه الدين، في تولية هذا الأمر الخطير أو رفضه فقالت له ناصحة: (هل تعلم في بلادك من أهل زمانك أقوم منك بما كلفت به، وأحق بتقليد ما تقلدت؟ قال: أما في أمور الرجال فلا. قالت: فادخل إذا فيما قلدك الإمـام وإلا فإني أخشى أن تهشم عظامك في نار جهنم، فقد قامت عليك الحجة)[3].

---

(1) موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص34. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، ج2، ص103.

(2) نانامارن: كلمة بربرية، نانا معناها الجدة، ومارن هو العلم الذي أطلق على هذه العجوز. أنظر: الشماخي: المصدر السابق، ص310.

(3) الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص71. أبوزكرياء: سير الأئمة، ص82. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص379.





كانت أخت عمروس بن فتح النفوسي قاضي جبل نفوسة[1] في أواخر أيام الدولة الرستمية، عالمة فقيهة بأمور الدين والمذهب الإباضي، أفتت لنساء نفوسة اللائي وقعن أسيرات جيش الأغالبة في موقعة مانو (283هـ / 896م)، بما يحفظ لهن عرعهن وشرفهن حيث خافت عليهن الفتنة، فأمرت كل واحدة منهن أن تستخلف عن نفسها من يتزوجها لمن أرادها بسوء أو خداع[2].

وكان في كل جامع من جوامع الدولة الرستمية قسم خاص بالنساء يفصله عن قسم الرجال جدار محزم بستر النساء، ولا يحجب

---

(1) عمروس بن فتح: قاضي وعالم من علماء جبل نفوسة، قتل في موقعة مانو (283هـ/ 896م). وصفه الدرجيني بأنه: (بحر العلوم الزاخر المبرز أول السباق وهو الأخر، الضابط الحافظ والمحتاط المحافظ، لم تشغله المجاهدة في الله عن دراسة العلوم، ولم يلهه التبحر في العلم، لازم الدرس والإجتهاد). أنظر: الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص320.

(2) بحاز: المرجع نفسه، ص380. أبوزكرياء: المصدر السابق، ص104.

عنهن المدرس وتلاوة الإمام[1].

أما في المجال التربوي الاجتماعي كانت المرأة الرستمية داخل المجتمع، تقوم بواجباتها المنزلية من العناية ببيتها والمحافظة عليه. وقيامها بالصناعة التقليدية مثل صناعة المنسوجات الصوفية والخيام والألبسة، التي ساهمت في تنشيط الحركة التجارية وتطورها على المستوى الداخلي والخارجي. وكذلك ازدهار الأسواق بالمدن الرستمية بالصناعات اليدوية النسائية[2].

أصبحت المرأة في الأسرة الرستمية مثالا واضحا للتقوى والصلاح والثقافـة العلمية، ولإسعاد الزوج في البيت ويحظى في ظلها بكل سعادة وهناء. وكانت للأبناءِ الناشئة خير أم ومربية إذ أنجبت بدينها وتربيتها الصحيحة أجيالا صالحة وقوية، واستطاعت بهم أن تبني

(1) محمد دبوز: تاريخ المغرب، ج3، ص407. عبد الحفيظ منصور: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ص94.

(2) منصور: المرجع نفسه، ص94.





دولة مسالمة، ومجتمع راقي في المغرب الأوسط(1).

2-الزواج:

الزواج*(2) في المجتمع الرستمي لا يختلف عنه في بقية الدول الإسلامية المستقلة الأخرى الموجودة آنذاك، ما دام القرآن الكريم والسنة

---

(1) دبوز: المرجع السابق، ج3، ص406.

(2) (*) الزواج: يعرف بعض الفقهاء بأنه عقد يفيد حل الإستمتاع، لكل من العاقد بالأخر على وجه المشروع. وهذا تعريف بالغاية والمقصد، وأنه بلا شك من إحدى غايات الزواج حل الاستمتاع. وأن القصد أسمى من ذلك في الشرع وعند أهل الفكر والنظر هو التناسل وحفظ النوع الإنساني. أنظر: أبو زهرة محمد: محاضرات في عقد الزواج وآثاره، دار الفكر العربي القاهرة مصر، 1971م، ص43.

الزواج سنة مفروضة في الإسلام، ولا يختلف المذهب الإباضي عن المذاهب السنية الأخرى. أنظر: عبد العزيز الثميني: شرح كتاب النيل وشفاء العليل، ج6، ص16.



النبوية الشريفة هما المصدران الأولان والأساسيان لكل المسلمين[1].

الزواج نظام إلهي شرعه الله وتعالى لخير الإنسانية، ومصلحة المجتمع البشري عامة. يقيم الزواج في المجتمع الرستمي دعائم الأسرة، التي هي عماد الأمة والرعية، فقد جعله الله ﷻ من آياته وأوضح في كثير من الآيات القرآنية، أنه من نعمه على خلقه فقال في كتابه العزيز: ﴿ واللهُ جَعَلَ لَكُم مِّنَ أنفُسِكُم أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[2]، وقال أيضا: ﴿ وَمِن آيَاتِـهِ أَنْ خَلَـقَ لَكُم مِّن أَنفُسِكُمُ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةَ إِنَّ في ذَلِكَ لآيَاتِ لِقَوْمِ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3]، وقال في آية أخرى: ﴿ وَأَنكِحُواْ الأَيَامىَ مِنكُمْ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمُ إِنْ يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ الله مِن فَضْلِهِ ﴾[4]، وعملا بقول الرسول ﷺ: (النكاحُ

---

[1] عبد الحفيظ منصور: الأوضاع الاجتماعية، ص100.

[2] سورة النحل، الآية: 72.

[3] سورة الروم، الآية: 21.

[4] سورة النور، الآية: 32.



سنتي فمن رغب عن سنتي، فقد رغب عني)[1].

والزواج طريق للتوالد والتناسل، شرعه الله لتنظيم معيشة المجتمع وترابط الأسر برباط وثيق، قائم على المـودة والرحمـة. وإن الإنسان في المجتمع لا يستقيم حالـه، ولا تطمئن حياته ومعيشته إلا باستقرار شؤونه الأسرية والمنزلية، وانتظام أحواله الاجتماعية. ولا يتحقق هذا الاستقرار إلا بوجود زوجة، تكون عونا وعضدا له، تراعي أمره وتسهر على مطلبه، وتحيطه بالرعاية وتربي له نشأه[2].

(1) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، قرأ أصله تصحيحا وتحقيقا، وأشرف على مقابلة نسخة المطبوعات والمخطوطة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت لبنان، بدون ط، بلا تا، باب النكـاح، ج9 ، ص ص105 - 106.

(2) بدران أبو العينين بدران: الفـقه المقارن للأحوال الشخصية بين المذاهب الأربعة السنية، والمذهب الجعفري والقانون، الزواج والطلاق، دار النهضة العربية بيروت لبنان، بدون ط، بلا تا، ج1، ص12.

والزواج يُشعر الزوج بالمسؤولية التي تلقى على عاتقه، فهو من قبله كانت مسؤوليته عن نفسه فقط، فأما بعده يصير مسؤولا عن أسرته المتكونة من زوجة وأولاد في المجتمع، فهو مظهر من مظاهر الرقي الإنساني والاجتماعي[1].

ومن مقدمات الزواج في أي مجتمع إسلامي وفي أية دولة مثل الدولة الرستمية المستقلة، أن تكون هناك خطبة ممهدة، لتستوثق العاقد من أن يحقق العقد فيقدم عليه، وإلا فيعرض عنه، لقول النبي ﷺ لشعبة بن المغيرة رضي الله عنه: (أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)[2]. ومنه أن الدين الحنيف أذن بالخطبة كمقدمة للزواج، وأمر الخاطب أن

---

(1) المرجع نفسه، ص13.

(2) الإمام الحافظ ابن العربي المالكي: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي دار الباز للطباعة والنشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، بدون ط، بلا تا، باب النكاح، ج4، ص304. الحافظ جلال الدين السيوطي: شرح سنن النسائي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، بدون ط، بلا تا، مج3، ج6، ص 70.



ينظر إلى مخطوبته، ورسم الآداب التي يسير عليها الخاطبان لأن ليس عقد بل مقدمة له[1].

كانت المـرأة المسلمة تستشار قبل عقد الـزواج، في اختيار الزوج بالرفـض أو القبول كما ثبت ذلك في الصحيح، لقوله ﷺ: (لا تنكح البكر حتى تستأذن، وإذنها صمتها)[2].

ويقول أيضا: (البكر تستأمر والثيب تشاور قيل: يارسول الله البكر تستحي، قال : سكوتها رضاها)[3]. وإلى جانب ذلك إذن الولـي في عقد الزواج لقوله ﷺ: (أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فإن أصابها فلها مهرها بما أصاب منها فإن تشاجروا،

---

(1) عبد العزيز الثيمني: شرح كتاب النيل وشفاء العليل، ج6، ص55ـ 56.

(2) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج9، ص191. السيوطي: المصدر السابق، مج3، ج6، ص84.

(3) ابن العربي المالكي: عارضة الأحوذي، ج5، ص13. أحمد بن حنبل: المسند، شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر، دار المعارف مصر، 1374هـ/ 1955م، ج12، ص7131.



فالسلطـان ولي من لا ولي له)[1]. وفي باب الولاية قال الإمام الثاني عبد الوهاب: (لا يجوز النكاح عندنا إلا بولي. وفيما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه فسخ نكاحـا عقد من غير ولي وعاقب الناكح والمنكح)[2].

ووجوب المهر أو الصداق[3] لصحة العقد لقوله تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾[4]. كذلك لقول النبي ﷺ: (أيما امرأة نكحت، على صداق أو حباء أو عدة قبل عصمة النكاح فهو لها)[5]،

(1) ابن حنبل: المصدر نفسه، ج5، ص13.

(2) عبد الوهاب بن عبد الرحمان: مسائل نفوسة، ص104.

(3) المصدر نفسه، ص104. عبد العزيز الثميني: شرح كتاب النيل، ج6، ص100.

(4) سورة النساء، الآية: 04.

(5) الحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهـقي: السنن الكبرى، ط1، دار صادر بيروت لبنان، 1353هـ، كتاب الصداق، ج7، ص247.

وقوله أيضا: (ما استحل به فرج المرأة من مهر أو عدة فهو لها)[1]، وقوله ﷺ: (أن أحق الشروط أن يوفى بها ما استحللتم به الفروج)[2]. وعن ابن عباس ﷺ قال: (لا نكاح إلا بولي مرشد وشاهدي عدل)[3]. ومن حقوق الرجل وواجباته في أي مجتمع من المجتمعات الإسلامية مثل المجتمع الرستمي:

- أنه رب الأسرة والقائم بشؤونها، والمنفق عليها.

- له الحق في التزوج بأكثر من واحدة إلى أربع، ضمن الشروط المعروفة في الإسلام من العدل والإنصاف، وتوفير كل السبل إليهما.

- الطلاق في ظروف معينة، عندما لا تعود الحياة الزوجية ممكنة.

- معاملة الزوجة والأولاد بالحسن والمعروف[4].

(1) المصدر نفسه، ج7، ص247.

(2) نفسه، ج7، ص247.

(3) نفسه، ج7، ص112.

(4) لبيب عبد الستار: الحضارات، ط2، دار الشروق بيروت لبنان، 1982م،



ومن حقوق الزوجة وواجباتها في أية أسرة:

ـ حق المهر كما سبق والنفقة والمعاملة الحسنة بالمعروف من قبل الزوج، ورب الأسرة وحرية التصرف بمالها. ولها حق طلب الطلاق عند الضرورة الملحة، عندما تصبح الحياة بينهما مستحيلة.

ـ المساواة مع زوجها في الحقوق والواجبات في إطار الشريعة الإسلامية.

ـ فرض عليها الأمانة والإخلاص والوفـاء لزوجها، والسهر على رعايته والمحافظة على كيانها وكيان زوجها، وتربية أولادها تربية صحيحة[1].

ومن حقوق الأبناء على الوالدين، وحقوق الوالدين على الأبناء وواجباتهم:

ـ أن يحسن والدهم تربيتهم وتنشئتهم وتعليمهم.

=ص148.

(1) المرجع نفسه، ص148.





ـ أن يعرفوا حق الوالدين عليهم، فيحترموهما ويحسنوا إليهما ويكفلوا لهما الظروف الملائمة لشيخوختهما[1].

ومن هذا الأساس فإن الـزواج هو المقـوم الأول والأساسي للأسرة. والأسرة هي الوحدة الأولى والأساسية لبناء المجتمع، فإذا كان الإنسان إنسانا اجتماعيا لا يعيش إلا في المجتمع. والأسرة هي الخلية الأولى والأخيرة التي يتربى فيها الأبناء، وفيها يعرف الفرد ماله من حقوق، ومع عليه من واجبات[2].

وكان الزواج على عهد الدولة الرستمية عن طريق المصاهرة التي تنعقد بين أفراد القبيلة البربرية الواحدة. لا نجد زواجا خارج القبيلـة البربرية، ماعدا الزواج لأغراض أو مصالح سياسية. والزواج يتم بين أفراد القبائل البربرية، من أجل توثيق الروابط والصلات فيما بينهم[3].

---

(1) نفسه، ص148.

(2) أبو زهرة محمد: محاضرات، ص45ـ 46.

(3) عبد الحفيظ منصور: الأوضاع الاجتماعية، ص100ـ 101.



كان الرستميون يتحفظون من المصاهـرة خارجة نطاق القبيلـة الواحدة هذا من جهة، ومن جهة أخرى المصاهرة بين بعض الأئمة الرستميين، وبعض رؤساء القبائل البربرية، مثل الإمام عبد الرحمان بن رستم الذي تزوج من قبيلة بنـي يفرن الزنـاتية، التي أيدته ووقـفت بجانبه في تأسيس دولته، وتصبح فيما بعد الدرع الواقـي والحصن المنيع له خلال حكمه[1].

وساعدت قبيلة بني يفرن الزناتية ابنه عبد الوهاب في تولي الإمامـة من بعده (190هـ / 805م)[2]. وكانت تربطه صلة نسب بقبيلة زناتة البربرية، فكان صهره زعيمها جارون بن القمري الزناتي الذي اتخذه سندا في إمامته وحصنا في حروبه ضد الخارجين عليه[3].

---

(1) محمد بن جعفر الكتاني: الأزهار العاطرة في محاسن قطب المغرب وتاريخ مدينة فاس، فاس المغرب الأقصى، بد ط، وبلا د 1307هـ/ 1889م، ص116.

(2) عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ص 551.

(3) محمد بن يوسف أطفيش: الرد على العقبي، ص92. جودت عبد الكريم:

ومن الزواج السياسي الذي هدفه المصالحة السياسية والحفاظ عليها في المجتمع الرستمي. محاولة قبيلة هوارة البربرية الخروج عن طاعة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان وذلك بمحالفة قبيلة لواتة البربرية، عن طريق المصاهرة والنسب لمحاربة الإمام. لكن هذا الأخير تـفطن لهذا الأمر الخطير، فقطع الحلف وأصهر قبيلة لواتة ثم تزوج بإحدى بنات شيخ القبيلة التي خطبها رئيس قبيلة هوارة[1].

إلى جانب هذا كله مصاهرة مدرار بن اليسع إمام الصفرية عبد الرحمان ابن رستم صاحب تيهرت في بنته أروى، من أجل توطيد العلاقات بين الدولتين، وتوحيد المصالح السياسية والاجتماعية والتجارية بينهما، رغم اختلاف مذاهبهما الصفري والإباضي[2].

وكان بعض الأئمة الرستميين يصاهرون الأسر الثرية والشخصيات

=العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص63.

(1) عبد الله الباروني : الأزهار، ج2، ص133.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص93. جودت: العلاقات، ص214. صالح باجية: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، ص30.



البارزة في المجتمع الرستمي، ذات الجاه والنفوذ. كما فعل الإمام أبو بكر بن أفلح (240ـ 241هـ/ 854ـ 855م) حين تزوج بأخت محمد بن عرفة العربي، وتزوج هذا الأخير بأخت الإمام، بهذا العمل استولى محمد على مقاليد السلطة[1].

ولكن المصادر التاريخية حول الدولة الرستمية، لم تعطِ لنا أو تشر إلى كيفية الاحتفال بالزواج أو الزفاف. ومن البديهي والمؤكد اتباع سنة النبي ﷺ في إحياء الأعراس، من إعلان الزواج وضرب الدفوف وأكل وليمة الزفاف، لقوله ﷺ: (فصل بين الحرام والحلال، الدف والصوت)[2]. وقوله أيضا: (أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف)[3].

(1) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص293.

(2) ابن العربي المالكي: عارضة الأحوذي، ج4، ص307.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص308.





3ـ الطـلاق:

الطلاق[1] هو حل العصمة المنعقدة بين الزوجين أو فك عقد التزويج وحل الوثاق، وهو الإرسال والترك. وقيل هو صفة حكيمة ترفع حلية متعة الزوجة لزوجها موجبا تكررها مرتين للحرة ومرة لأمة من

(1) الطلاق: لا يختلف المذهب الإباضي المعتمد في الدولة الرستمية عن المذاهب السنية في مسألة الطلاق، إلا قليلا لأنه مستمد من الكتاب والسنة المطهرة، وهذا ما أكده فقهاء الإباضية بقولهم: (ندين بحسن الصحبة للنساء والإفضاء إليها في اللحاف، والإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. وندين بالطلاق بالسنة على الإقرار، إن كانت ممن تحيض أو بالأشهر، وإن كانت قد يأست من المحيض. والجارية التي لم تبلغ المحيض فيطلقها واحدة من غير جماع بعد الطهر. فمن طلق امرأته ثلاثا بمرة واحدة فقد عصى ربه وتعدى حدوده. وحرمت عليه امرأة ولا رجعة له عليها، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ، حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجا غَيْرَهُ ﴾ سورة البقرة، الآية: 227. أنظر: لواب بن سلام: الإسلام وتاريخه من وجهة نظر الإباضية، ص 105.



قبل الزوج[1]، لقوله ﷻ: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾[2]. وقوله أيضا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ، فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ ﴾[3]. وقال كذلك: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِّنْ سَعَتِهِ، وَكَانَ اللهُ وَاسِعا حَكِيما﴾[4].

وقول الرسول الكريم: (ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق)[5] وقوله كذلك: (أبغض الحـلال إلى الله تعالى الطلاق)[6] ومن خلال

(1) عبد العزيز الثميني: شرح كتاب النيل، ج7، ص28.

(2) سورة البقرة، الآية: 229.

(3) سورة الطلاق، الآية: 01.

(4) سورة النساء، الآية: 130.

(5) الإمام الحافظ أبي داود سليمان السجستاني الأزدي: سنـن، دار الحديث القاهرة مصر، 1408هـ – 1988م، ج2 ، ص261.

(6) الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه: سنن، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة إحياء الكتب العربية، بلا تا، كتاب الطلاق، ج2، ص651.



الآيات والأحاديث التي تدل دلالة واضحة أن الطلاق حل وسط، لا يقدم عليه إلا عند الضرورة. والمجتمع الرستمي كغيره من المجتمعات الإسلامية موجود فيه ظاهرة الطلاق. ولقد ورد إلينا مجموعة من قضايا الطلاق جاءت في كتاب (مسائل نفوسة)، التي وقعت في المجتمع الرستمي وأجاب عنها الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمان نذكر منها:

-القضية الأولى: رجل طلق امرأته من خوف الله ومعها أولاد أطفال، أله أن يسكن معها في بيت واحد، والمرأة ضعيفة لاولي لها، وإنما فراقها توبة إلى الله وانتصال من الحرام ؟

- الرد: إذا كان كما وصفت فهو بعيد من التهمة، ولابأس لمن لم يكن متهما أن يساكن امرأة طلقها، إذا كانوا مضطرين إلى السكن في موضع واحد ولا يجد من يحمل ذلك عنها فالله أولى بالعذر، وترك الريبة خير له.

- القضية الثانية : رجل حلف لامرأته بالطلاق لينكحن عليها فمات ولم ينكح عليها، فهل يجوز عليها الطلاق ؟ وهل ترثه ؟ وهل



تعزل أم يطأها ؟

ـ الرد: في هذا لا يطأها حتى يتزوج فإن وطئها قبل أن يتزوج، فقد حرمت عليه آخر الدهر. فإن مضت أربعة أشهر قبل أن يتزوج عليها أو قبل موته عنها، بانت عنه بالإيلاء بتطليقة بائنة، فإن مات عنها قبل أن يتزوج وقبل أن تنقضي أربعة أشهر، فهي امرأته ترثه لأن الطلاق الذي وقع عليها في حال موته واحدة. والمطلقة واحدة ترث ما دامت في العدة. وإن مات بعد الأربعة أشهر فلا ميراث بينهما لأنها قد بانت منه بتطليقة الإيلاء.

ـ القضية الثالثة: رجل قال لامرأته أنت علي كظهر أمي إن مسستك إلى سنة، ثم مسها هل تحرم عليه أم لا؟

ـ الرد: إن امرأته حرمت عليه، ولا تحل له أبدا ولو نكحت زوجا غيره فمات عنها أوطلقها.

ـ القضية الرابعة: رجل قال الـحلال علي حرام، وقد نوى فيه المرأة ألا يفعل ثم فعل ولم يمس ولم يمضِ أربعة أشهر ؟





-الرد: أنه إذا نوى الطلاق فهو ما نوى من الطـلاق، وإن لم ينوِ عددا من الطـلاق (تطلق) تطليقة لأنه قد نوى الطلاق. وإن كان لم ينو بذلك الطلاق فعليه كفارة اليمين من إطعام عشرة مساكين، إن كان عنده ما يطعم أو صيام ثلاثة أيام ليس عليه في هذا إيلاء.

- القضية الخامسة: رجل خرج بجهازه إلى السفر فغاب سنين من غانه أو فارس أومن الشرك أومما كان حيث يرجى، ولم يقم حي ولا ميت. كيف تصنع المرأة وقد شكت الحاجة ؟

- الرد: في هذا إنه مسافر وليس بمفقود، وهذه المرأة موثوقة حتى يأتي موته أو طلاقه.

- القضية السادسة: رجل طلق امرأته خطأ وأعتق عبده خطأ، أيجوز عليه ذلك أم لا ؟

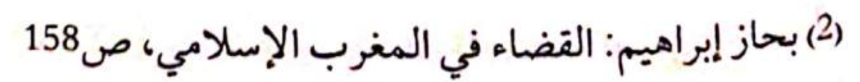
-الرد: أن ابن عباس ﷺ كان يقول في مثل هذا: (لا غلـط ولا غلت على مسلم في شيء لم يتعمده). وهذا في الحكم الباطن فيما بينه وبين الله، وأما في الحكم الظاهر أن شهد به عليه رجلان عند القاضي أو كان عنده فإنه يخرجه حرا بشهادتهما.

هذه من بين القضايــا الكثيرة، التي وردت في قضية الطلاق في المجتمع الرستمي[1]. وكما هو معروف القضاء هو الذي يتولى عقد الزواج والطلاق[2].

الآفــات الاجتماعية:

لا يخلو أي مجتمع من الآفات والإنحرافات سواء الاجتماعية أو الأخلاقيَّة بسبب سوء التربية أو لظروف اجتماعية قاهرة، من فقر أو فتن وحروب تخضع لها أية دولة. والدولــة الرستمية مثل غيرها من الدول المستقلــة آنذاك، وجدت فيها آفات كثيرة. وفي عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان خلفت الفتن الداخلية، آفات اجتماعية وانقسامات داخل المجتمع التيهرتي، من السلب والنهب إلى القتل. ويخبرنا ابن الصغير عن هذه الظاهرة الغريبة فيقول: (...وثارت الصيحة في المدينة فابتدر الناس فأصابوا الغلام قتيلا وأصابوا فرســه

(1) عبد الوهاب بن عبد الرحمان: مسائل نفوسة، من ص 113 إلى ص122.



(2) بحاز إبراهيم: القضاء في المغرب الإسلامي، ص158





واقفا عليه بسرجه ولجامه، ووجدوا ثيابه بحالها، فاغتموا لذلك إذ لم يأخذوا له سلبا ثم قال بعضهم لبعض افتقدوه، فأصبوا خاتما قد زال من يده فكبر القوم

وقالوا: استحلوا الأموال وحل قتالهم)[1]. وأشار ابن الصغير إلى وجود اللصوص في تيهرت، وكان أول ظهور لهم في أيام الإمام أبي اليقظان بن أفلح (241ـ 281هـ / 855ـ 894م)، حيث سيطر في عصره البذخ والترف وانتشار اللهو والمجون ومعاقرة الخمور، ومن الطبيعي أن يؤدي هذا كله إلى الإنحلال الخلقي والفساد الاجتماعي والسياسي، وإلى نشوء طبقات متفاوتة في المجتمع، وبالضرورة يؤدي إلى ظهور السراق وقطاع الطرق[2].

وإبان الفتن الداخلية بين الإمامين أبي حاتم وعمه يعقوب بن أفلح سنة 282هـ / 894م، حيث (فسد أهلها ـ تيهرت ـ في تلك الحروب

---

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص53.

(2) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص261.



واتخذوا المعسكر أسواقا والغلمان أخدانا)[1]. وأصبح المجتمع منحلا اجتماعيا وخلقيا، من انتشار الفساد والوباء والمجاعة مدة أربع سنوات كاملة حتى تم الصلح بين المتنازعين مدة أربعة أشهر.

بعدها تولى أبو حاتم الإمامة وقيادة المجتمع الرستمي سنة 286هـ/ 898م، عمل على نشر الأمن والسلم بين أفراد المجتمع، فشردت السراق واللصوص وقطاع الطرق وأمنت السبل ومشى الناس بعضهم إلى بعض[2]. كما عم الفساد المدن الرستمية الأخرى مثل مدينة شروس بجبل نفوسة حيث تعاطى أهلها الخمور، وخاصة في عهود الأئمة الرستميين الأواخر[3].

إن الانحلال الأخلاقي والاجتماعي، والصراع من أجل السلطة الذي أدى إلى اغتيال أبي حاتم يوسف على يد ابن أخيه اليقظان بن

(1) ابن الصغير: المصدر السابق، ص116.

(2) المصدر نفسه، ص117. جودت: المرجع السابق، ص337.

(3) الشماخي: السير، ص273. بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، 257.



اليقظان الذي استبد بالحكم مغطبطا، وأثار غضب أبناء أخيه، ودفعهم إلى سلوك مشين وطرق ملتوية للثأر والانتقام. وأصبحت دوسرا بنت أبي حاتم وإخوانها عيونا للداعي الشيعي ولجنود قبيلة كتامة البربرية ضد الإمـام ودولتـهم، وأصبحوا سببـا رئيسيا في تخريبها وتدميـر المجتمـع ككل. فقد اتصلت دوسرا بالداعي منذ أن فارق مدينة رقادة بإفريقية، حيث صورت له حال المجتمع الرستمي، الذي أنهكته الحرب والفتن أضعفته الصراعـات الداخلية، ووصفت له وضع الإمام على حقيقته ضعيفا منطويا على نفسه، ومبغضا من طرف الرعية[1].

أما من الآفات الأخلاقيَّة التي فشت بين أفراد المجتمع الرستمي، والقصة المشهورة التي رواها ابن الصغير حول شكاية امرأة رستمية للقاضي أبي محمد بن عبد الله ابن أبي الشيخ زمن الإمام أبي اليقظان (241ـ 281هـ / 855ـ 894م)، تشكو اختطاف ابنتها من بين يديها ليلا من طرف زكرياء بن أبي اليقظـان. وطلبت من ابنها أن يقتفي أثره ويلحق بأخته فأجابها: (أخاف إن أردت ذلك أن يقتلوني

(1) موسى لقبال: دور كتامة، ص340.



وإن لم يقتلوني، خفت أن يدسوا علي عاملا من عمالهم أو لصا من لصوصهم فيقتلني)[1]. هذا الأمر الخطير دعا القاضي للخروج بنفسه من داره بحثا عن هذه الفتاة المخطوفة، لكنه لم يجدها فطلب من الإمام أن يعفيه من مهمة القضاء[2].

من خلال هذه النصوص التاريخية نجد أن فئة اللصوص والسراق وقطاع الطرق في المجتمع الرستمي، لا تقدم على السرقة واللصوصية لتسد رمقها أو جوعها، لأنها معدومة أوفقيرة وإنما هي فئة مرتزقة امتهنت عمل اللصوصية والسرقة. واتخذت من نفسها ذراعا وسوطا بيد زكرياء بن أبي اليقظان يسلطه على من يشاء في المجتمع، مقابل تحقيقها بعض المصالح المنافية للأخلاق والتقاليد[3].

انتشرت اللصوصية والسرقة انتشارا واسعا في أواخر العصر الرستمي بسبب الفتن الداخلية المتلاحقة، الأمر الذي دعا إلى تطبيق

(1) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص90.

(2) بحاز إبراهيم: القضاء في المغرب الإسلامي، ص160.

(3) جودت: الأوضاع الاقتصادية، ص261.



حد قطع الرجل دون العاقب ردعا وعقابا لمرتكبي هذه الآفة الخطيرة[1]. وظهرت آفات أخلاقية خطيرة أخرى في المجتمع الرستمي، تمثلت في اللواط والزنا، فقد روى البغطوري أن رجلا زنى بامرأة فيما دون الفرج، فتزوج ابنتها بعد ذلك، فرخص له الإمـام عبد الوهاب بن عبد الرحمان فيها إلا أن البغطوري لم يذكر الحكم الذي يجب أن يسلط على هذا الزانى*[2]. وفي عهده وقع رجل على صبية ثم بنى بها بعد ذلك، فسئل الإمام عبد الوهاب عن هذا النكاح؟ فكان رده ببطـلان

(1) بحاز: المرجع السابق، ص159. الشماخي: السير، ص ص225.

(2) (*) ولقد فصل النبي ﷺ في هذه الآفة المشينة بقوله: (ملعون من أتى امرأة في دبرها). رواه الإمـام أحـمد في المسند، ج2، ص ص408/ 476. وعقوبة آفة اللواط القتل باتفاق الصحابة رضوان الله عليهم، سواء كانا محصنين أو غير محصنين، استنادا لقوله ﷺ: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به). رواه أبـو داود في سنن. أنظر: تقي الدين أحمد بن تيميه: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، قصر الكتب البليدة الجزائر، بد ط، بلا تا ص100.

بحاز إبراهيم: القضاء في المغرب الإسلامي ، ص160.



عقد الزواج وتسليط عقوبة الزنا على الرجل دون الصبية، لأنها مظلومة لا زانية[1] .

مستوى المعيشة:

لكل مجتمع نمـط وأسلوب خاص به في معيشته حسب حضارته وثقافته وأساليب تقاليده، فأفراد المجتمع الرستمي لهم ميـزات خاصة ومظاهر اجتماعية تميزهم عن باقي المجتمعات الأخرى أي الموجودة أنذاك. ومن بين المظاهر المعيشية الاجتماعية الطعام واللباس والسكن:

أ- الطعـام:

يعتبر الطعام مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية لكل مجتمع من المجتمعات الموجودة في العالم الإسلامي، حيث يعطي فكرة واضحة عن نمط معيشته، ومقياسا لمدى رقيه وازدهاره في كل عهد من العهود. ومن الصعب تحديد كل ألوان المأكولات والأطعمة، التي كانوا يتناولونها في ذلك العصر الغابر. ولعل أهم

(1) عبد الوهاب بن عبد الرحمان: مسائل نفوسة ، ص110.





ألوان الطعام، كانت مرتبطة ارتباطا كبيرا بنوعية المحاصيل الزراعية والثروات الحيوانية[1].

يختلف الطعام في المجتمع الرستمي من منطقة إلى أخرى حسب أساليب المعيشة وأنماطها، وتوفر المواد الضرورية إلى تطور أفـراد المجتمع أنفسهم لأن طعام أهل البـدو أو الريف يختلف بالضرورة عن طعام أهل المدن، وخاصة العاصمة تيهرت. يعتمد سكان جبل نفوسة في معيشتهم اليومية على خبز الشعير، وكان عندهم أطيب من خبز الحنطة لأنه ينفرد بلذة ليست في غيره[2]، وكانوا يأكلون لحم الحيوانات من الأغنام والجمال لتوفرها في أقاليمهم[3].

تعتمد القبائل البربرية البدوية (الرحل) على تربية المواشي وأكل لحومها، وشرب ألبانها بالإضافة إلى المواد الزراعية الأخرى مثل

(1) عبد الحفيظ منصور: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ص323.

(2) ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، ص92ـ 93.

(3) عبد الحفيظ منصور: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ص104ـ 105.



القمح والشعير والحنطة (البر)[1]. وطعام سكان الواحات الصحراوية المستقرين في مناطق وارجلان وواد ريغ، التمر وشرابهم ألبان الجمال والأغنام[2].

كانت ألوان الطعام تختلف من فئة إلى أخرى داخل المجتمع التيهرتي، وذلك باختلاف الأسر الفارسية والعربية والبربرية والأندلسية.

كان الطعام في بداية نشأة الدولة بسيطا حتى في بيوت الأئمة أنفسهم، فطعام الإمام عبد الرحمان (160ـ 171هـ/ 777ـ 787م) السمن والملح وقليل من الخبز[3].

وتعددت أصناف الأطعمة في عهود الأئمة المتأخرين مثل الإمام أبي بكر وأخيه أبي اليقظان ابن أفلح وحاتم بن أبي اليقظان (من سنة 240 إلى 282هـ)، بظهور حياة البذخ والترف والثراء في بعض

---

(1) المرجع نفسه، ص105.

(2) الشماخي: السير، ص273.

(3) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص34.



مظاهر الحياة الاجتماعية الأخرى[1]. ويبدو أن الطعام الذي قدمته فرقة المعتزلة الواصلية إلى العالم الإباضي أيوب بن العباس في العاصمة تيهرت كان ثريدا، من جفنة (قصعة) طعام عليها شاة وإناء من لبن[2].

واشتهرت تيهرت بالسفرجل الذي يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشما، ويسمى الآن بالفارس[3]، وكذلك العسل والسمن. وسائر غلاتها كثيرة مباركة، إلى جانب ضروب الفواكه الحسنة وبالجملة أنها بقعة حسنة[4]. واشتهرت مدينة تنس بـ (السفرجل الطيب المحتق ما يفوق الوصف في صفته وكبره وحسنه)[5].

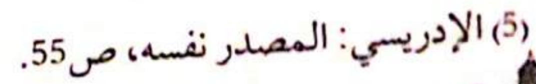
(1) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص324.

(2) المرجع نفسه، ص324 .

(3) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 08.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص86. الشريف الإدريسي: وصفة إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص 60.

(5) الإدريسي: المصدر نفسه، ص55.





وعـاش أغلب علمـاء المجتمع الرستمي عيشة الورع والزهد، مبالغين بقبضة من شعير مقلق أو ببضع تمرات، ومنهمكين ليلا ونهارا في العبادة[1]. وكان بعض فقراء المجتمع والزهاد يكتفون في طعامهم بدقيق الشعير يضاف إليه قليل من الزيت فيأكلونه، ومنهم من يأكل الخبز مع السمن به قليل من الملح[2].

2ـ اللبـاس:

يعتبر اللباس مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية ونمطا من أنماط حياة المجتمع الرستمي. لكن المصادر التاريخية المتوفرة لم تعطنا صورة واضحة عن موضوع اللباس في المغرب الإسلامي عامة وفي المغرب الأوسط، على عهد الدولة الرستمية بصفة خاصة[3].

كان سكان بلاد المغرب الإسلامي قبل تأسيس الدولة الرستمية

---

(1) رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، ص111.

(2) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص324.

(3) عبد الحفيظ منصور: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ص103.





يلبسون البرانس، هذا ما أكده الجغرافي المقدسي أن (البربر ببرانس سوداء وبيضاء وهي ألبسة صوفية تستعمل في فصل الشتاء للوقاية من البرد)[1]. ومنه قسم ابن خلدون البربر إلى: البربر المستقرون هم الذين لبسوا البرنس وهو رداء طويل، حيث قال: ((ولباسهم) وأكثر أثاثهم من الصوف، يشتملون الصماء بالأكسيـة المعلمـة ويفرغـون عليهـا البرانـس الكحل)[2]. والقسم الثاني هم البربر البتر الرحل، فإن تسميتهم مقترنة بلباس الثياب القصيرة[3].

أما اللباس في الدولة الرستمية، فقد أشار ابن الصغيـر إلى أن الإمام الأول عبد الرحمان بن رستم (أمر بجميع ما بقي من مال الصدقة، فاشترى أكسية صوف فوزعها على الناس)[4] وهي ألبسة

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص239.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص176.

(3) محمد بن حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، ص 20.

(4) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص41.



صوفيــة غير مفصلة، يلتحف بها كالحائــك دون أن تغطي الرأس[1] إلى جانب الجيب[2] الصوفية من بين الألبسة، الأكثر انتشارا في المغرب الأوسط، ووجود ملابس منها الفراء وألوانا متنوعة من الكساء.

ولبس أفراد المجتمع التيهرتي السراويل ومنهم الأئمة، فذكر ابن الصغير أن الإمام يعقوب بن أفلح (كان يلبس سروال فضفاضا[3]، حتى كان حجرة في جنبه)[4] ويدل هذا دلالة واضحة لانتشار السروال في بلاد المغرب الإسلامي.

---

(1) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص332.

(2) لجيب: الجبة ثوب سابغ واسع الكمين مشقوق المقدم، ويلبس فوق الثياب. أنظر: المعجم الوسيط ، ج1، ص109.

(3) الفضفاض: الثياب الواسع . أنظر: المعجم الوسيط، ج2، ص719.

(4) ابن الصغير: المصدر السابق، ص113.





ولبس الإمام أفلح بن عبد الوهاب الطرطور[1] وهو قلنسوة[2] طويلة دقيقة الأعلى[3]. وفي عصر الإمام عبد الوهاب ابن عبد الرحمان قال مهدي النفوسي وهو أحد علماء الإباضية في علم الكلام: (إن انتصاري وظفري على فرقة المعتزلة أن أنزع القلسنوة عن رأسي)[4]

أما سكان الواحات الصحراوية (فكانوا يلتثمون بعمائمهم سنة فيهم ولا يلبسون قمصانا، وإنما يتشحون بثيابهم)[5]. هذا ما أكده الجغرافي البكري بقوله: (جميع قبائـل الصحراء يلتزمون النقاب،

---

(1) الطرطور: قلنسوة للأعراب طويلة الرأس. أنظر: ابن منظور: لسان العرب، مج4، ص 501.

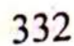
(2) القلنسوة: لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال، جمع قلانس قلانيس وقلاسي. أنظر: المعجم الوسيط، ج2، ص784

(3) عبد الله الباروني: الأزهار الرياضية، ج2، ص 123.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص123.

(5) ابن واضح اليعقوبي: صفة المغرب، ص17.





وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه إلا محاجز عينه)[1].

أما لباس المرأة الرستمية، فالدولة الرستمية كانت على عهد بالإسلام وعملا بقوله تعالى في هذا الشأن: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ، ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورا رَّحِيما ﴾[2]. وقوله كذلك: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾[3] .

وفسر ابن سلام الإباضي هذه الآيات بقوله: يعني بالجلباب الخمار وهو المقنع واللحاف . وأمرهن الله بالخمار وهو المقنعة أن تضعه على الجيب لتستر به العنق، لأن الخمار إذا لم يستر الجيب ظهر العنق[4].

---

(1) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص170.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 59.

(3) سورة النور، الآية: 31.

(4) لواب بن سلام: الإسلام وتاريخه من وجهة نظر الإباضية، ص100.





أما أهل الذمة في الدولة الرستمية كما هو معروف، مخالفتهم للمسلمين في طعامهم وهيئتهم ولباسهم وفي ركوبهم[1]، ولم تورد لنا المصادر التاريخية تفاصيل في هذا المضمون.

3-السكن:

عاش سكان المغرب الأوسط الإسلامي في أنماط مختلفة من المساكن، تبعا للمستوى الحضاري حسب أسلوب معيشة المجتمع. ويمكن أن نقسم سكان المجتمع الرستمي إلى سكان البادية، وسكان المدن[2].

أ-مساكن البادية: وتنقسم البادية* إلى:

أ- 1 - سكنى الخيام: تنتشر حياة الترحل بين القبائل البربرية البدوية المتأصلة في بداوتها، التي لم يستطع البزنطيون من قبل تغيرها منهم ولا المسلمون من بعدهم عمل شيء، يساعدهم على

(1) آدم متز : الحضارة الإسلامية، ج1، من ص 39 إلى ص 96.

(2) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص339.



حياة الاستقــرار، والتمركز في مناطق محدودة ولا من إحداث تغيير في مستواهم الاقتصادي والاجتماعي والحضاري[1].

تعتمد القبائل البربرية البدوية[2] في معيشتها الاجتماعية على تربية المواشي والرعي والخضوع دائما وأبدا إلى الظروف القاسية، ومواصلة الترحال من منطقة إلى أخرى. رغم هذه العوامل المختلفة ظلت الخيــام تمثل بيوتا ومساكنا لعدد كبير من القبائل البربرية في الدولة الرستمية[3]. ومجمع فرقة الواصلية المعتزلية على عهد الإمام

---

(1) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص339.

(2) وجدت عند العرب كلمات في معنى البداوة والحضر مثل: الوبر والمدر والحدر والحجر والبادية والحضر. الوبر هو صوف الإبل والجمال ونحو ذلك من الحيوانات، الذي يصنع منه البدوي خيامه وملابسه، وتعني البادية. والحــدر فهي الأرض المنحدرة التي لا يبنى عليها، وتعني البادية. وأما المدر فهو قطع الطين المتماسك، وهو ما يبنى منه ويعني الحضر. وكذلك الحجر يعني المدينة. أنظر: عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص9ـ10.

(3) المرجع نفسه، ص339.





عبد الوهاب ابن عبد الرحمـان، التي قدرة عدد أفرادها في المجتمع الرستمـي نحو ثلاثين ألفا يعيشون في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها[1] معهم في ترحالهم من العاصمة تيهرت إلى مدينة مستغانم، مرورا بمنطقة وهران إلى الجنوب من إقليم تيلغمت، ومنه إلى بعض المناطق الصحراوية[2].

كانت الخيمة ترمز على مركز صاحبها، وإلى منزلته الاجتماعية والاقتصادية في القبيلة، وكلما ارتفع علوهـا وعمادها ازدادت اتساعا وعبرت في نفس الوقت عن ساكنها. وإن نوع ولون نسيجها وجودته، يدل على المركز الاجتماعي والاقتصادي للقبيلة وصاحبها. وتكون خيمة شيخ القبيلة في مكان مرتفع عن بقية الخيام الأخرى[3].

أ ـ 2ـ مساكن القارة (الحجارة): كان تعبير ابن الصغير المالكي

---

(1) البكري: المغرب، ص67. عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص119.

(2) الحريري: المرجع نفسه، ص119.

(3) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص340.



واضحا حيث جعل أساس التقسيم يقوم على نمط السكن، وما ينتج عنه من ميزات وأمور خاصة. ويقصد في كتابه بعبارة (أهل الحواجر)[1]، هم الأفراد الذين انتقلوا من حالة الظعن[2] والرعي والترحل، إلى حالة الاستقرار. وبنوا منازل قارة التي تبنى من (الحجارة والطين ومن الخوص - ورق النخل والشجر - ومن الشعر والوبر)[3]. وأصبحوا يسكنون في بيوت من الحجر أي المدن: وهو تعبير صريح عما وصل إليه الرستميون من سلم الحضارة والبناء والتشييد، مما جعلهم يختلفون إلى حد بعيد عن حياة البدو[4].

---

(1) الحواجر: قال ابن سيده: لم يفسر ثعلب الحواجر. قال: وعندي أنه جمع الحجرة التي هي الناحية على غير قياس. أنظر: ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص168.

(2) الظعن: سير البادية لنجعة أو حضور ماء أو طلب مربع أو تحول من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد. أنظر: ابن منظور: المصدر السابق، ج13، ص217.

(3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص175.

(4) جودت: المرجع السابق، ص250.





وفي هذا المجال يشير المؤرخ الدرجيني أن في عصر إمامة أفلح بن عبد الوهاب (190ـ 240هـ / 805ـ 854م)، أن العالم الإباضي أيوب بن العباس مجادل فرقة المعتزلة في تيهرت، استضفته فأنزلته في خص ورحبت به[1] . وذكر البكري أن رجلا من إقليم وهران أراد بناء بيت، فاقتطع ألف كلخة[2] لهذا البناء[3].

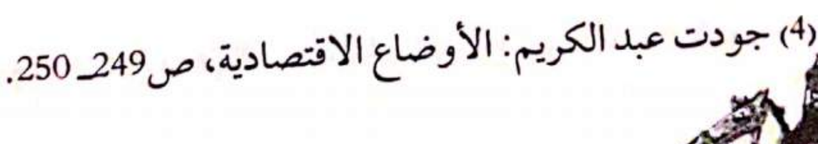
كان سكان القارة يبنون بيوتا من حجارة، من أجل الاستقرار والتعمير في تجمعات سكنية يطلق على الواحدة منها اسم) القرية (. وكان انتشارها واسعا في أرجاء بلاد المغرب الأوسط[4]، وعلى سبيل المثال: مدينة شروس بجبل نفوسة في إقليم طرابلس تعتبر من المدن القديمة والكبيرة، وذكرها صاحب الإستبصار بقوله: (...

(1) الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص63.

(2) لم أجد معنى لهذا الشجر في المعاجم والقواميس، ولكن معروف باللهجة العامية.

(3) البكري: المغرب، ص71.

(4) جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص249ـ 250.





وأهلها إباضية وليس بها جامع ولا فيما حولها من القرى وفي نظرها أزيد من(300) قرية، ولا يرون في مذهبهم الجمعــة، وفي هذا الجبل أمم كثيرة على مذاهب شتى وأكثرهم إباضية)[1]. ومن بين هاته القرى الرستمية الكثيرة، قرية ويغو وتنزغت ووارفين والغدير وأنكاد وجناون والمعسكر[2].

ب ـ مساكــن المـدن : نشر الأثريان جورج مارسي ودوسوس لامار في المجلة الإفريقية سنة 1946 م[3] معلومات آثارية هامة ومفيدة، حول مدينة تيهرت عاصمة الدولة الرستمية جاء فيها مايلي: إن مدينة

---

(1) الإستبصار في عجائب الأمصار، ص144ـ 145 .

(2) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص 60/ 62/ 65.

(3) رشيد بورويبة: الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة، الأصالة، ع: 41، 1397هـ / 1977م، من ص180 إلى ص186.

G.MARÇAIS، et A. DESSUS LAMARE: Tihert Tagdemt، Revue Africaine (R.A)، Tome، XC، 9e année، Alger 1946، de la Page 24 à la Page 57.





تيهرت كانت في القديم عند بنائها على شكل مستطيل غير منتظم طوله (100م)، وعرضه يتراوح بين (700م) و(800م). ومن بين المباني والآثار التي عثر عليها الأثريان، السور والقصبة ومخازن الماء.

أولا: السور:

كان سور المدينة مبنيا بالحجر ومحصن ببروج ذات قاعدة، على شكــل مضلع في الزوايــا بدعائــم مربعة يبلغ طول ضلعها (5م) في كل الاضلاع. وكانت المسافة التي تفصل ما بين دعامتين متتاليتين (20م).

ثانيا: القصبة :

كانت القصبة على شكل مستطيل طوله (96م)، وعرعه (33،65م)، وتحتوي على بنائين متلاصقين أحدهما على شكل مستطيل طوله (30م)، وعرعه (33،65م). والقصبة بذاتها، التي كان يبلغ طولها (66م)، وعرعها (33،65م).وللقصبة جدران مبنية بالحجر وملاط من الجير يتراوح سمكها بين (1،44م)، و(1،50م). وباب واحد مفتوح في الجدار



الشمالي الشرقي يؤدي إلى سقيفة طولها (5 ،10م)، وعرضها (2، 46م) محفوفة بمقعدين تفصلهما قاعدة من الأجر. كانت تعلوها دعامة أو سارية تعتمد عليها القوسان اللتان كانتا تزينان السقيفة. وكانت هذه السقيفة تؤدي إلى صحن طوله (53م)، وعرصه (20م) مفروش بالحجر ومحاط بقاعات متلاصقة مختلفة الشكل من جهاته الأربع.

أما القاعات الموجودة في القسم الشمالي الشرقي، والقسم الجنوبي الغربي تستعمل للسكن. والقاعات الشرقية الجنوبية تستعمل للحراسة أو كإسطبلات. والقاعات الشمالية الغربية تستعمل كمخازن. وفي طرفي القسم الجنوبي الغربي، عثر جورج مارسي ودوسوس لامار على سلمين كانا يؤديان إلى الطابق الأول.

ثالثا: مخازن الماء:

اهتم الرستميون اهتماما كبيرا بأعمال الري، وقيل أن من الأسباب التي دفعت الإمام عبد الرحمان بن رستم اختيار مكان بناء تيهرت هو أنه وجدبها عدة عيون. ونجد حاليا على جانبي الطريق المدينة عددا





كبيرا من المباني المائية مثل العيون، ومخازن الماء. وأهم المباني بناء يحتوي على ثلاثة أحواض رئيسية مستطيلة الشكل، وجدرانها مبنية بالحجر والملاط وملبسة بطلاء سميك.

ونرى في أحد هذه الأحواض أربعة حزوز متقابلة زوجا زوجا تسمح بنزول حاجزي الحوض ورفعها. وكانوا ينزلون الحاجزين في أيام الصيف، ليحافظوا على مستوى الماء في المخزن أو لتنظيف الحوض.

هذه المباني التي اكتشفت بتيهرت، وهناك مباني أخرى لم تكتشف بعد ألا وهي المسجد الجامع والبيبان (الأبواب) الأربعة.

أما أبواب المدينة فعددهم أربعة:

- باب الأندلس المفتوح في الجدار الشمالي
- باب المنازل الموجود بالجدار الجنوبي
- باب الصبـا المفتوح من الجهة الشرقية





ـ باب المطاحن الموجود من الجهة الغربية.

كما عثر جورج مارسـي ودوسوس لامـار على عدد لابأس به من المطامير[1]، وكسر من الفخار[2].

بدأ الرستميون في بناء المسجد الجامع أولا، الذي كان موجودا في أيام الجغرافي البكري وكان يحتوي على أربع بلاطات[3]. وكان الإمام الأول عبد الرحمان بن رستم يصرف فيه أمور الناس والرعية[4]. وبعد ذلك بنى دار الإمارة لما قويت شوكته وعظم أمره وبايعه الناس على الحكم والرئاسة[5].

---

(1) المطمورة: مكان تحت الأرض قد هيء ليطمر فيه البر والشعير والفول ونحوهم، وجمع مطامير. أنظر: المعجم الوسيط، ج2، ص586.

(2) رشيد بورويبة: الفن الرستمي، الأصالة، ع: 41، من ص180 إلى ص186.

(3) البكري: المغرب، ص66.

(4) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص85.

(5)ـ الشماخي: السير، ص145.



وكانت مدينة تيهرت[1] عامرة بالناس مقسمة إلى أحياء، اختصت كل قبيلة من قبائلها بحي باسمها مثلما جرت العادة في المدن الإسلامية عامة. أصبح للقرويين رحبتهم ومسجد خاص بهم، وللكوفيين والبصريين مثلهم[2]. وقبيلة نفوسة أقامت في (العدوة)[3]

---

(1) كان تصميم مدينة تيهرت على شكل مستطيل تتقاطع شوارعه وأحياءه في زوايا مستقيمة. اختيار تجديدي وقد نقل الرستميون هذه الأسس مباشرة من الغرب إلى الشرق، حيث اتخذت نماذج للمدن التي بنيت على الأرض المغرب الأوسط في أوائل العهد الإسلامي. أنظر: لبزيك دابروفسكي: تاهرت، ملاحظات حول تطور فن العمران الإسلامي بالمغرب الأوسط (القرن السابع / الحادي)، محاضرات ومناقشات، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي ورجلان، 1397هـ / 1977م، مج4، ص300

(2)ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص36. عبد الله الباروني: المرجع السابق، ج2، ص88.

(3) العدوة: ربما المقصود بها الظاهر المشرف على المدينة. أنظر: جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص351.



درب[1] باسمهم[2]، وكان للعجم حي خاص بهم مجاور للنفوسيين، وللعرب مثلهم مجاور لمدينة الجند[3].

وإلى جانب ذلك وجود كنيسة في أعلى مدينة تيهرت للمسيحيين يقومون بها طقوسهم الدينية[4]. ولليهود حي يدعى الردهانة[5]. ولقبيلة هوارة قرب المدينة قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأعناب[6].

بنى الرستميون جميع المؤسسات التي تتطلبها الدولة، من

(1) الدرب: معروف. قالوا الدرب: باب السكة الواسع، وفي التهذيب: الواسعة وهو أيضا الباب الأكبر. والمعنى واحد، والجمع دراب. أنظر: ابن منظور: لسان العرب، مج1، ص374.

(2) جودت: المرجع السابق، ص352.

(3) المرجع نفسه، ص351.

(4) عبد الله الباروني : الأزهار، ج2، ص230.

(5) بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية، ص ص373/ 241.

(6) صاحب الإستبصار في عجائب الأمصار، ص179.





أجل تسير شؤونها من دار الإمامة ودار القضاء، ووجود دارين دار الزكاة ودار بيت مال المسلمين، ودار الضيافة، وأماكن استشفائية لعلاج المرضى ، إلى جانب ذلك وجود مكتبة غنية بالكتب والمجلدات بلغ عددها (00 000 3 كتاب) في مختلف العلوم وتسمى بالمعصومة[1].

ووجود المجالس العلمية للمناظرات كالتي كانت تقام بين علماء الإباضية والمعتزلة، كما أسست مدارس لتعليم القرآن الكريم والعلم والفقه تسمى بالمنازل في العاصمة تيهرت، والمدن الرستمية الأخرى[2].

كما شيدوا القلاع والحصون المحيطة بتيهرت مثل: أسكدال وتاسلونت، وحصن لواتة. وعدة أسواق عامرة بالدكاكين[3] والسلع.

---

(1) موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، الأصالة ع: 41، من ص51 إلى ص59. محمد الطمار: الروابط الثقافيَّة بين الجزائر والخارج، ص94.

(2) بحاز إبراهيم: المرجع السابق، ص278.

(3) جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص32.



وبالمدينة مياه متدفقة وعيون جارية تدخل ديارهم ويتصرفون بها، ولهم على هذه المياه بساتيـن وأشجار تحمل ضروبا من الفواكه الحسنة، وبأرضها مزارع خصبة وضياع[1].

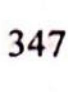
واشتهرت إلى جانب تيهرت مدن رستمية أخرى آهلة بالسكان، بلغت إزدهارا كبيرا في الحضارة والعمران والبناء، حيث شيدت بها الأسواق والمرافق والبساتين والحمامات، والثغور والقلاع والقصور. واستقرت بها جاليات وعناصر من مختلف العالم الاسلامي، من أهم هذه المدن مدينتي تنس ووهران الساحليتين، ومدينة الخضراء وأوكان وزلاغ وغيرها[2]. وأصبحت المدن الرستمية عامرة مزدهرة تضاهي المدن الإسلامية الأخرى بالمغرب والمشرق.

=إسماعيل محمود: الخوارج في المغرب الإسلامي، ص209.

(1) الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص60.

(2) عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، من ص45 إلى ص60. رابح بونار: المغرب العربي، ص43.





-القصور:

يعتبر بناء القصور ظاهرة حية وفريدة من نوعها ودليل على المستوى الاجتماعي الراقي ، وعلى المستوى الحضاري العالي الذي بلغه المجتمع الرستمي في المغرب الأوسط، ففي إمامة أفلح بن عبد الوهاب (240-190هـ / 854-805م)، (تنافس الناس في البنيان حتى ابتنى الناس القصور)[1]. وكان لرجلين أبان وحمويه قصرين معروفين لهما بأملاق. وابتنى رجل رستمي اسمه عبد الواحد قصرا كبيرا[2].

ولاحظ المؤرخ ابن الصغير بنفسه اتساع ظاهرة القصور والتفنن في بناءها في العاصمة تيهرت[3]، حتى أن الإمام أبا بكر بن أفلح (240ـ 241هـ / 854ـ 855م) شيد قصرا صخما بتيهرت. ولأبي اليقظان (241ـ 281هـ / 855ـ 894م) قصر كبير في منطقة تاسلونت، وكان لأبي حاتم (281ـ 294هـ / 894ـ 906م) قصر بنهر مينة. ولكبار الشخصيات

(1) عبد الله الباروني : المرجع السابق، ج2، ص182.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص181.

(3) ابن الصغير: أخبار الأئمة، ص38.



في المجتمع الرستمي قصورهم، فصهر الإمام أبي بكر محمد بن عرفة القيرواني قصر محاط بالبساتين والأشجار. ولمحمَّد بن حماد الإباضي بيت كبير على بعض أميال من العاصمة تيهرت، يقال له المثلث محاط بالمزارع والأشجار والأنهار والنخيل[1].

عرفت تيهرت بالمنتـزهات والحدائـق والبساتين في العصر الرستمـي، وهي ظاهرة توحي عن سمو في الذوق ورقة في الشعور، ويبدو أن ظهورها في العاصمة تيهرت رافق تطورها الحضاري والعمراني والاجتماعـي والاقتصادي.

وكانت المنتزهـات صورة عن حيـاة الترف والبذخ والرفاهية التي بدأت تدب في المدينة، فذكر ابن الصغير أن أبان وحمويه السالف ذكرهما (خرجا إلى قصورهما متنزهين)[2] مما يوحي لنا أن كل قصر كبير من قصور المجتمع الرستمي له حديقة أو بستان يزينه أو يحيط به.

[1]- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص385.

[2]- عبد الله الباروني: الأزهار، ج2، ص182.





وكان لإمـام أبي بكر بن أفلـح منتزه خاص به يعرف في ذلك الزمان بـ (جنان الأمير)[1] يخرج إليه رفقة صهره محمد بن عرفة القيرواني لتنزه والترفيه عن أنفسهما[2].

جاء في بعض المصادر التاريخية أن سكان الدولة الرستمية، وخاصة الفئة الغنية منها كانت تقطن الدور الواسعـة والضياع الكبيرة والفسيحة، ولكل دار منها طابقان أو أكثر وعندما يكبر أبناء الأسرة يلجأون إلى شراء دار أخرى أو بنائها[3].

تحتوي مساكن أهل الحضر أو المدن الرستمية على حمامات[4]، وتعتبر هذه الأخيرة حمامات عائلية خاصة بأفراد الأسرة، وكذلك وجود حمامات عامة داخل أحياء المدينة يخصص لها وقت محدد

---

(1)- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص77.

(2)- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص334.

(3) محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص554.

(4) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص68.



للرجال[1]، وذكر البكري (أن تاهرت وحدها بلغ عدد حماماتها العامة اثنى عشر حماما)[2] .

ولم تشر المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ الدولة الإباضية الرستمية، إلى وجود مرافق اجتماعية أخرى كالمجالس الترفيهية والملاهي في المجتمع الرستمي.

وأخيرا يمكن القول أن الدولة الرستمية نجحت نجاحا بعيدا، فاتسع نطاقها وعمرت مدنها وأمنت طرقها، وتحولت من واحات صغيرة إلى مدن شاسعة، ومراكز تجارية عامرة بالتجار وأصحاب الأموال والأسواق مثل العاصمة تيهرت ومدينة شروس في جبل نفوسة، ومدينة جادو وقرية أجنادين وجزيرة جربة وواحة وارجلان، وأصبحت هذه المدن بفضل عناصر سكانها من أعظم المراكز الحضارية والعمرانية في المغرب الإسلامي.

---

(1) دبوز: المرجع السابق، ج3، ص554.

(2) البكري: المصدر السابق، ص68.





RESUME

L'état rustumide (777-909) est le premier état indépendant dans le moyen Maghreb (Algérie) qui a été établi par abdel rahman ben rustum sur des bases et principes de la doctrine IBADHITES. Cet état à été gouverné à son époque par huit imams ou gouverneurs le premier imam est ABDEL RAHMAN BEN RuSTuM (777-787) puis son fils abdel wahab ben ABDEL RAHMAN (787-805) a pris l'imamat elle à été prise par AFLAH BEN abdel wahab (805-854) puis son fils ABOU BAKER BEN AFLAH (854-855) puis elle été confiée à son frère ABU EL YAKDHAN BEN AFLAH (855-894) et en fin EL YAKDHAN BEN ABU EL YAKDHAN (894-909).

C'est avec ce dernier imam que l'état rustumide a été démoli par les mains de ABU ABDELALLAH EL FATIMI en l'an 909. Dans l'état rustumide et de point de vue social divers gens ont vécu dans ce vaste état les Arabes berbères africains perses andalous



des soudanais et même des juifs et des chrétiens selon l'historien et géographe EL YAQUOBI:

«Tihert est l'Irak du Maghreb ou existent différents gens». Ces gens ont vécu cote à cote et ensemble dans différentes couches sociales qui se dépasse dans leur survie et coutumes chacune à ses propres méthodes de vivre et propriétés. Comme nous connaissons tous que dans chaque société existent des déviations soit des délinquances sociales (malice) ou disciplinaires (moralités) l'état rustumide à subi ces déviations ou on voit clairement le vole les relations sexuelles illégales (adultères) les boissons alcooliques (vin) ...etc tout ça est apparu dans la société rustumide due à la pauvreté la mal-éducation ...etc.

L'état rustumide à une vie sociale plus riche par exemple la polyvalence d'habitat nous remarquons la tente (khaima) des bédouins kabyles berbères par contre nous trouvons les agglomérations (rurales) nous citons AjNAdine afkan et JADEAU où en voie clairement la transition de la vie bédouine a la vie citadine.

Parmi les phénomènes de sociabilité la variance de





l'habillement rustumide du style berbère au sahraoui puis perses juif et chrétien. Et parmi les variances qu'a connu l'état la gastronomie suivant les villes et la vie bédouine.

Cette étude de l'histoire entre dans le cadre de la préparation d'une thèse de Magistère concernant la vie sociale de l'état rustumide et j'espère qu'elle soit plus enrichie par d'autres études.



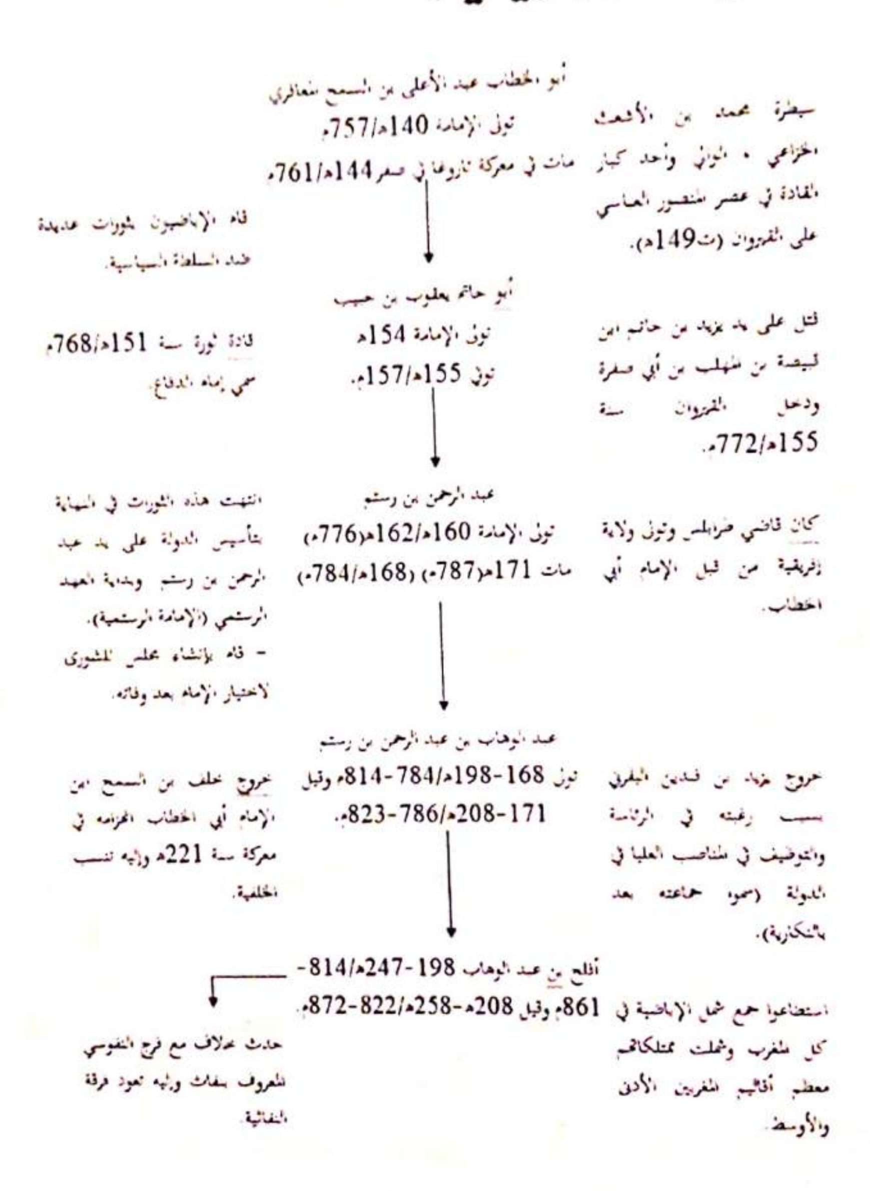




ملاحق الكتاب

الملحق (01)

الإباضية في شمال إفريقية[1]



(1) ناصر المرشد البريك: الإباضية في الفكر السياسي الإسلامي، وأثرها في قيام الدولة، الإجتهاد، العدد: 13، بيروت لبنان، 1412هـ ـ 1991م، ص 136ـ 137.



أفلح بن عبد الوهاب

أبو اليقظان | أبو بكر | يعقوب

أبو بكر: 247-260هـ/861-873م.

تولية محمد بن عرفة أمور البلاد والحكم.

أبو اليقظان محمد بن أفلح 260-281هـ/873-894م.

خروج عمه يعقوب عليه ومبايعة بعض سكان تاهرت له بالإمامة. دامت الحروب بينهم أربع سنوات انتهت بانتصار أبي حاتم ورجوع عمه إلى زواغة (مكث في الحكم أربعة أعوام).

أبو حاتم يوسف بن محمد تولى الحكم 281-294هـ 894-907م. دخل تاهرت في سنة 286هـ.

انتهى حكمه نتيجة نضاله مع الأغالبة وهزيمته في معركة مانو سنة 283هـ-897م وأدى إلى سقوط هيبة الإمام ورغبة بعض أقاربه في الإمامة فتآمر عليه أخيه من أبيه وقتله سنة294هـ.

اليقظان بن محمد بن أبي اليقظان 294-296هـ/907-909م.

اتسم عهده بالقلاقل والفتن.

دب الانقسام الداخلي لاتهامه بقتل أخيه وعمت الاضطرابات نتيجة لقرب خطر الإسماعيلية (الفاطميين).

يعقوب بن أفلح

آخر أئمة الدولة الرستمية ذهب إلى وارجلان بعد سقوط تاهرت على يد أبي عبد الله الشيعي سنة296هـ-909م.





الملحق رقم : (02)

أسماء الولاة في عهد الدولة الرستمية.

- في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم (171ـ 190هـ / 787 ـ 805م):

- ولاية مدرار بن اليسع الزناتي، على جبل دمر.

- ولاية السمح بن أبي عبد الأعلى المعافري، على جبل نفوسة وعزله من طرف الإمام.

- ولاية أبي الحسن أيوب بن العباس، على جبل نفوسة.

- ولاية أبي عبيدة عبد الحميد الجناوي، على جبل نفوسة.

- ولاية وكيل بن دارج النفوسي، على مدينة قفصة.

- ولاية أبي جمال المدوني على وارجلان وأريغ.





- ولاية سلامة بن عمرو الواتي، على مدينة سرت.

- ولاية زرقون بن عمير على قسطالية.

- ولاية محمد بن إسحاق الخزري، على مدينة نفزاوة.

- ولاية سعد أبي يونس وسيم النفوسي التمزيني، على قنطرارة.

- ولاية سلمة بن قطفان الزواغي، على مديني قابس وجربة.

- ولاية جارون بن القمري الزناتي، على غدامس.

- ولاية مهدي بن عاصم الزناتي، على زويلة.

- ولاية بيران اليزمرتني المزاتي، على توزر.

- لم تذكر المصادر التاريخية ولاية ومزور بن عمران الهواري، ومدمان الهرطلي.





*** في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب (190ـ 240هـ / 805ـ 854م):**

ـ ولاية أبي عبيدة عبد الحميد الجناوي، على جبل نفوسة.

ـ ولاية العباس بن أيوب، على جبل نفوسة.

ـ ولاية سعد أبي وسيم النفوسي، على مدينة قنطرارة.

ـ ولاية ميال بن يوسف، مدينة نفزاوة.

ـ ولاية أبي ذر أبان بن وسيم، على جبل نفوسة.

*** في عهد الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح (141ـ 281هـ/ 855ـ 894م):**

---

(1) عبد الله الباروني النفوسي: كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ج2، مطبعة الأزهار البارونية، مصر، ص: 137. 147. 148. 152. 164. 165. 174. 219. 245. 251. 280.





ـ ولاية أفلح بن العباس، على جبل نفوسة وعزله الإمام.

ـ ولاية أبي منصور إلياس النفوسي، على جبل نفوسة.

ـ ولاية أفلح بن العباس، على جبل نفوسة.

ـ ولاية سعد بن يونس، على قنطرارة.




الملحق رقم «03».

أسس المذهب الإباضي[1].

بسم الله الرحمن الرحيم .

صلى الله على نبينا محمّد وعلى آله وسلم تسليما .

هذه شريعة الإسلام رسالة كتبها عبد الوهاب بن عبد الرحمان إمام تاهرت إلى أهل اطرابلس.

أما بعد :

فإن شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمّدا عبده ورسوله. والإقرار بما أنزل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء

(1) لواب بن سلام الإباضي: الإسلام وتاريخه من وجهة نظر الإباضية، تحقيق ز.ق. شقارتز، وسالم بن يعقوب، ط1، دار إقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت لبنان، 1405هـ ـ 1985م، ص107.



الزكاة، وصيام رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا، وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وماملكت اليمين . وغض البصر وحفظ الفرج وستر ما أمر الله به أيستر، والإستئذان على أهل البيوت. والنكاح بالرضاء والفريضة بإذن الوالي والشهود ذوي عدل. واتقاء المحيض والغسل من الجنابة. وذكر إسم الله عند الذبيحة وأداء الأمانة إلى جميع الناس، البار منهم والفاجر. والحكم بين الناس بالعدل والتعاون على البر والتقوى، والنهي عن الفحشاء والمنكر والإثم والعدوان. والتوبة من الذنوب والشهادة لأهل الهدى بهداهم، وولايتهم عليه. والشهادة على أهل الضلالة بضلالتهم والبراءة منهم. فمن أقر للمسلمين بهذا وجبت ولايته ومودته، والإستغفار له ووجب حقه مالم يحدث حدثا يخرجه من ولاية المسلمين.





الملحق رقم (04)

الإمام والقاضي والمفتي[1].

«... فمن تقبل بهذه الشرائع من إمام قد اختاره المسلمون، وبايعوه على إقامة دين الله ترجى له كرامة الله، فطاعته واجبة على رعيته. إذا كانت إمامته، إمامة دفاع يقهر أهل الباطل، من يرجعوا عن ضلالتهم ويختفوا بباطلهم، لأنه جاء في الأثر عن خيار من مضى أنه ليس للمسلمين أن يثوروا، وإن كانوا في عدد وقوة حتى يعقدوا لإمام يقوم بهم الموثوق به في صلاحه وورعه وعفافه وفقهه وفهمه وعقله، وعلمه بالكتاب والسنة فيما يحكم ويقسم بينهم. ويحلوا ويحرموا، فإن لم يفعلوا فحرام البسط على أهل خلافهم بغير إمام يدعم أمرهم، ويدفعون به عن أنفسهم.

---

(1) لواب بن سلام الإباضي: الإسلام وتاريخه من وجهة نظر الإباضية، ص 113_114.





وكذلك القاضي والمفتي لا ينبغي أن يستعمل على القضاء، إلا الموثوق به في مثل صفة الإمام في صلاحه وورعه وفقهه وفهمه وعقله، وعمله بالكتاب والسنة والآثار ووجه الفقه، الذي يؤخذ منه القياس والرأي والقضاء. فإنه لا يستقم أن يكون صاحب رأي ليس له علم بالسنة والآثار والأحاديث. وكذلك الفتيا لا ينبغي إلا لمن كان هكذا لأنه يقال: حرام على الجاهل أن يلي أمور الناس. وحرام الناس أن يولوا جاهلا، وقد سخر الناس إلا أن بخبر الرجل بشتى سمعه فقط.

لا ينبغي للقاضي أو للمفتي أن يقضي أو يفتي، حتى تكون فيه خمس خصال. فإن نقضت واحد منهن، كانت وصمة فيه: أن يكون عالما بما مضى من الكتاب والسنة. أضف عن أربع يعني ألا يرتشي، حليم عن الخصم يعني يتحلم عن الخصمين، وإن تصاخبا وتشاجرا بين يديه. مستحفا بالأئمة يعني ألا تأخذه في الحق لومة لائم، مشاورا لذوي الرأي والعقل والعلم.

وإذا كان القاضي أو المفتي كما وصفت لك، فهو أهل أن يكون قاضيا كائنا من كان ».





الملحق رقم (05)

النصيحة العامة من الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلى كل من كانت تحت لوائه من المسلمين[1].

بسم الله الرحمن الرحيم.

وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم .

من أفلح بن عبد الوهّاب إلى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين.

أما بعد :

فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وأكرمنا بمحمَّد عليه السلام. وأبقانا بعد تناسخ الأمم، حتى أخرجنا في الأمة المكرمة التي جعلها أمة وسطا شاهدة لنبيئها بالتبليغ ومصدقة لجميع الأنبياء، وشاهدة

---

(1) عبد الله الباروني النفوسي : كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ج2، ص ص 214ـ 218





على جميع الأمم بالبلاغ من النبياء عليهم السلام إليهم منا من الله ورحمة. أرسل إلينا نبيئه محمّد ﷺ بالهدى، ووعده بالنصر على الأعداء. وضمن له الفلج والغلبة، ووعده بالعصمة وقال له ﷻ: ﴿ يَآأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَالله يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾، فأدى عليه السلام ما أمره به، ونصح لأمته ودعا إلى سبيل ربه وجاهد عدوه وغلظ على الكفار، لأن للمؤمنين فكان لهم كما وصفه الله ﷻ رؤوفا رحيما حتى انقضت مدته وفنيت أيامه واختار له ربه ما عنده، فقبضه محمود السعي مشكور العمل ﷺ. فلم تبق خصلة من خصال الخير الدالة، على الرشد الداعية إلى النجاة إلا دعا إليها وسنها أو فرضها وأوجبها. ولم تبق خصلة من خصال الشر الداعية إلى الهلكة، إلا زجر عنها وأمر بإجتنابها رحمة من الله لعباده. فله الحمد على ذلك كثيرا، ثم أمر تعالى بالجهاد في سبيله والقيام بحقه، والأخذ بأمره والإنتهاء عما نهى عنه، وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإغاثة الملهوف والقيام مع المظلوم، والقمع للظالمين لكي لا تقوم للشيطان دعوة، ولا تثبت لأهل حزبه





قدم، ولا ينفذ لهم حكم. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عماد الدين، واعزازه وهو الجهاد وتأدية الحقوق الواجبة لله تعالى فعليكم معشر المسلمين بتقوى الله العظيم والقيام له بحقه فيما وافق هواكم أو خالفه. وتقربوا الى الله بالقيام بطاعته وطلب مرضاته لتنالوا بذلك ما وعد به من جزيل الثواب وكرم المآب.وعليكم بتقوى الله واتباع آثار سلفكم فقد سنوا لكم الهدى وأوضحوا لكم طريق الحق وحملوكم على المنهاج ففي اتباعهم النجاة وفي خلافهم تخشى الهلكة فاتبعوا ولاتبتدعوا واجتهدوا في إدراك ما أدركوه. واياكم والبدع فإن البدع هلكة وسوء طريقة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار. فمن ترك آثار سلفكم الصالحين واتبع غير سبيلهم فقد أحل بنفسه الهلكة ووجب عليكم القيام عليه والبراءة منه وخلعه مما هو عليه، حتى لا يجد عندكم هوادة ولا ادهانا، وحتى لا تقوم لظالم حجة ولا تطاع له مقالة، فإنكم من لم يجد ظالم فيكم، ولا عندكم مقاما وعززتم وعز دينكم. وكان لكم ذلك عند الله فوزا عظيما، واعلموا أن الله قد أوجب عليكم أن تقوموا بالعدل في عباده وبلاده لا تأخذكم في الله لومة لائم،





فليس لأحدكم منكم عذر ولاحجة يحتج بها على الله. فقد أوضح لكم المنهاج وأنار لكم طريقة الحق، وجعل لكل زمان رجالا تسند إليهم الأمور ويأمرون فيطاع أمرهم، ويدعون فيجاب نداؤهم وأنتم رجال زمانكم، والكبراء من أهل موضعكم فأعرضوا أعمالكم من تقدم قبلكم من سلفكم، وأهل الزمان الأول من أوائكم فإن كانت أعمالكم موافقة لأعمالهم فلله على ذلك محمود وعليكم الثبوت والازدياد من كل خير. وإن كانت أعمالكم قد قصرت عن أعمالكم وحطمكم الذنوب عن البلوغ إلى دراجاتهم فأحسنوا محاسبة أنفسكم، وانتبهوا من نومة الغفلة وخذوا لأنفسكم من أنفسكم، وأنتم سالمون من قبل أن تؤخذوا ويؤخذ منكم بالكظم وتصيروا إلى حالة لا يسغيث فيها مستغيث ولا تقبل من نفس فدية. فاتقوا الله حق تقاته، وتوصوا بالبر والتقوى ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، الذي قد نهيتم عنه، ﴿ وَسَارعوا إِلَىَ مَغْفرةٍ مّن رَّبكُم وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلمُتقِينَ ﴾ فإنكم لن تسارعوا عليها بالأماني والتوكل، وإنما سارعون إليها بالعمل الصالح والمسارعة إلى مرضاة ربكم ولن تنالوا ذلك إلا





بعون من الله وتوفيقه .

ثم احذروا أهل البدع الذين لم يعرفوا حقا، فيتبعوه ولن يلقوا أهل العلم فيقتبسوا منهم الدين. عاشوا مع أهل الجهل فخلابهم الشيطان، ونفخ في قلوبهم الكبر وأورثهم العجب فاستحيوا أن يقولوا فيما لا يعلمون لا نعلم، فافتوا برأيهم اقواما جهلة. لا يعرفون ما يقال لهم قلدوهم دينهم، والزموا انفسهم الرأي، فاتبعوهم على بدعتهم فضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، فويلهم ماذا سوغت لهم أنفسهم وما الذي ظنوه وأملوه، إذا تركوا آثار من مضى من السلف الصالح. هل يخافون الهلكة في اتباع آثارهم؟ أو يرجون النجاة في خلاف سبيلهم كلا ولكنهم اتبعوا أهواءهم بغير حق فألزمهم فتنة الجهل. وانتفخت صدورهم من نفخة الكبر لم يحاسبوا أنفسهم فينكشف لهم خطأهم، فاحذروا معشر المسلمين من كانت هذه صفته ومن حل بهذه المنزلة ورضيها لنفسه. واعلموا ان من كان كهذا فقد صار من حزب الشيطان، وأوليائه لن الشيطان لم يضل، ولم يهلك إلا من باب الكب. أمره الله أن يسجد لآدم عليه السلام، فتكبر عليه وقال: أنا خير منه خلقتني من نار،





وخلقته من طين فويله ماذا عليه من آدم إذ خلقه الله من طين. لو سجد له كما أمره الله تعظيما لله لا لآدم، وطاعة لله لا لآدم. وإن كان آدم من طين فهو، إنما يطيع الله لا آدم لكنه تكبر فهلك، وعاند فكفر وغوى فضل وأصر فأهلك نفسه، ولم يضر ذلك آدم. فهكذا أهواء المبتدعون الرغبون عن آثار سلفكم، واتباع منها حكم والسلوك على طريقتكم لم يضروا إلا أنفسهم، ولم يحبطوا إلاعلى ظهورهم ولم تنقصوا إلا حظهم ولم يذهبوا إلا نصيبهم، فأما أنتم فعلى بصيرتكم ان تجنبتم طريقة المبتدعين وخالفتم سنة سنة الظالمين، ﴿ اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِه وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنتُم مُّسلِمُونَ وَاعتصِمُوا بِحبْلِ اللهِ جَمِيعا، وَلاتَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ ﴾ واحسانه إليكم وارغبوا إليه في التوفيق والعصمة. واحذروا ما حذركم منه، من أليم عقابه وارغبوا فيه من جزيل ثوابه، واذكروا ما نهاكم عنه وما وصفه لكم عن المبتدعين قبلكم، ومن أضل من الناس فيما مضى قال ﷻ من قائل: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالذِيـنَ تَفَرَّقُـوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ لعمري ما تفرقوا واختلفوا إلا ببدعة ابتدعوها وضلالـة أحدثوها،





وفتنــة رماهم الشيطان بها، فنفخ في قلوبهم الكبر وأورثهم العجب فحملهم على ترك المنهاج، الذي مضى عليه صالح من سلفهم وزين لهم بدعتهم وصيرهم بعد الهدى ضلالا، وبعد الإيمان كفارا، فقال ﷻ فيهم: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، فسماهم كفارا بعد الإيمان بما أحدثوه وابتدعوه إذ تركوا ما شرع لهم من الدين، وقال عز من قائل: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴾، فمدحهم إذ ثبتوا على دينه واتبعوا أمره وسلكوا على منهاج أوائلهم. فعليكم معشر المسلمين باتباع الآثار والعمل بما عمل به أسلافكم المتقدمون قبلكم فقد سنوا لكم الهدى. ففي اتباعهم كل رشد وفي مخالفتهم كل غي. والرشد خير من الغــي والهــدى خير من الضلالــة، والجنة خير من النار ولن يستوي عند الله من بطاعته وأمره ومن عمل بمعاصيه وراكب سخطه، ألم تسمعوه يقول :﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَوآءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾. هذا وقد بالغت إليكم في النصيحة، وشرحت لكم الموعظة، ورضيت





لكم بما رضيت به لنفسي ونهيتكم عما انهي عنه نفسي. نصيحة لله واجتهاد في طلب رضائه والله أسأل أن يوفقنا وإياكم لطاعته، والقيام بحقه وبرحمته أنه قدير والسلام عليكم ورحمة الله.





الخرائط

أهم قبائل فرع البرانس

1 – خريطة : اهم قبائل فرع البرانس

خريطة عرقية تبين مواقع المجموعات البربرية الرئيسية.

بلاد المغرب في القرن السابع الميلادي

- مجموعة لوى أو الشرق (لواتة - هوارة وأوريغة - نفوسة - نفزاوة)
- مجموعة زناتة أو الوسط (يفرن - جراوة - مغراوة - دمّر - واسين - ورقلة - واغمرت - وُمّانو ويلّومي - برنيان)
- مجموعة صنهاجة أو الغرب (كتامة - زواوة - صنهاجة - عجيسة - بنو فاتن - غمارة - ور سطيف وزناقة - برغواطة - مصمودة قرزلة - لمطة - صنهاجة الملثمون)

- محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، ص 314.
الحبيب الجنحاني: القيروان عبر ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، ص 67.
F. CAUTIER : les siècles obscurs du Maghreb, p 219.






حواضر المغرب الاسلامي
الدولة الأغلبية
الدولة الرستمية
الأدارسة
الامارة الصفرية
جيوب خوارج
ورقلة
سدراتة

الأشكال

السور

أثار قرية الأمير عبد القادر

السكة الحديدية

الطريق التي تؤدي إلى تيارت

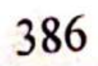
مخزن الماء

القصبة

الشكل رقم 1 : تصميم إفتراضي لمدينة تاهرت عن جورج مارسي ودودوس لامار.







D

C

B

F

E

A

الشكل رقم3 : مخازن الماء (عن جورج مارسي ودودوس لامار).





الرموز المستعملة في الكتاب

ـ الدكتور = د .	ـ إلى آخره = الخ .
ـ الأستاذ = أ	ـ المجلد = مج .
ـ قبل الميلاد = ق م	ـ الجزء = ج .
ـ السنة الميلادية = م	ـ الحلقة = ح .
ـ السنة الهجرية = هـ	ـ العدد = ع .
ـ القرن = ق .	ـ بلا دار النشر = بلا د .
ـ الوفاة = ت .	ـ بلا تاريخ = بلا تا .
ـ الحذف = ...	ـ بدون طبعة = بد ط .
ـ الصفحة = ص .	





الفهارس

فهرس الآيات والأحاديث :

أـ الآيات :



ـ ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذالك لآيات لقوم يتفكرون ﴾.سورة الروم، الآية:21. ص/ 116.

ـ ﴿ وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾. سورة النور الآية32. ص/ 116.

ـ ﴿ وأتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾. سورة النساء، الآية:04. ص/ 118.

ـ ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾. سورة البقرة، الآية:221. ص/ 124.

ـ ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن، وأحصوا العدة ﴾. سورة الطلاق الآية:01. ص/ 121.

ـ ﴿ وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته، وكان الله واسعا حكيما ﴾. سورة النساء، الآية: 130. ص/ 122-121.

ـ ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين



عليهن من جلابيبهن، ذالك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين، وكان الله غفورا رحيما ﴾. سورة الأحزاب، الآية:59. ص/ 126.

- ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفضن فروجهن، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾. سورة النور، الآية:31. ص/ 126.





ب- الأحاديث:

- « النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فقد رغب عني ». رواه البخاري. ص/ 116.

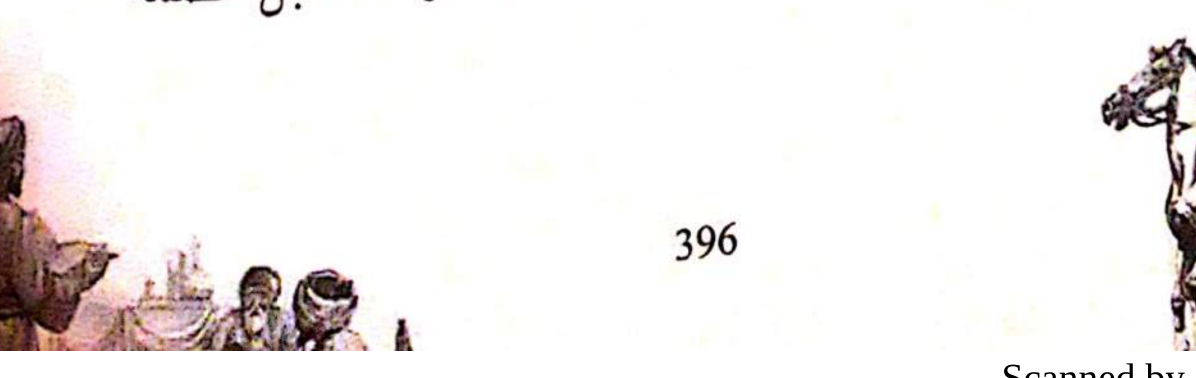
- « أنظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما ». رواه الترمذي. ص/ 117.

- « لاتنكح البكر حتى تستأذن وإذنها صمتها ». رواه البخاري والنسائي. ص/ 117.

- « البكر تستأمر والثيب تشاور، قيل يا رسول الله: البكر تستحي. قال: سكوتها رعاها ». رواه البخاري والنسائي. ص/ 117.

- « أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها، فنكاحها باطل. فإن أصابها فلها مهرها بما أصاب منها، فإن تشاجروا فالسلطان ولي من لا ولي له ». رواه الترمذي والإمام أحمد. ص/ 117.

- « أيما امرأة نكحت على صداق أو حباء أو عدة قبل عصمة



النكاح فهو لها ». رواه الإمام أحمد. ص/ 117.

- « ما استحل به فرج المرأة، من مهر أو عدة، فهو لها ». رواه البيهقي. ص/ 118.

- « أن أحق الشروط، أن يوفى بها ما استحللتم به الفروج ». رواه البيهقي. ص/ 118.

- « لا نكاح إلا بولي مرشد وشاهدي عدل ». رواه البيهقي. ص/ 118.

- « فصل بين الحرام والحلال، الدف والصوت ». رواه البيهقي. ص/ 129.

- « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف ». رواه البيهقي. ص/ 129.

- « ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق ». رواه أبو داود. ص/ 122.





- « أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق ». رواه ابن ماجه . ص/ 122.

- « لا غلط ولا غلب على مسلم في شيء لم يعتمده ». قول ابن عباس. ص/ 123.





فهرس الأعلام

























































فهرس الأجناس والقبائل:

أ ـ الأجنـاس:





















90/ 93/90/ 101/122.

ـ نفزاوة: 40/17/ 58.

ـ سدراتة: 48/50/ 91/78/ 105.

ـ صنهاجة: 38/14.

ـ القيسية العربية: 2.





الأديــان والمذاهب:

أ- الأديــان:

- الإسلام: 45/52 /58/60 /68/72 /117.

- المسيحية أو النصرانية: 45/68.

ب- المذاهب:

- الإباضية: 1/2 /3/4 /9/11 /12/19 /23/25 /28/29 /31/32 /33/45 /47/49 /50/51 /60/61 /69/75 /77/78 /90/91.

- الواصلية: 28/33 /50/100 /133.

- الوهبية أو الوهابية: 27/57.

- الحنفية: 45.







فهرس البلدان والأقاليم :

أ- البلدان والدول :









ب ـ المدن والأقاليم :



























- تترغت: 138.

- خراسان: 6.

- الخضراء: 140.

- غليزان: 18.





جـ-الأنهار والجبال :













ـ فهرس الخرائط والأشكال :

أـ الخرائط:

ب ـ الأشكال البيانية :





قائمة المصادر والمراجع

أـ المصادر:

ـ القرآن الكريم برواية الإمام حفص عن عاصم .

1ـ الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أدريس الحموي الحسني الشريف، ت548هـ) : وصف إفريقيا الشمالية والصحروية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، قد اعتنى بتصحيحه ونشره هنري ببريس، الجزائر 1376هـ- 1957م .

2ـ والقارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق وتقديم وتعليق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983م .

3ـ ابن أبي أصبيعة (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، ت 668هـ) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، 1965م .



4- الإصطخري (أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، المتوفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري) : المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسين ، مراجعة محمد شفيق غربال، دار القلم القاهرة مصر، 1381هـ- 1961م .

5- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسين علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الكرم الشيباني الجزري، 555 - 630هـ) : الكامل في التاريخ الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، 1400هـ- 1980م .

6- البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ت 458هـ) : السنن الكبرى، الطبعة الأولى، دار صادر بيروت لبنان، 1353هـ .

7- البكري (أبوعبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر أبو عبيد، ت487هـ): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء مأخوذ من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد العراق، 1857م .

8- البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر البغدادي،





ت279م) : فتوح البلدان تعليق محمد رعوان مطبعة السعادة القاهرة مصر، 1959م.

9ـ البرادي (أبو القاسم بن إبراهيم، المتوفي حوالي القرن الثامن الهجري، الموافق لرابع عشر الميلادي) : كتاب الجواهر في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات، طبعة حجرية قسنطينة الجزائر، 1302هـ .

10ـ ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود القرطبي، ت578هـ - 1183م) : كتاب الصلة، مراجعة عزت العطار الحسيني، مكتبة المثنى ببغداد العراق 1374هـ - 1955م .

11ـ البغدادي (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، ت429هـ) : الفرق بين الفرق، دار صادر بيروت لبنان، بدون طبعة، بلا تاريخ .

12ـ أبو داود (الإمام الحافظ المصنف المتقن سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي 202 - 275هـ) : سنن، دار الحديث القاهرة مصر، 1408 - 1988م .

13ـ الدبـاغ (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي،





ت605هـ- 697م) : معالم الإيـمان في معرفة أهـل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل القـاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي ت839هـ، تحقيق محمد الأحمري وأبو النور محمد ماحي، مكتبة الخانجي بمصر والمكتبة العتيقة بتونس، 1972م .

14ـ الدرجيني (أبو العباس بن سعيد توفي حوالي سنة 670هـ) : كتاب طبقات المشائخ بالمغرب الإسلامي، حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر، 1394هـ-1974م .

15ـ هود (ابن محكم الهواري، عاش في ظل الدولة الرستمية) : تفسير كتاب الله العزيز، حققه وعلق عليه بالحاج بن سعيد شريطي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1990م.

16ـ الوسياني (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسـان بن عبد الله، المتوفـي في القرن السادس الهجري) : سير مشائخ المغرب، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1985م .





17ـ أبو زكرياء (يحي بن أبي بكر الورجلاني، ت471هـ) : كتاب سير الأئمة وأخبارهم تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائر، 1399هـ-1979م .

18ـ الزركلي (خير الدين) : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من الغرب المستعربين والمستشرقين، الطبعة الثانية مزيدة محلاه بالخطوط والرسوم، مطبعة كوستاتسوماس وشركاه، 1383ه-1954م.

19ـ ابن حجر (العسقلاني الحافظ أبو الفضل شهاب الدين) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، قرأ أصله تصحيحا وتحقيقا وأشرف على مقابلـة نسخة المطبوعات، والمخطوطة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبـه وأبوابـه وأحاديثه محمد فـؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه، وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، دار المعرفة بيروت لبنان، بدون طبعة، بلاتاريخ .

20ـ ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي، ت368هـ): كتاب صورة





الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، بدون طبعة، بلاتاريخ.

21ـ ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي الظاهري، ت 456هـ) : جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بيروت لبنان، 1962م .

22ـ ابن حيان (ابن خلف أبو مروان القرطبي، 469-377هـ) : المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة بيروت لبنان، 1965م .

23ـ الحموي (ياقوت شهاب الدين أبوعبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي، ت 626هـ): معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر بيروت لبنان، 1375ه–1956م.

24ـ ابن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله ابن عبد لله أنس الشيباني البغدادي، (241-164هـ) : المسند، شرحه ووعع فهارسه أحمد محمد شاكر، دار المعارف القاهرة مصر، 1374ه–1955م .





25ـ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، 224- 310هـ / 839- 923م): تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الإستقامة القاهرة مصر، 1358هـ-1939م.

26ـ اليعقوبي (ابن واعح أحمد بن أبي يعقوب، ت284هـ) : صفـة المغـرب مأخوذ من كتاب البلدان، مطبع بريل مدينة ليدن، 1860م .

27ـ الكندي (أبو عمرمحمد بن يوسف المصري) : كتاب الولاة والقضاة، بقلم حسن أحمد محمود، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة مصر، بدون طبعة وبلا تاريخ.

28ـ لواب (ابن سلام بن عمرو اللواتي الإباصي) : الإسلام وتاريخه من وجهة نظر الإباضية، تحقيق ر.ق شقارتز وسالم بن يعقوب، الطبعة الأولى، دار إقرأ بيروت لبنان، 1405هـ-1985م

29ـ ابن ماجه (الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني 207 - 275هـ) : سنن، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوبه وأحاديثه، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة إحياء الكتب العربية، بدون طبعة





وبلا تاريخ .

30ـ المجيلدي (أبو العباس أحمد بن سعيد) : كتاب التيسير أحكام السعير، تقديم وتحقيق موسى لقبال، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981م .

31ـ مؤلف مجهول (القرن السادس الهجري) : الإستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية مصر، 1958م .

32ـ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي المصري، ت711هـ) : لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر بيروت لبنان، بلا تاريخ

33ـ المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين، ت346هـ- 956م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق محب الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان، 1406هـ- 1988م.

34ـ المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البنا



المشهور بالبشاري، ت388هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط بيروت لبنان، 1906م .

35ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن بكر، ت911هـ) : شرح سنن النسائي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، بلا تاريخ .

36ـ السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، ت 1315هـ-1897م) : الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القاهرة مصر، 1305هـ .

37ـ ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن المغربي) : كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982م .

38ـ ابن عبد الحكم (عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم بن حيان أبو القاسم القرشي ت257هـ) : فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الظباع، مكتبة الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت لبنان، 1964م





39ـ عبد الوهاب (بن عبد الرحمان بن رستم الفارسي ت190 – 805م) : كتاب مسائل نفوسة، تحقيق وترتيب إبراهيم محمد طلاي، طبع بالمطبعة العربية غرداية الجزائر، 1991م .

40ـ أبو عمار (عبد الكافي الإباعي ت570هـ) : كتاب الموجز، آراء الخوارج الكلامية تحقيق وتعليق عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1398هـ –1979م

41ـ أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم القيرواني، ت 333هـ – 944م): طبقات علماء إفريقية وتونس، تقديم وتحقيق علي الشابي، نعيم حسين اليافي، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985م.

42ـ ابن العربي (الإمام الحافظ المالكي) : عارعة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، دار الباز للطباعة والنشر، ودار الكتب العلمية بيروت لبنان، بدون طبعة وبلا تاريخ .

43ـ ابن عـذاري (أبو عبد الله محمد المراكشـي، المتوفي في





نهاية القرن السابع الهجري) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج . س .كولان واليفي بروفنصال، دالر الثقافة بيروت لبنان 1948م.

44ـ ابن الصغير المالكي (عاصر الدولة الرستمية في القرن الثالث الهجري) : أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر و إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، 1406هـ- 1986م .

45ـ ابن القوطية (أبو بكـر محمد بن عمرو بن عبد العزيـز بن إبراهيم بن عيسـى ابن مزحيم القرطبي، ت367هـ) : تاريخ إفتتاح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1989م .

46ـ القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علـي بن أحمد الفـزاري، ت821هـ - 1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة والطباعة والنشر القاهرة مصر، بدون طبعة، بلا تاريخ .





47ـ الرقيق (القيروني أبي إسحق إبراهيم بن القاسم، المتوفي بعد سنة 417هـ- 1026م) : تاريخ إفريقية والمغرب، قطعة تبدأ من أوسط القرن الأول إلى أواخر الثاني الهجري، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي، الناشر رفيق السقطي، نهج فرنسا تونس، 1968م .

48ـ الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، ت548هـ): الملل والنحل، صححه وعلق عليه أحمد فهمي، الطبعة الأولى، دار السرور بيروت لبنان، 1368هـ – 1948م

49ـ الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، ت928هـ) : كتاب السير، طبعة حجرية قسنطينة الجزائر، 1301هـ .

50ـ ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي، ت874هـ – 1469م): النجوم الزاهرة في ملوك القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع إستدراكات، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بدون طبعة وبلا تاريخ.

51ـ الثميني (عياء الدين عبد العزّيز ت1223هـ) : شرح كتاب



النيل وشفاء العليل، محمد بن يوسف أطفيش، الطبعة الثانية، دار الفتح بيروت لبنان، 1392هـ - 1972م.

52ـ الثعالبي عبد العزيز : تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق أحمد ميلاد ومحمد أدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1401هـ - 1990م .

53ـ ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن بكر، ت808هـ - 1406م) : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار اللبناني للطباعة والنشر بيروت لبنان، 1968م .

54ـ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر الشافعي ت681هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، 1971م .

55ـ ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد





السلماني، ت 776هـ - 1374م) : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر وتوزيع دار الكتاب الدار البيضاء المغرب الأقصى، 1964م .

56ـ الضبي (أحمد بن يحي بن أحمد، ت599هـ) : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، المكتبة الأندلسية، 1967م .





ب ـ المراجع :

57ـ آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد الهادي أبو ريدة، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1405هـ - 1986م.

58ـ أحمد أمين : فجر الإسلام، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1994م

59 ـ ضحى الإسلام، الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة الإسلامية القاهرة مصر 1958م .

60ـ أيوب إبراهيم رزق الله : التاريخ العباسي والحضاري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العالمي، 1989م .

61ـ ألفرد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عن الفرنسية عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1981م .





62ـ أندري برنيان وأندري ايف لاكوست : الجزائر بين الماعي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984م .

63ـ أعوشت بكير سعيد : وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، دينيا، تاريخيا، اجتماعيا، المطبعة العربية غرداية الجزائر، 1991م .

64ـ ميزاب يتكلم تاريخيا، عقائديا، اجتماعيا، المطبعة العربية غرداية الجزائر، 1993م .

65ـ قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش (1236 – 1332هـ / 1820 – 1914م)، حياته وآثاره الفكرية وجهاده، المطبعة العربية غرداية الجزائر، 1989م .

66ـ رجال خالدون في ذاكرة الإسلام، المطبعة العربية غرداية الجزائر، 1994م .

67ـ باجية صالح : الإباعية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، الطبعة الأولى، دار بوسلامة للبطاعة والنشر والتوزيع تونس، 1396هـ–





1976م .

68ـ الباروني (أبو الربيع سليمان) : مختصر تاريخ الإباعية، الطبعة الثانية، تونس 1938م.

69ـ الباروني سليمان بن الشيخ عبد الله النفوسي : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية مطبعة الأزهار البارونية مصر، بدون طبعة و بلا تاريخ .

70ـ الباروني عبد الله بن يحي النفوسي : رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، مطبعة النجاح القاهرة مصر، 1324هـ .

71ـ بونار رابح : المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981م .

72ـ بوعياد محمد : جوانب من الحياة في المغرب الأوسـط في القرن التاسـع الهجري (15م) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982م .





73ـ بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، الطبعة الأولى، المطبوعات الوطنية الجزائرية 1965م .

74ـ بورويبة رشيد : الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977م .

75ـ بورويبة رشيد وموسى لقبال وعبد الحميد حاجيات، عطاء الله دهينة ومحمد بلقرد : الجزائر في التاريخ من الفتح الإسلامي إلى بداية العهد العثماني، العهد الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م .

76ـ بحاز إبراهيم بكير : الدولة الرستمية (160- 296هـ / 777 - 909م)، دراسة في الأوعاع الاقتصادية والحياة الفكرية، الطبعة الثانية، طبعة مزيدة ومنقحة، نشر جمعية التراث غرداية الجزائر، 1414هـ - 1993م .

77ـ عبد الرحمان بن رستم (160- 171هـ / 777 - 788م)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1990م .





78ـ بن بكير يوسف سعيد : تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين، دارسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية غرداية الجزائر، 1992م .

79ـ بن حسن محمد : القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح للنشر والتوزيع تونس، 1986م .

80ـ بن يوسف سليمان بن داود : حلقـات من تاريخ المغـرب الإسلامـي، مطبعة أبي داود الجزائر، 1993م .

81ـ ثورة أبي يزيد جهاد لإعلاء كلمة الله، الطبعة الأولى، دار البعث قسنطينة الجزائر، 1402هـ - 1981م .

82ـ بنعبد الله عبد العزيز : مظاهر الحياة المغربية، الطبعة الأولى، سلمى للتأليف والنشر والتوزيع الدار البيضاء المغرب، 1957م .

83ـ بن عميرة محمد : دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م .





84ـ الجابري محمد صالح: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900- 1962م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983م .

85ـ جودت عبد الكريم يوسف : الأوعاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9- 10م)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1992م .

86ـ العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م .

87ـ الجيلالي عبد الرحمان بن محمد : تاريخ الجزائر العام، الطبعة الثانية، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، 1384هـ - 1965م .

88ـ الجنحاني الحبيب : دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الطبعة بيروت لبنان، 1980م .





89ـ المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3 – 4هـ / 9– 10م)، الدار التونسية للنشر، تونس 1977م .

90ـ القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة في المغرب العربي، الطبعة الأولى، الدار التونسية 1968م .

91ـ جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان بدون طبعة وبلا تاريخ .

92ـ دبوز محمد علي : تاريخ المغرب الكبير، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، 1383هـ – 1963م .

93ـ دحو العربي : الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الأغلبية والرستمية والإدريسية (30– 230هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1994م .

94ـ هوبكنز ج.ف.ب : النظم الإسلامية في المغرب في العصور الوسطى، نقله عن الانجليزية أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب ليبيا وتونس، 1980م .





95ـ هويدي يحي : تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، في الشمال الإفريقي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر، 1965م .

96ـ الزاوي طاهر أحمد : تاريخ الفتح العربي في ليبيا، الطبعة الثانية، دار المعارف القاهرة مصر، 1963م .

97ـ زامباور المستشرق: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود وإسماعيل كاشف، حافظ أحمد حمدي وأحمد ممدوح حمدي، دار الرائد العربي بيروت لبنان، 1400هـ – 1980م .

98ـ أبو زهرة محمد أحمد : محاضرات في عقد الزواج وآثاره، دار الفكر العربي القاهرة مصر 1971م .

99ـ المذهب الإسلامية في السياسة والعقائد، وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي القاهرة مصر، بدون طبعة وبلا تاريخ .

100ـ زغلول سعد عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب دار المعارف القاهرة مصر، 1384هـ – 1964م .



101ـ حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية، الطبعة الرابعة، القاهرة مصر، 1970م.

102ـ تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر، 1958م .

103ـ حسن عبد الوهاب حسني : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار تونس، 1972م .

104ـ خلاصة تاريخ تونس، مختصر يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمن الحاضر، الطبعة الرابعة، الدار التونسية للنشر، تونس 1968م .

105ـ الحريري محمد عيسى : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160 - 297هـ)، الطبعة الثالثة، مزيدة ومنقحة، دار القلم الكويت، 1408هـ - 1987م .

106ـ حركـات إبراهيم : المغرب عبر التـاريخ، عرض لأحداث المغرب وتطوراتـه في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية





والعمرانية والفكرية، منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر (14ق.م – 20م)، مطبعة سلمى الدار البيضاء المغرب، بدون طبعة وبلا تاريخ.

107ـ الطالبي محمد : الدولة الأغلبية (184 – 296هـ / 800- 909م)، الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1985م .

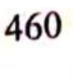
108ـ الطمار بن عمرو محمد : تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م .

109ـ الطمار محمد : الروبط الثقافيَّة بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983م .

110ـ تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1969م.

111ـ الكعاك عثمان : موجز التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي مطبعة العرب تونس، 1344هـ – 1925م.

112ـ الكتاني محمد بن جعفر : الأزهار العاطرة في محاسن قطب المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبع بفاس المغرب الأقصى،



1307هـ - 1889م.

113ـ لبيب عبد الستار: الحضارات، الطبعة الثانية، دار الشروق بيروت لبنان، 1982م .

114ـ لومبارد موريس : الإسلام في مجده الأول، القرن (8 - 11م) (2 - 5هـ)، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979م .

115ـ لقبال موسى : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979م .

116ـ الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها وتطورها، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1971م .

117ـ المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، الطبعة الثالثة، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م .





118ـ مؤنس حسين : فجر الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711 – 756م)، الطبعة الأولى، الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة، 1959م .

119ـ فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب القاهرة مصر، 1947م

120ـ تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلاديين، الطبعة الأولى، العصر الحديث للنشر والتوزيع بيروت لبنان، 1412هـ – 1992م .

121ـ محمود إسماعيل عبد الرزاق : الأغالبة (184 – 296هـ) سياستهم الخارجية، الطبعة الثانية، منقحة، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب، 1978م .

122ـ الخوارج في المغرب الإسلامي، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، مكتبة مدبولي القاهرة مصر، 1976م .

123ـ مجاهد مسعود : تاريخ الجزائر، بدون طبعة، وبلا دار النشر،



وبلا تاريخ .

124ـ المجدوب عبد العزيز : الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، 1395هـ - 1975م .

125ـ المدني أحمد توفيق : كتاب الجزائر، المطبعة العربية في الجزائر، 1350هـ .

126ـ الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية، 1350هـ .

127ـ معمر علي يحي : الإباعية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث المطبعة العربية غرداية الجزائر، 1987م.

128ـ الإباعية في موكب التاريخ، نشأة المذهب الإباعي، مطابع دار الكتاب العربي، مكتبة وهبة القاهرة مصر، 1384هـ - 1964م .

129ـ الإباعية في موكب التاريخ، الإباعية في الجزائر .

130ـ مرمول محمد صالح : السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية





في بلاد المغرب الإسلامي ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983م.

131ـ نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام، حتى منتصف القرن العشرين، الطبعة الأولى، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بـيروت لبنان، 1972م

132ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية بيروت لبنان، 1981م .

133ـ سعد الله فوزي : يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع الجزائر، 1995م .

134ـ سعدي عثمان : الأمازيغ البربر عربة عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ، بدون طبعة، وبلا دار النشر، 1986م .

135ـ عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982م .





136ـ عاشور عبد الفتاح : أوربا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية مصر، 1966م .

137ـ العبادي أحمد مختار : في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية بيروت لبنان بدون طبعة وبلا تاريخ .

138ـ تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية بيروت لبنان، بدون طبعة، بلا تاريخ .

139ـ عبد المقصود عبد الحميد باشا : الرستميون صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، الطبعة الأولى، مطبعة الجبلاوي، 1409هـ – 1970م .

140ـ العدوي إبراهيم أحمد : بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، مكتبة الأنجلو المصرية 1399هـ – 1970م .

141ـ عويس عبد الحليم : دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، الطبعة الأولى، دار الشروق، 1400هـ – 1980م .





142ـ عنان عبد الله محمد : دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، طبعة مزيدة منقحة القاهرة مصر، 1379هـ- 1969م .

143ـ العربي إسماعيل : دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفارس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983م .

144ـ المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م

145ـ العروي عبد الله : مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع الدار البيضاء المغرب، بدون طبعة وبلا تاريخ .

146ـ فيلالي عبد العزيز : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982م .

147ـ فروخ عمر : العرب والإسلام في الحوض العربي من البحر الأبيض المتوسط من فتح المغرب وفتح الأندلس إلى آخر عصر الولاة (130 – 756م)، الطبعة الأولى، منشورات المكتب التجاري بيروت



لبنان، 1378هـ – 1958م .

148ـ صفر أحمد : مدنية المغرب العربي في التاريخ، بيروت لبنان، بدون طبعة، وبلا تاريخ.

149ـ شاوش محمد رمضان : الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، طبع المطبعة العلوية بمستغانم الجزائر، 1970م .

150ـ شاكر محمود : التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي 1405هـ – 1985م .

151ـ شبارو عصام محمد : القضاء والقضاة في الإسلام، العصر العباسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان، 1982م .

152ـ شيت محمود خطاب : قادة الفتح الإسلامي، المغرب العربي، الطبعة الأولى، دار الفكر، 1386هـ – 1966م .

153ـ شكيب أرسلان : الحلل السندسية في الآثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، بدون طبعة، وبلا تاريخ .





154ـ شلبي أحمد : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1984م .

155ـ شلبي مصطفى أحمد : أحكام الأسرة في الإسلام دراسة مقارنة بين فقه المذاهب السنية والمذهب الجعفري والقانون، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية بيروت لبنان، 1397هـ - 1977م .

156ـ شريط عبد الله و الميلي محمد : الجزائر في مرآة التاريخ، الطبعة الأولى، مكتبة البعث قسنطينة الجزائر، 1965م .

157ـ مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والإجتماعي، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985م .

158ـ الشرقاوي محمد عبد المنعم ومحمد محمود الصياد : ملامح المغرب العربي، الطبعة الأولى دار المعارف بالإسكندرية مصر، 1959م .

159ـ ابن تاويت محمد الطنجي ومحمد الصادق عفيفي : الأدب المغربي، الطبعة الثانية دار الكتاب اللباني بيروت لبنان، 1969م .



160ـ الخطيب عبد الكريم : اليهود في القرآن، الطبعة الثانية، دار الشروق بيروت لبنان 1401هـ - 1981م .

161ـ خليفات عوض : النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباعية في شمال إفريقية في مرحلة الكتمان، عمان الأردن، 1982م .

162ـ أبو عيف أحمد عمر مصطفى : القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982م .

163ـ الغربي علي مصطفى : تاريخ الفرق الإسلامية عند كتاب نشأة علم الكلام عند

المسلمين، مكتبة ومطبعة الأزهر الشريف القاهرة مصر، بلا تاريخ .





ج ـ الدوريات والمحضارات :

164ـ إحسان عباس : « المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين »، مجلة الأصالة، العدد:45، السنة الخامسة جمادى الأولى 1395هـ، ماي 1975م، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر .

165ـ بورويبة رشيد : « الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة »، مجلة الأصالة، العدد:41 محرم 1397هـ - جانفي 1977م .

166ـ بحاز إبراهيم بكير : « الطوائف المذهبية والطبقات الاجتماعية في الدولة الرستمية (160- 296هـ / 777 - 909م) »، محاضرة ألقيت في الأيام الدراسية للفكر الإباضي بقاعة ابن خلدون الجزائر العاصمة، ماي 1990م .

167ـ بلقرد محمد : « الحركة الإباضية في تاهرت وسدراتة »، مجلة الأصالة، العدد:41، محرم 1397هـ - 1977م .





168ـ بن يوسف داود سليمان : « مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية وتركيزها »، مجلة الأصالة، العدد:49- 50، السنة السادسة رمضان وشوال 1397هـ سبتمبر وأكتوبر 1977م .

169ـ البريك ناصر المرشد: « الإباعية في الفكر السياسي الإسلامي وأثرها في قيام الدول » مجلة الإجتهاد، العدد: 13، السنة الرابعة 1416هـ – 1991م، دار الإجتهاد بيروت لبنان .

170ـ حاجيات عبد الحميد:» مساهمة المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية »، مجلة الثقافة، العدد: 81، شعبان ورمضان 1404هـ ، مايو وينويو 1984م .

171ـ لبزيك دابروفسكي : « تاهرت، ملاحظات حول تطور فن العمران الإسلامي بالمغرب الأوسط (القرن السابع/ الحادي) »، محاضرات ومناقشات، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، وارجلان، 1397هـ / 1977م .

172ـ لقبال موسى : « من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، مكتبة





المعصومة بتاهرت هل أحرقت أو نقلت عيونها إلى سدراتة في جوار بني وارجلان ؟ »، مجلة الأصالة، العدد: 41، محرم 1397هـ - جانفي 1977م .

173ـ المدني أحمد توفيق : « مدخل لدراسة الدولة الرستمية واسهامها في التطور الفكري والحضاري »، محاضرات ومناقشات، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، صفر 1397هـ - فبراير 1977م .

174ـ عبد الباقي علي محمد : « نظام الاحتساب وحماية الوطن والمواطن بين المنهج الإسلامي والواقع المعاصر »، سرتا، مجلة تاريخية اجتماعية، العدد: 04، صفر 1401 ديسمبر 1980، جامعة قسنطينة الجزائر.

175ـ فيلالي عبد العزيز : « جوانب من العلاقـات التجارية بين الرستمييـن والأمويـن في الأندلس »، سرتا، العدد: 03، رجب1400هـ - ماي 1980م

176ـ فخار إبراهيم : « دور الرستميين في وحدة معـرب الشعوب



»، مجلة الأصالة، العدد: 42– 43، فبرير ومارس 1977م .

177ـ « الطوائف المذهبية والطبقـات الاجتماعية في الدولـة الرستميـة (160 – 296هـ / 777– 909م) »، دراسات جزائرية، مجلة أدبية، العدد: 01 جامعة وهران، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بوهران، 1997م.

178ـ ذنون عبد الواحد طه : « استيطان القبائل البربرية في الشمال قبل الإسلام »، حوليات الجامعة التونسية، العدد: 18، تونس 1980م .





د- الأطروحات :

179- بوخالفة نور الهدى: أنساب القبائل العربية المهاجرة بمواليها إلى بلاد المغرب، خلال القرون الأربعة للهجرة، أطروحة دكتوراه دولة، تحت إشراف الدكتور إبراهيم فخار، معهد التاريخ جامعة وهران، سنة 1994 ـ 1995م.

180- بحاز إبراهيم بكير: القضاء في المغرب الإسلامي، من الفتح الإسلامي حتى قيام الخلافة الفاطمية (96 ـ 296هـ / 715- 909م)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي الوسيط، تحت إشراف الدكتور إبراهيم فخار، معهد العلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة، 1997م.

181- منصور عبد الحفيظ : الأوعاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمـارة الرستمية (144- 296هـ / 761 ـ 909م)، رسالة ماجستير، تحت إشراف الدكتور محمد الصالح مرمول، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1981م.





المراجع الأجنبية:

- 182 GAUTIER .E.F: Le Passe de L'afrique du Nord، Paris، 1952. imprime en France.

-183 Les Siècles Obscurs، petite bibliothèque، poyot، Paris، 1964 imprime en France.

-184 HENRI DE LABASTIDE: Maghreb، Tunisie، Maroc، préface de louis faugere conseiller d'état، horizons، paris، France، 1973.

- 185 MARÇAIS. G: Les Arabes en Berberie du11eme siècle، Paris، 1913.

- 186 H. BOUSQUET: Les Berbères، presse universitaire de France، Paris، 1957.





و- الدوريات الأجنبية :

_187 ANDRE NEGRE: « La fin de L'etat Rustumide»، Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb، faculte des lettres،d'alger، imprimerie ipn، Alger، juillet 1969.

_188 BEKRI CHIKH: « Le Kharidjisme Berbère، quelques aspects du royaume Rustumide، annales de l'institut d'études orientales، (a. i. e . o) université d'alger، tome x v Alger 1957.

_189 MARÇAIS.G : «La Berberie au IXeme siècle، d'après el Yaquobi «extrait de la Revue Africaine (r.a) n° :386 _ 387، 1er et 2eme.trimestre، Alger،1941.

_190 MARÇAIS.G، et A. DESSUS LAMARE : Tihert Tagdemt»، Revue Africaine 1946





فهرس الموضوعات









الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية

(160ـ 296هـ / 777ـ 909م)

وزارة الثقافة

دار الكفاية

